تاريخ أوروبا الدبلوماسي

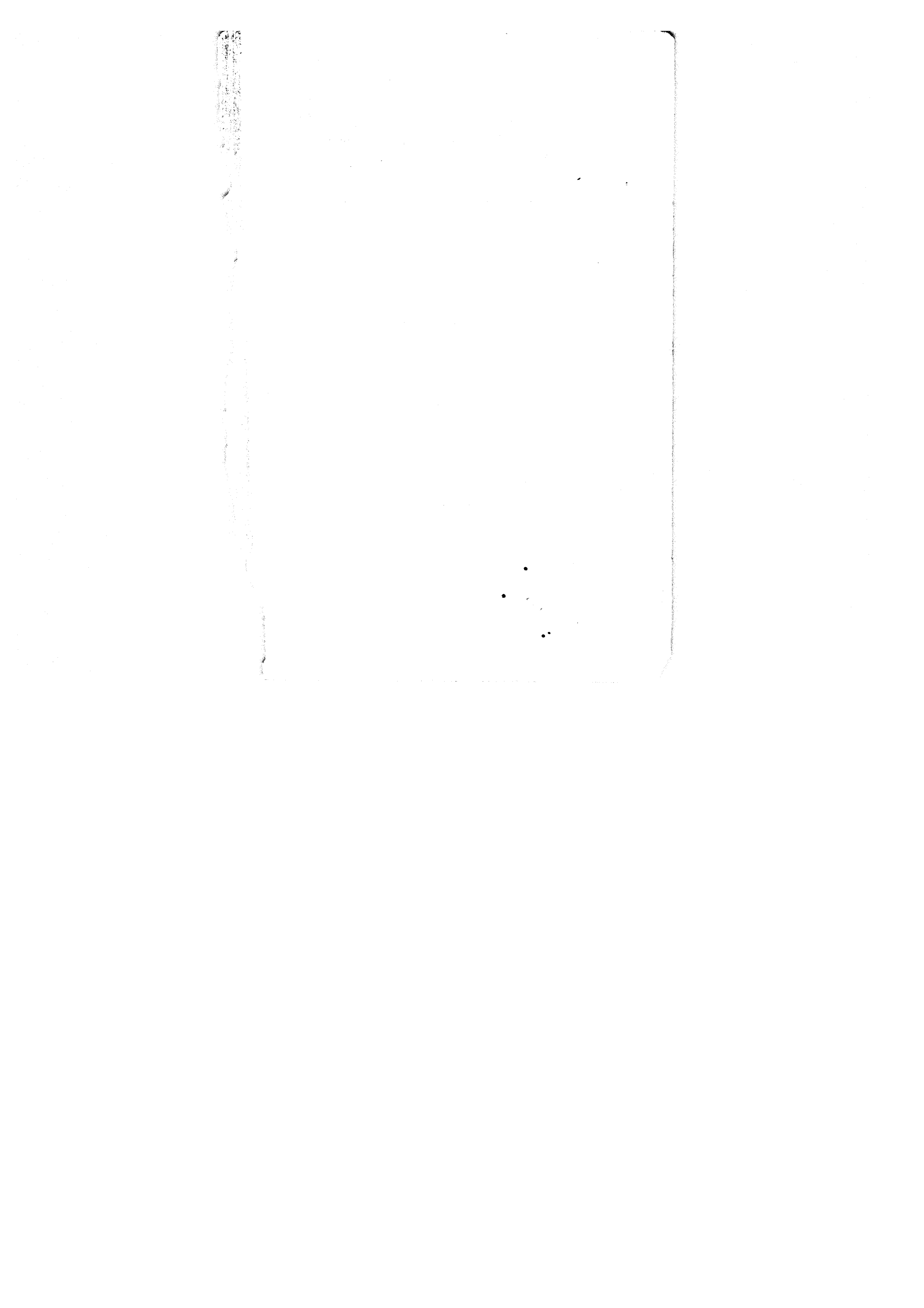
من السبعينات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى

الدكتور محمد محمود السروجي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مطبعة المصري

[illegible] محطة الرمل ت ٣٢٧٤٠٦ اسكندرية



تصدير

إن دراسة تاريخ أوربا الدبلوماسى من السبعينات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى على جانب كبير من الأهمية . ففى هذه الفترة وضعت أصول سياسة الدول الأوربية المعاصرة ، وفيها أيضا حدث تحول فى حياة تلك الدول .

ففى سنة ١٨٧٠ دخلت الجنود الألمانية أرض فرنسا فانقضى عصر ودخلت أوربا فى عهد جديد . ونزلت فرنسا عن مركزها كأول دولة فى أوربا لتحل محلها الدولة الألمانية الحديثة . فى هذه السنة قامت الحرب بين فرنسا واتحاد شمال ألمانيا تحت زعامة بروسيا ، وكانت الحرب صراعا هائلا على السيادة فى أوربا انتهى بتبوأ ألمانيا مركز الزعامة ، وأصبح لها من القوة السياسية ما يجعلها تستطيع تحطيم أى قوة تملكها دولة أخرى . فى هذه السنة تغير نظام أوربا السياسى والاقتصادى معا ، وأصبح تفوق ألمانيا السياسى والحربى فى القارة لا منازع له ، كما أصبح تفوقها الصناعى والاقتصادى كبير لا يظهر عليه غير تفوق انجلترا فى هذه الناحية .

لقد مرت سنوات وفرنسا تتمتع بنفوذ لا مثيل له فى اوربا ، دخلت حرب القرم فى عهد نابليون الثالث وأرغمت أنف الروسيا ، وانتصرت لايطاليا على السياسة النمساوية ، وحطمت القيود التى فرضتها معاهدة فينا عليها ، وعمل نابليون باتفاقه التجارى مع انجلترا ، وصلاته الودية مع الملكة فيكتوريا على تمتين روابط الألفة والمودة بين فرنسا وجارتها العظيمة .

كانت دول أوربا تعمل على كسب رضاه ، فهذه الروسيا تتقرب إليه بعد سنة ١٨٥٦ ، وهذه النمسا تستغيث به ، وهذه ايطاليا تستنجد به . ولكن دولة كبرى واحدة هى التى كانت تفكر جديا فى تحدى فرنسا لا رغبة فى التوسع على حسابها ولا طمعا فى مستعمراتها ، وإنما لأن هذه الدولة أخذت على عاتقها تحقيق آمال شعب ضخم فى الوحدة والحياة المستقلة . وفرنسا كانت أقــوى الدول الكبرى التى تعمل على عرقلة هذه الوحدة ، بل لقد جعلت المبدأ الأول فى سياستها منع قيامها . هذه الدولة التى كانت تعد سراً وعلانية للحرب مع فرنسا عدوتها ، هى الدولة البروسية .

فى مدينة برلين كانت تتردد ذكريات الانتصارات الحربية التى نالها فردريك الأكبر ، وما كان لبروسيا من مجد فى أواخر القرن الثامن عشر ، وما زالت تتردد ذكريات النهضة الهائلة التى أيقظت بروسيا من أقصاها إلى أقصاها نتيجة لكارثة يينا ، فلم تزل أسماء شارنهرست ونايزناو وكلوزفيتز أعلاما لا تنسى فى التاريخ الألمانى الحربى . لقد وضع الألمان آمالهم على هذه الدولة البروسية ، على دولة هى أكثر الدول الألمانية المانية، وأقواها عدة ، وأحسنها نظاما . فبروسيا هى التى استطاعت هزيمة فرنسا عدوة الوطن الألمانى فى موقعة رسباخ فى القرن الثامن عشر ، وهى التى قامت بدور مهم فى حركة التحرير ضد الحكم الفرنسى النابليونى ، وهى بعد ذلك موئل الثقـــافة الألمـانية ، ففيها ازدهرت جامعات برلين وجتنجن وهلى وكونجسبرج ، وفيها ظهر كانت وفختة وغيرهما .

وفوق ذلك فهى أقوى الدول الألمانية اقتصادا ، كان لهـا برنامج اقتصادى ألمانى شامل ، وضعته لإيجاد وحدة اقتصادية على أساس النظام المعروف بنظـام القسلفرين Zollverein . ومليكيتها بعد ذلك ألمـانية صرفة ، تهتم بالأمور

الألمانية قبل شيء ، وأكثر من أى ملكية أخرى فى ألمانيا . فلا عجب إذا مااختارها الشعب الألمانى لتكون ملكيته فى سنة ١٨٤٨ . ولكن الظروف السياسية ومعارضة النمسا هى التى حالت دون تحقيق هذا الغرض .

وكان مجيء بسمرك إلى مسرح السياسة الألمانية إيذانا بتحقيق هذه الوحدة . لقد جعل بسمرك من مسألة توحد ألمانيا حياته وسياسته وأمنيته . وللوصول إلى ذلك الغرض لا بد من الاستعداد السياسى لعزل عدوتى الوحدة الألمانية النمسا وفرنسا ، ومنعها من عقد محالفات مع الدول الأخرى . ولا بد من الاتفاق مع الدولة الروسية على قبول مبدأ الحياد واقناع انجلترا بترك القارة الأوربية تفض مشاكلها بنفسها . ووجد أيضا ألا مفر من استخدام الدم والحديد . واستتبع إرغام الدولتين النمسوية والفرنسية على قبول الوحدة ارغامهما على تفوق بروسيا فى ألمانيا وفى أوربا .

وكانت سادوفا Sadowa سنة ١٨٦٦ الخطوة الأولى فى سبيل تفوق بروسيا فى ألمانيا وفى وسط أوربا ، فلقد تضعضعت قوة الامبراطورية النمساوية . وفى سيدان Sedan سنة ١٨٧٠ سلم زعيم أوربا نابليون الثالث سيفه لملك بروسيا ، وانهارت الامبراطورية الفرنسية ، وقامت حكومة مؤقتة هى حكومة الدفاع الوطنى للاستمرار فى حرب لا أمل كبيرا فيها . وتقدم الألمان نحو باريس ، وفى جنوب السين ، ولم تجد المقاومة نفعا . كانت فرنسا قد أعلنت أنها لن تتنازل عن شبر واحد من أراضيها ، ولن ترضى بصلح ينتقص جزءاً من بلادها.

ولكن الدولة المنتصرة كانت قد وضعت شرطا أساسياً للدخول فى مفاوضات مع الدولة المنهزمة، هو تنازل فرنسا عن جزء مهم من أراضيها . وانتهى الأمر بين الطرفين بقبول هدنة فى ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ ، واضطرت حكومة

ألدفاع الوطنى أن تضع فى يد أدلف تيير مقاليـــد الأمور ليعقد الصلح مع سادة أوربا الجدد .

قلد الفرنسيون أمرهم لرجل مضطلع بفنون السياسة ، رجلا يثق فيه الفرنسيون كلهم ، يمتاز بشخصيته القوية ومرونته ، رجلا نيف على السبعين قد تقلبت عليه الحوادث ، وكان له ضلع كبير فيها ، فهو ممن قامت على أكتافهم ثورة سنة ١٨٣٠ ، فلقد أسقط أسرة حاكمة ، ولعب دوراً هاماً فى عهد الملك لوى فيليب، وعلا شأنه حينما تعقدت الأزمة المصرية فى سنة ١٨٤٠ ، فكان ينصح باستعمال القوة لتأييد حاكم مصر . لقد كتب صفحات خالدة فى تاريخ فرنسا ، سجل فيها مجدها فى عهد الثورة وعهد نابليون ، وارتفع مركزه حتى تنبأ له شاتوبريان بأنه سيكون وريث المستقبل .

وبإنتصار ألمانيا فى حرب السبعين أصبح تاريخ ألمانيا منذ ذلك الوقت إلى قيام الحرب العالمية الأولى هو تاريخ أوربا . واستطاع بسمرك بحنكته السياسية أن يوجد توازنا أوربيا ، وأن يجعل من ألمانيا أكبر قوة أوربية حافظة للسلام ولتوازن القوى فى تلك الفترة .

ودور الوثائق فى أوربا حافلة بالوثائق التى لا تعد ولا تحصى عن تاريخ تلك الفترة . فهناك دارالوثائق الانجليزية

British Foreign Office Correspondance, Public Record Office, London ويرمز اليها بـ F. O. ودار الوثائق الفرنسية **Affaires** Etrangères ويرمز اليها بـ Aff. Etrag ودارالوثائق النمساوية **Austrian** Foreign Office Correspondance, Weiner Staat Archiv **ويرمز إليها بـ W.S.A. . وهناك أيضاً دار الوثائق الايطالية :**

على أن أهم دار للوثائق فى موضوعنا هذا هى دار الوثائق الألمانية . وربما كانت دار الوثائق التاريخية المصرية مهمة ، ولكن قيمتها محدودة طبعا بحدود السياسة المصرية أو السياسة الأوربية المعاصرة تجاه مصر .

فيما يتعلق بالوثائق السياسية التى نشرت هناك ثلاث مجموعات من الوثائق لا غنى عنها للباحث فى تاريخ أوربا أو سياستها المعاصرة . أول هذه المجموعات هى الوثائق الألمانية المسماه Grosse politiK . هذه الوثائق نشرتها الجمهورية الألمانية ، جمهورية Weimax أو الريخ الثانى لتثبت أمام العالم أن ألمانيا ليست مسئولة عن الحرب الكبرى الأولى . وهذة الوثائق تناولت المشاكل الأوربية من ١٨٧٠ - ١٩١٤ ، أى تشتمل على بعض - إن لم يكن معظم الوثائق - الوثائق السياسية الألمانية التى تبودلت بين وزارة الخارجية الألمانية وممثليها السياسيين فى الخارج والتى تشرح الحوادث الأوربية التى أدت إلى الحرب .وقيمة هذه الوثائق ترجع إلى المدى من التاريخ الأوربى التى درسته وإلى كثرة الوثائق وإلى الأمانة الظاهرة فى طبع معظم الوثائق التى تشرح المسائل الأوربية .

ولقد تبع ظهور هذه الوثائق نشر الحكومة الفرنسية لوثائقها السياسية عن المدة فيما بين سنتى ١٩٧٠-١٩١٤ تحت إسم Documents Diplomatiques Françaises ويرمز اليها بالحروف D . D . F . وقد نشرت على سلاسل . وهى لاتقل فى القيمة عن الوثائق الألمانية .

وأعقب الانجليز الفرنسيين فنشروا الوثائق السياسية من ١٨٩٠ إلى أواخر الحرب الكبرى الأولى ، ووضع ذلك على عاتق الأساتذة تمبرلى Temperly وجوش Gooch وبرسون Person .

ولقد قامت الحكومة الروسية بنشر سلسلة من الوثائق لاتقل فى القيمة عن

سوابقها وعيبها الوحيد أن الكثير منها مكتوب باللغة الروسية ، وهذه لا يفهمها إلا القليلون جدا .

ونلاحظ على تلك الوثائق المنشورة شيئا هاما هو أن الحكومات لم تنشر كل الوثائق السياسية المتعلقة بالحوادث السياسية التى أدت إلى الحرب الكبرى الاولى ، وإنما هذه المجموعات هى مختارات من الوثائق الموجودة فى غياهب دور الوثائق للحكومات الأوربية المختلفة . وهذا الاختيار قائم على عدة عوامل ، منها أنه لا يحسن نشر وثائق ربما كان لها أثر على سياسة الدول ، أو التى تشير إلى بعض الدول أو الأشخاص بإشارات مزرية ، فنشرها ربما يمس كرامة دولة من الدول أو شخصا من الأشخاص الأوربية الهامة الذين لا يزالون على قيد الحياة .

كذلك لا تنشر الوثائق التى تكشف الستار عن بعض أعمالها السياسية الملتوية ، كما أن هذه الوثائق السابقة الذكر إنما نشرت لتأييد رأى كل دولة فى أنها غير مسئولة عن قيام الحرب الاوربية الكبرى الاولى .

هذا فيما يتعلق بالفترة المؤدية إلى الحرب الكبرى الاولى ، أما عن المدة التى تلت الحرب ، والتى أدت إلى قيام الحرب الكبرى الثانية فدور الوثائق الرسمية للحكومات الاوربية المختلفة موصدة أمام الباحثين . ولم تنشر الحكومات مجموعات من الوثائق كالتى سبق أن نشرتها عن الحرب الكبرى الاولى ، لأن آثار الحرب الكبرى الثانية لم تنته بعد . ودوافع المصلحة الذاتية والبروباجندا تمنع نشر وثائق من هذا النوع .

نشرت الحكومات الاوربية من حين لآخر من ١٨٧٠ - ١٩٣٩ مجموعات صغيرة من الوثائق أو كتيبات عن ما تريد إطلاع الرأى العام عليه من الوثائق

الرسمية السياسية. وهذا النوع من الوثائق محدودة القيمة لأن الغرض منها إما العمل على استثارة الرأى العام أو على تضليله . هذه الكتب ، تسمى بأسماء مختلفة فالكتب الانجليزية تسمى الكتب الزرق Blue Books أو State Papers، والكتب الفرنسية تسمى بالكتب الصفر Livres Jaunes ، والكتب الايطالية تسمى الكتب الخضر Libri Verde وهكذا .

ومن أهم المراجع التى يمكن الرجوع اليها لقيمتها هى الخطب والمناقشات البرلمانية فى المسائل السياسية . وأهم هذه الانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والنمساوية ، لأنها تبين على الأقل آراء قادة الرأى العام فى السياسة الدولية العامة أو السياسة الخاصة لدولهم .

ولقد حاولت جهدى ما استطعت أن أنهل من هذه المصادر التاريخية فى معالجة موضوع الكتاب ، متوخيا الأمانة العلمية ، حريصاً على إعطاء صورة واضحة لقراء العربية عن تاريخ أوربا فى تلك الفترة ، وأرجو أن أكون قد وفقت ، والله ولى التوفيق .

٢٥ مايو ١٩٦٦ — محمد محمود السروجى

محتويات الكتاب

صفحة

تصدير ... ... ج

الفصل الاول

المانيا بعد حرب السبعين ١

حالة ألمانيا الداخلية ٧

نظم الحكم ٧

القيصر الألمانى ٨

المستشار الألمانى ٩

الهيئة التشريعية ١٠

نقد الدستور الألمانى ١١

الجيش الألمانى ١٢

المسألة الدينيـة ١٢

الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى ١٤

الفصل الثانى

فرنسا بعد الهزيمة ١٨

العقبات تواجه تيير ٢٠

ثورة باريس ٢٣

الأحزاب الفرنسية وعودة الجمهورية ٢٥

دستور الجمهورية الثالثة (١٨٧٥) ٢٦

صفحة

الفصل الثالث

المسألة الشرقية ٣٠
سياسة التعويض والاستصلاح ٣٣
حالة الدولة العثمانية ٣٤
حالة الروسيا ٣٦
الشئون الخارجية ٤٣
مسألة آسيا الوسطى ٤٧
حركة الجامعة الصقلبية ٤٩
انحاز الأباطرة الثلاثة ٥٢

الفصل الرابع

الحرب التركية الروسية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ... ... ٥٥
مذكرة برلين ٦٣
مؤتمر الآستانة ٧٣

الفصل الخامس

مؤتمر برلين ١٨٧٨ ... ... ٨٢
معاهدة برلين ٨٩
ملاحظات عن المعاهدة ٩٤

الفصل السادس

أوربا بعد مؤتمر برلين ٩٨

صفحة

الاتفاق الثلاثى ـ العلاقات الألمانية الروسية ١٠٢
العلاقات الألمانية الايطالية ١٠٤
الاستعمار ١٠٦
الاستعمارية الانجليزية (الامبريالية) ١٠٨
الداروينية الاجتماعية ١١٥
انجلترا ومصر ١١٩

الفصل السابع

الاستعمار الالمانى ١٢٢
سياسة بسمرك الاستعمارية فيما بين ١٨٨٣و١٨٨٥ ... ... ١٢٣
مؤتمر بروكسل الدولى ١٢٥
انجلترا والاستعمار الألمانى ١٢٦

الفصل الثامن

التنافس فى البلقان ـ اليونان ١٣٣
مشكلة الحدود الاغريقية ١٣٣
علاقة النمسا بالبلقان ١٣٥
رومانيـــا ١٣٦
الصرب ١٣٧
الجبـل الأسود ١٣٨
السياسة الفرنسية البلقانية ١٣٩
الأزمة البلقانية (١٨٧٨) ـ بلغاريا ١٤١

صفحة

الفصل التاسع

بسمرك ومعاهدات الضمان الاوربية ١٥٥
المعاهدة الايطالية النمسوية ١٨٨٧ ... ... ١٥٧
« « الالمانية ١٨٨٧ ... ... ١٥٧
تجديد التحالف الثلاثى ١٨٨٧ ... ... ١٦٣
المعاهدة الالمانية الروسية Reinsurance Treaty ١٦٦

الفصل العاشر

أوربا بعد سقوط بسمرك ١٧٧
سقوط بسمرك ١٧٩
مسألة الدولة العثمانية ١٩٠
مسألة الشرق الأقصى ١٩١

الفصل الحادى عشر

التنافس الاستعمارى فى افريقيا ١٩٤
التطاحن على النيل ١٩٤
مسألة جنوب افريقية ١٩٥
المسألة المصرية السودانية... ... ... ٢٠٥
مسألة فاشودة ٢١٥

الفصل الثانى عشر

المنافسة الالمانية الانجليزية ٢٢٣
قانون البحرية الألمانية ٢٣٣

صفحة

مؤتمر الجزيرة ١٩٠٦ ... ... ٢٣٩
حادث أغادير ٢٤١

الفصل الثالث عشر

ممهدات الحرب العالمية الأولى ٢٤٥
أسباب الحرب العالمية الأولى ٢٥٥

الفصل الرابع عشر

نشوب الحرب ٢٦٧
الحصار البحرى ٢٧٨
دخول الولايات المتحدة الحرب ٢٨٢
الثورة الروسية (مارس ١٩١٧) ٢٨٨
أثر الثورة الروسية فى سير الحرب ٢٩٠
المرحلة الأخيرة للحرب ٢٩٣
هزيمة ألمانيا وحلفائها ٣٠٠

الفصل الخامس عشر

معاهدات الصلح ٣٠٤
أوجه الخلاف بين الدولة المنتصرة ٣٠٨
معاهدات الصلـــح ٣١٢
نقد معاهدات الصلح ٣١٧
عصبة الأمم ٣١٩
نتائج الحرب ـ النتائج السياسية ٣٢٢
النتائج الاقتصادية ٣٢٥
« الاجتماعية ٣٢٧
مصادر البحث ٣٣٩

الفصل الأول

ألمانيا بعد حرب السبعين

لقد صارت المـــانيا بعد حربها مع فرنسا فى عام ١٨٧٠ دولة موحدة ، فتكونت الوحدة الالمانية فى ميدان الحرب وأصبحت الامبراطورية الالمانية أقوى دولة فى أوربا من الناحية الحربية ، وأعظم نفوذا وأكبر سلطانا . كما فرضت على فرنسا غرامة حربية كبيرة .

ووجد بسمرك المستشار الحديدى أن ألمانيا وإن كان قد تم لها هزيمة قوى فرنسا الحربية ، إلا أن هذا لا يعنى البته إنتهاء قوة فرنسا الحربية إلى الأبد . بل لا زالت تتمتع بشيء من الحيوية والنشاط والأمل فى استعادة مركزها . كذلك وجد المستشار الألمانى أن ألمانيا مهما كانت قوتها الحربية ، ومهما كانت مواردها الاقتصادية الجديدة ليست إلا دولة حديثة العهد فى أوربا . ومع ذلك أصبحت جزءاً من النظـــام الدولى الأوربى بعد سنة ١٨٧٠ ، وأثارت حسد جيرانها المحيطين بها . فلقد أفاقت انجلترا من حيادها لتجد أن قوة فرنسا أو سيادة فرنسا فى القارة الأوربية قد تحطمت . كما وجدت دولة قوية تشرف على وسط أوربا وتسيطر عليه سيطرة تكاد تكون تامة .

بدأت انجلترا تخشى هذه القوة الجديدة التى أثبتت كفاءتها ، ثم أخذت تفكر فى مصير أسواقها الاوربية إذا تمكنت هذه الدولة الناشئة القابضة على شريان أوربا من السيطرة عليها من الناحية الاقتصادية ، كما بسطت نفوذها عليها من الناحية

السياسية . وكان نظام التسلفرين قد بدأ يتاق بال هذه الدولة التجارية العظيمة .
وكان بسمرك يفهم ذلك الشعور جيداً ، ويعرف شخصية جلادستون ومن
معه ، ولكنه سيشعر بتغير جديد فى انجلترا حينما يتولى دزريلى الوزارة ، دزريلى
الذى يطمح فى إعادة انجلترا لمركزها الممتاز فى أوربا والعالم . وسيعمل بسمرك
على استرضائها أو الحصول على موافقتها على النظام الجديد فى أوربا ، ذلك النظام
الذى خلقه هو .

وهناك امبراطورية النمسا والمجر هذه الامبراطورية القديمة التى أصبحت
ملكية ثنائية تدرك تمام الإدراك مدى خطورة القوة الألمانية الجديدة التى نشأت
بجوارها من الناحية الشمالية . ولقد عرفت النمسا جيداً مدى قوة الدولة الجديدة
فليست موقعة سادوفا ببعيدة . حقا إنه كان يوجد فى هذه الدولة عدد كبير من
الجنس الألمانى يقطن فى استريا شديد الرغبة فى الانضمام إلى الدولة الناشئة
لتكتمل إلى حد كبير حركة الوحدة الألمانية التى تمت فى خلال الحرب
العالمية الثانية .

وكان ذلك الفريق بطبيعة الحال مدفوعاً إلى ذلك بروابط الثقافة الألمانية
واللغة الألمانية ، وربما من ناحية الجنس أيضاً . وهناك دافع مهم هو دافع
العاطفة . فانتصار الدولة الالمانية الجديدة فى الأرض الفرنسية ، أرض الدولة
التى طالما ناصبت الألمان العداء ، انتصار هذه الدولة جعلها مهبطا لآمال هؤلاء
الألمان الذين يتوقون إلى اتمام حركة الوحدة الالمانية وتكوين دولة المانية صرفة
لها السيادة التامة فى أوربا .

ولكن إلى جانب ذلك الفريق كان هناك فريق آخر لا يزال متشبثا بالولاء
لأسرة الهابسبرج ولتقاليد الامبراطورية القديمة ، وله مصالح اقطاعية

أو مالية أو معنوية خاصة تربطه بذلك البيت العتيق » (١) . ويخضع هـذا الفريق لعوامل عاطفية منها استقلال فينا التى أصبحت بحكم موقعها الجغرافى تصلح لأن تكون عاصمة لأوربا أو على الأقـل عاصمة لامبراطورية ضخمة . كما كانت موطنا لثقافة راقية ومركز ثقل سياسى فى أوربا لا يمكن التنازل عنه بسهولة إلى المانيا .

لم يكن من السهل على الساسة النمسويين مجرد التفكير فى أن تتنازل النمسا للدولة الالمانية الجديدة عن الجزء الذى يقطنه الالمان ، فالمسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة للدولة النمسوية . هى مسألة وجودها ومصيرها . فكيف يمكن أن تسمح بانفصال أغنى الأجزاء عن كيان الدولة . ولو تم ذلك لكان معناه تفكك الدولة النمسوية التى كانت تتكون من أجناس متعددة إلى عدد من الدول الصقلبية . وما سيترتب على ذلك من قيام مشاكل أوربية جديدة قد تعكر صفو السلام الاوربى كما حدث فى الحرب العالمية الأولى .

فهذا الفريق الذى كانت تقض مضاجعه هزيمة النمسا فى سادوفا لم يكن ينظر بعين الارتياح إلى أى تقرب من ألمانيا . بل على العكس من ذلك كان يطالب بالتحالف مع فرنسا عدوة ألمانيا وعلى رأس الفريق الكونت Buest . وربما كان ذلك الفريق يعضد فكرة تدخل الدول المحايدة فى الحرب بين فرنسا وبروسيا .

وإلى جانب هـذين الفريقين الالمانيين يوجد الفريق المجرى على رأسه Andrassy ، وهو يمثل العنصر الثانى فى الامبراطورية النمسوية المجرية ، وبحكم

(١) د. محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره فى البلاد العربية ص ٩ .

عدائه للفريق الأخير الحاقد على ألمانيا ، فقد لجأ إلى مصادقة الدولة الألمانية الجديدة وتوطيد صلاته بها ليكون له الغلبة والسيطرة على ذلك الفريق .

ونظر الاختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بموقف النمسا والمجر من الدولة الألمانية الجديدة ، فقد انعكس ذلك على سياستها من تلك الدولة ، تلك السياسة التى اتسمت بالخوف والتردد والسلبية إلى حد كبير . ولم يكن مرجع ذلك إلى الموقف الداخلى فحسب ، وإنما الى موقف حلفائها . فعلاقاتها بالروسيا لم تكن وطيدة نظراً لموقفها من حرب القرم ، وذلك الموقف التى اعتبرته الروسيا ضاراً بها . أما فيما يتعلق بجارتها فرنسا ، فتحطيم قواتها العسكرية أمام قوة ألمانيا لم يجعل لها وزناً من الناحية الحربية . وإذا نظرنا إلى انجلترا نجد أنها كانت تمر بفترة عزلة سياسية عن أوربا ، جعلت أثرها محدوداً فى السياسة الأوربية فى ذلك الوقت . لم يكن ذلك بخاف على بسمرك ، فبالرغم من موقف النمسا المتخاذل حاول استرضاءها بمختلف الطـــرق للإبقاء على صداقتها فى اليوم المناسب .

ثم هناك موقف الروسيا التى كانت على علاقة طيبة ببروسيا منذ حرب القرم . وعن طريق تلك الصداقة استطاعت الروسيا أن تسترجع جزءاً من مركزها الدولى القديم . كما ارتبطت الأسرتان الحاكمتان فى كلا البلدين أسرة رومانوف وأسرة هوهنزلرن بصلات ودية . ونتيجة لهذه الصلات الحسنة أن استطاعت الروسيا القضاء على ثورة بولندة فى سنة ١٨٦٣ ، وهذه الثورة التى كانت قد نالت عطف الدولتين الغربيتين انجلترا وفرنسا . وكان نتيجة للصداقة بين الدولتين أن وقفت الروسيا موقف الحياد المشوب بالعطف على الهوهنزلرن فى حربهم مع النمسا التى وقفت الموقف المشين من الروسيا فى حرب القرم ، وموقف الحياد

المشوب بالعطف في حرب الهوهنزلرن مع فرنسا التي كانت أداة في هزيمة الروسيا في حرب القرم أيضاً .

ومع أن الروسيا قد اتبعت هذه السياسة لصالحها الخاص للانتقام من كل من النمسا وفرنسا ، إلا أنها كانت تعتبر ذلك خدمة لألمانيا يجب أن تكافأ عليها. ولم يكن هذا الموقف يخاف عن بسمرك. ونظرا لعـــدم وثوق الروسيا ـ رغم صداقتها لالمانيا ـ في أن يستجيب بسمرك لمطـالبها ، ولا سيما ما يختص منها بنصوص معاهدة باريس (٣٠ مارس ١٨٥٦) ، فقـد استغلت فرصة اشتعال نار الحرب الالمانية الفرنسية وأعلنت عـدم اعترافها بتلك المعاهدة، وخصوصا تلك البنود التي تنص على حيـدة البحر الأسود . وفعلا كادت الروسيا بموقفها هذا أن تثير مشكلة لبسمرك كان يعمل جاهدا على ابعادها بكل الطرق.

فبسمرك كان يرى ضرورة اقتصار الحرب على فرنسا وألمانيا فقط ويحاول إبعاد التدخل الأوربي في هذا النزاع بكل قوة . وبينما هو في مرحلته الأخيرة من الحرب تثير الروسيا مشكلة معاهدة باريس ، المشكلة التي ربمـا تؤدى إلى قيـام حرب أوربية كبيرة تضيع على بسمرك فرصة القضاء على قوة فرنسا وإرغامها على قبول الوحدة الألمانية .

أثار هذا العمل حنق بسمرك بطبيعة الحال ولكنه اضطر مرغماً إلى إعطاء الروسيا بعض التأييد في مطالبها حتى تمر العاصفة التي خلقتهـا بسلام . لأنه كان يعلم بأن الروسيا لا تهتم سوى بمصلحتها فقط حتى ولو أدى سلوكها هذا إلى تعقيد الموقف الدولي في غير صالح ألمانيا .

وسنجد أن هذه المعاهدة التي كان الغرض منها وضع حد للتوسع الروسي ، ستوجه لنشاط الروسيا إلى أواسط آسيا حيث تتاخم حدود الهند الشمالية .

وبذلك تفقد تركيا مركزها كدولة تقف حائلا بين روسيا وبين تهـــديدها للهند [١] .

كان من نتيجة انتصار ألمانيا فى الحرب السبعينية أن قامت الدولة الألـمانية الموحدة كقوة لها خطرها على حدود الروسيا من ناحية الغرب أدركت الروسيا خطأ سياستها التى أدت إلى التضحية بفرنسا إرضاء لألمانيا ، والعمل بطريقة غير مباشرة على زيادة سلطان المانيا فى القارة الاوربية . «ولذا وقفت موقف الحاسد، موقف المرتاب فى نيات المـانيا »[٢] ، موقف المترقب لأية فرصة تتمكن فيهـا الروسيا من التقليل من تفوق جارتها الغربية .

كما أن وزير الروسيا ومستشارها جورتشكوف أخـذ يحسد بسمرك عـلى تفوقه فى أوربا . فلقـد كان المستشار الروسى يعتبر المستشار الألمانى تلميذاً له . ولـكن سرعان ما وجد أن تلميذه فى السياسة قد نبغ وتفوق عليه تفوقا ظاهراً، بحيث أصبح له نفوذ فى أوربا لا يعدله نفوذ أى شخصية سياسية قبله باستثناء نابليون . وكان نفوذ بسمرك بطبيعته يعتمد على القوة الحديدية الحربية لألمانيا ، كما يعتمد إلى حد كبير على شخصيته الكبيرة وذكائه الممتاز .

فإذن العوامل السياسية وعوامل الحسد الشخصى تدفع بالروسيا إلى اتخـاذ موقف من ألمـانيا ، موقف لا يسر بسمرك الذى كان يفهم جيداً آمال الروسيا وحسد جورتشكوف . ولذا فهو يعمل على استرضائها بقدر الامكان .

---

1 - Safwat, M.; Tunis and the Great Powers 1878-1881. P. 138

٢ — د. صفوت ، مؤتمر برلين وأثره . ص ١١

يرى بسمرك إذن أن المانيا الجديدة ـ وإن كانت متفوقـة ـ ليست محـاطة بالأصدقاء ، فهناك دول تتوثب للانتقام فى أول فرصة،وبعد أن يتم استعدادها. وهناك دول تحسد المانيا على تفوقها آسفة لانتهاء فرنسا كعامل مهـم فى السياسة الدولية الاوربية . وهناك دول تنتظر المكافأة من بسمرك نظير موقف الحيـاد الذى اتخذته .

حالة المانيا الداخلية

والآن ماذا كانت حالة المانيا بعد حرب السبعين ؟

نظم الحكم

قبل إمضاء معاهدة الصلح مـــع فرنسا كان نظام الحكم قد قرر . ففى فرساى قبيل انتهاء الحرب تمـاما اجتمع ملك بروسيا ورئيس اتحـاد شمال المانيا بالأمراء الألمان فى قصر لوى الرابع عشر لوضع نظام الحكم نهائياللدولة. فقبيل هذه الحرب ونتيجة لموقعة سادوا (٣ يوليو ١٨٦٦) ومعـاهدة براج (٢٣ أغسطس ١٨٦٦) كونت بروسيا تحت زعامتها اتحاداً لشمال ألمانيا،وأصبح ملك بروسيا رئيساً لذلك الاتحاد . لقد كونت بروسيا ذلك الاتحاد بالقـــوة ، فهزمت جيوشها جيوش الإمارات المعارضة لها . وبذا لم يعد للإمارات من أمثال هانوفر صوت كبير فى الاتحاد الجديد.

أما مع الإمارات والممالك الألمانية الجنوبية ، فلقـد كان اتحـاد المانيـا الشمالى تحت زعامة بروسيا قد عقد معها معاهدة اتحاد للدفاع عن حدود المانيـا الغربية إذا ما هاجمتها فرنسا . وكان الرأى العام للشعب الألمانى فى هذه الامارات والممالك يعضد الاندماج مع الاتحاد الشمالى، وكانت لبعض الامارات نفس الفكرة،

ومن هذه الإمارات بادن . ولكن موقف بافاريا أكبر وأقوى مملكة جنوبية كان مختلفا . فلبافاريا ماض مجيد ، وتقاليد ليس من السهل عليها التخلى عنها . فهى وإن كانت لا تعارض فى دخول الوحدة الألمانية إلا أنها تشترط بعض شروط تسمى بالألمانية Sonderrechte وهى أن تبقى الملكية محتفظة بكثير من حقوقها القديمة ، ولحكومتها كثير من الإشراف على الادارة المحلية، وأن يكون مركز الحكومة البافارية ثانيا لمركز بروسيا ذاته فى المجالس النيابية .

ووقفت وورتمبرج Würtemberg موقف بافاريا فقبلت بروسيا ذلك ، وبذا لم ينقض شهر نوفمبر إلا والوحدة الألمانية التى تمثلت فى الجيش الألمانى الظافر فى فرنسا حقيقة دولية .

القيصر الالمانى

الدولة الألمانية دولة تعاهدية إذن وليست دولة تتبع النظام المركزى . على رأس الحكومة الألمانية القيصر ، ولا يطلق عليه فى المانيا لفظ إمبراطور ولكنه رأس الدولة بطبيعة الحال . ولكن هل هو قيصر المانيا أو القيصر الألمانى ؟ لم يكن الأمراء الألمان ليقبلوا اللقب الأول فاكتفى ملك بروسيا ورئيس اتحاد شمال المانيا باللقب الثانى وهو القيصر الألمانى Kaisser in Deutschland . وبهذا اللقب نودى به فى قصر فرساى رئيسا لألمانيا الجديدة فى أوائل يناير ١٨٧١ .

ووافق مجلس الريشستاج Reichstag على الدستور الالمانى الجديد فى ١٦ ابريل سنة ١٨٧١ .

نلاحظ من اللقب الذى أعطى للقيصر أن سلطته لم تكن كبيرة ، وذلك هو الواقع من الناحية النظرية ، فليس هناك عرش أو تاج لألمانيا ، السلطة كانت

فى الاتحاد الالمانى ذاته الممثل فى البندزرات Bundesrat . ولكن من الناحية العملية القيصر الألمانى هو ملك بروسيا ، وبروسيا كانت صاحبة نفوذ ممتاز فى البندزرات ، وهى فى الواقع موحدة ألمانيا وسيدة الاتحاد الألمانى . ثم هو - أى القيصر - رئيس الاتحاد الألمانى الشمالى ، وكذلك الرئيس الأعلى للجيوش الألمانية المتحدة . فهو يمثل الامبراطورية أمام الدول الأجنبية والدول الألمانية. وهو الذى يعين السفراء وممثلى ألمانيا فى الخارج ؛ الممثلين السياسيين والممثلين القنصليين . وهو الذى يعلن الحرب الدفاعية أو الهجومية بموافقة الدول الألمانية، ويعقد الصلح ، وهو الذى يؤجل الحكم النيابى ويحل مجلس الريشستاج بموافقة مجلس البندزرات . وهو الذى تنفذ باسمه قوانين الامبراطورية الالمانية . فهو رئيس الهيئة التنفيذية ومساعده فيها المستشار الألمانى Reichskanzler. والقيصر هو الذى يعين المستشار ويقيله .

المستشار الالمانى

ما هى حدود سلطة المستشار ؟

هو وحده وزير الامبراطورية ، ويساعده فى تنفيذ أمور الدولة وزراء ليست لهم سلطة الوزراء كما نعرفها ، فهم ليسوا زملاء ولكنهم مرؤسوه أو موظفون تحت إدارته يعين ويقيل منهم من يشاء . فالمستشار هو وحده الوزير المسئول ، ولكنه مسئول أمام القيصر لا أمام الهيئة التشريعية . وهو رئيس مجلس الاتحاد أو البندزرات . وهو الذى يدافع أو يوكل من يدافع عن وجهة نظر الحكومة أمام الريشستاج الذى ليس له حق طرح الثقة بالمستشار .

فالقيصر إذن يسيطر على الحكم خلال المستشار وعلى شخصية المستشار يتوقف ما للقيصر من نفوذ حقيق أو نفوذ متوسط أو نفوذ اسمى .

كيف تنفذ القوانين التى تضعها الحكومة؛ على كل دولة أو ولاية ألمانية

تنفيذ القوانين التى يقرها مجلس الريشستاج فيما عدا ما يتعلق بالشئون الحربية والبحرية والخارجية ، فللحكومة فى برلين الحق فى تنفيذها مباشرة .

الهيئة التشريعية

الهيئة التشريعية تتكون من مجلسين أحدهما البندزرات أو الاتحاد القيصرى أو المجلس القيصرى وثانيهما الريشستاج . أما الريشستاج فهو الذى يمثل الشعب الالمانى ، وينتخب بالتصويت العام للرجال لمدة خمس سنوات ،وهو الذى يقر أو يرفض مشروعات القوانين كلها مالية أو غير مالية ، ومن حقه أيضا إقتراح مشروعات القوانين . ولكن سلطته ليست كبيرة لان المستشار ليس مسئولا أمامه .

أما المجلس الذى له سلطة حقيقية فهو المجلس القيصرى لأنه لم يكن يمثل الشعب الألمانى بقدر ما هو ممثل للأمراء الألمان والإمارات الألمانية ، فهو شبيه إلى حد ما بمجلس الشيوخ الأمريكى .

لم تكن الامارات الألمانية ممثلة بالتساوى فى ذلك المجلس . فكان لبروسيا النفوذ الأكبر لأنها كانت تملك من الممثلين فى ذلك المجلس ١٧ عضوا .

والواقع أن بروسيا نظراً لقوتها الحربية والاقتصادية ولسعة ممتلكاتها ، ولما كان لها من بلاء فى حركة الوحدة أصرت على ضرورة تفوقها حتى يمكنها أن تسيطر فعليا على إدارة دفة السياسية الألمانية .

كان لبافاريا ستة أعضاء ، ولقد لاحظنا أنها أصرت على أن يكون لها المركز الثانى بعد بروسيا. ونعرف أنها دخلت الاتحاد الالمانى نتيجة معاهدة. وكان لكل من سكسونى وورتمبرج Wurtemberg أربعة أصوات ، ولكل من بادن وهس صوتان، وصوت لكل من الولايات الأخر. وكانت بروسيا ـ فضلا عن تفوقها ـ تسيطر على أصوات الولايات الصغرى .

مجلس البندزرات هو الذى يحدد الميزانية وهو الذى يقترح القوانين وينظم

العلاقات بين الأقسام الألمانية المختلفة ، ويشرف على الدخل والجمارك . وهو الذى يشارك القيصر الحق فى إعلان الحرب الهجومية وفى حل مجلس الريشستاج إذا ما أقلق المستشار ، وله نفوذه فى عقد المعاهدات واختيار قضاة المجلس الأعلى . كما كانت له سلطة إدارية فهو ممثل الأمراء وهو الذى يفصل فى الخصومات بين الإمارات الألمانية ، وهو الذى له الحق فى تعديل الدستور .

أما السلطة القضائية فكانت مركزة فى يد المحاكم المحلية فى الإمارات المختلفة، وإن كان هناك مجلس استئناف أعلى يسمى Reichsgericht .

نقد الدستور الالمانى

وإن كان يجب أن نترك نقد الدستور الألمانى لرجال القانون ، إلا أنه لا مانع أن نشير إلى بعض النقد الذى يوجه اليه . فهناك كما رأينا عدم تحقيق مبدأ المساواة فى التمثيل ، وهناك عدم وجود وزارة مسئولة . وهناك ناحية الضعف فى تنفيذ القوانين القيصرية . وهناك سيطرة بروسيا على التشريع والأمور الخارجية والحربية والبحرية . على أنه يجب ألا ننسى الظروف الدولية التى تكون فيها الاتحاد الألمانى . كما يجب ألا ننسى أن على عاتق بروسيا وحدها تكونت الوحدة الألمانية وهناك نقطة ثالثة يجب ألا نغفلها وهى الظروف فى المانيا ذاتها عند بدأ الوحدة من عدم وجود أى توازن بين مساحة وسكان وقوة الإمارات المختلفة حتى يعطى لها حق المساواة فى التمثيل .

والواقع أن الدستور الالمانى كان موضع نقد شديد من رجال القانون من الالمان الأحرار ، ومن الأجانب ، لاسيما الانجليز والفرنسيين والأمريكيين . وربما كان النقاد الأجانب مدفوعين بنوع من الكرة للنظم الاستبدادية التى أدت إلى وقوع الحرب الكبرى الأولى وتحميل المنتصرين مسئوليتها للدولة المنهزمة وهى المانيا.

وعلى العموم لا يمكن لأحد أن يدعى أن نظام ألمانيا كان نظاما ديمقراطياً

حقيقياً ، ولكنه نشأ فى المانيا وبقى قرابة الخمسين سنة نتيجة التفوق الحربى والنفوذ السياسى لالمانيا ، التفوق والنفوذ اللذين كانا مقرونين بذلك النظام .

الجيش الالمانى

كان اهتمام الامبراطورية الكبير موجها الى العناية الدائمة بالجيش لا سيما وأن بسمرك ورجال الحرب كانوا يحرصون دائما على تفوق المانيا الحربى واستعدادها التام فى كل وقت لمواجهة أى خطر يهدد المانيا سواء أكان من ناحية فرنسا أو الروسيا أو النمسا .

وكان بسمرك يتخذ مسألة رغبة فرنسا للثأر والانقضاض على المانيا وسيلة لإقناع الريشستاج بالموافقة على المطالب التى يقدمها خاصة بالجيش. وكان بسمرك يعتقد أن قوة الجيش الالمانى وتفوقه من أكبر عوامل السلام فى أوربا. فكانت المانيا تستعد دائما لحرب مقبلة وتقوم بانشاء تحصينات وخطوط حربية . وما كان بسمرك يتورع عن حل الريشستاج إذا امتنع عن الموافقة على قوانينه الخاصة بالجيش . كما أخذت المانيا تهتم اهتماما خاصا بتنمية الروح الحربية فى البلاد .

وكانت المسألة التى تشغل ذهنه بجانب الاهتمام بالمحافظة على الوحدة والعناية بالجيش هى المسألة الدينية.

المسألة الدينية

المسألة الدينية ناشئة من وجود قسم كبير من الألمان الداخلين فى الوحدة يدين بالكاثوليكية، لاسيما إمارات الجنوب، أما أجزاء الشمال فتدين بالبروتستنتية اللوثرية أو الكلفنية .

لم تكن البروتستنتية مبعثا لأى قلق عند بسمرك فالبروتستنتية تقول بإشراف

الدولة على الكنيسة ، وبإشراف الدولة على التعليم ولا تعترف بالبابوية ولا تقبل تدخلها فى شئونها الدينية . وكان بسمرك يؤمن بقوة الدولة وبضرورة سيطرتها على حياة الشعب، وكانت الكاثوليكية بوضعها المعروف فى ألمانيا فى السبعينات حجر عثرة فى سبيل تنفيذ مبادئه . وكان بسمرك يخاف من أن تكون الكنيسة الكاثوليكية سلطة داخل سلطة الحكومة الألمانية ، سلطة مستقلة عن الدولة الألمانية ، تستوحى إلهامها من روما ، من البابوية . وكان للبابوية نفوذ لا بأس به على الكنيسة الكاثوليكية فى ألمانيا، لا سيما وقد نشأ فى ألمانيا نوع من الكنيسة المتطرفة ونوع من المتعصبين للكنيسة الكاثوليكية يسمون المتطرفون Ultras.
ولقد كان ذلك نتيجة لمنشور البابوية فى سنة ١٨٧٠ الذى يقول بسلطة البابا النهائية فى كل الشئون التى تتصل بالكاثوليكية وبالاعتقاد الدينى الكاثوليك.فأصبح رجال الدين الكاثوليك فى ألمانيا ليسوا إلا واسطة بين البابا والرعايا الكاثوليك. والواقع أن بسمرك أحس من ذلك الإعلان البابوى أن البابوية تريد التدخل عن هذا الطريق فى المسائل الدينية . فهذه الامبراطورية التى شادها بالدم والحديد - فى نظره - ليست الامبراطورية المقدسة ولا الامبراطورية الهابسبرجية ، وإنما هى امبراطورية قبل كل شىء بروتستنتية . ولذا فقد تجدد النزاع بين الامبراطورية الجديدة والبابوية الجديدة .

وكان على رأس الحزب الكاثوليكى فندتورست Widthorst الذى أخذ على عاتقه الدفاع عن المصالح الكاثوليكية المهددة ، والمطالبة بالتعليم الكاثوليكى فى المدارس والجامعات .. وبين هذا الحزب والحكومة القيصرية نزاع شديد أطلق عليه اسم الكلتركامبف Culturkampf الدينية (النزاع الدينى).

كان بسمرك يخاف على الدولة التى أنشأها من أن تهددها الاختلافات

الدينية ، ثم هو بعد ذلك لا يرضى بادعاءات الكاثوليكية فى كونها معصومة ومتفوقة على السلطة الزمنية . ولذا أخذ على عاتقه القضاء على الحركة الكاثوليكية باستعمال البوليس من ناحية وبالتشريع من ناحية أخرى ، وبطرد الجزويت من المانيا ، وبالقضاء على مطالب الكاثوليك بالإشراف على التعليم وبإحلال الدولة محلهم فى تلك الشئون .

ولقد استمر النزاع بين السلطتين الدينية والزمنية زمنا طويلا حتى مل بسمرك الاستمرار فيه ، وانتهى الامر بالإتفاق نهائياً فى ١٨٨١ . وانتهى آثار ذلك النزاع نهائياً فى ١٩٠٤ حينما أغلقت أبواب ألمانيا أمام الجزويت .

والواقع أن بسمرك اضطرته عوامل أخرى - غير العوامل الداخلية - إلى وقوفه هذا الموقف إزاء الحركة الكاثوليكية، هى عوامل خارجية ، تمثلت فى أن الكاثوليك فى ألمانيا ضموا صفوفهم إلى جانب الكاثوليك الفرنسيين الذين كانوا يعطفون على الألمان . ثم القلق الذى كانت تثيره البابوية بتدخلها فى شئون البولونيين الخاضعين لألمانيا .

الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى

كان النظام السائد فى المانيا هو نظام الرأسمالية ، فكان النصف الثانى للقرن التاسع عشر عهد المشروعات Unternehmung والرأسمالية . لقد انتهت العصور الوسطى فى المانيا كما انقضى عصر الحكومة الاستبدادية المستنيرة بنهضة بروسيا فى أوائل القرن التاسع عشر . فالنظام الاقطاعى ونظام الطوائف الصناعية كانا آخذين فى الاضمحلال .

وفى أوائل القرن التاسع عشر كانت ألمانيا قطراً زراعياً فقيراً حياته

الاقتصادية الحديثة لا زالت فى المهد . ولقد قسمت معاهدة ڤينا (١٨١٥) المانيا اقتصادياً كما قسمتها سياسيا . ولقد عمل نظام التسلفرين على توحيد المانيا اقتصادياً . وبعد ثورة سنة ١٨٤٨ بدأت رؤوس الأموال تنموا فى ألمانيا . والواقع أن المانيا الرأسمالية الحربية تكونت فى المدة ما بين ثورة ١٨٤٨ والحرب الفرنسية الألمانية ١٨٧٠ .

ثم أخذت حياة ألمانيا الاقتصادية فى النمو السريع ، فأنشئت السكك الحديدية على نطاق متسع . ودخلت النظم الحديثة نهائياً فى الصناعة المعدنية وصناعة النسيج . وتعتبر بضع السنوات التى تلت ١٨٧٠ الأساس المتين الذى بنيت عليها حياة المانيا الاقتصادية الحديثة ، فالتفوق السياسى والحربى والغرامة الفرنسية ، والاستيلاء على منطقتى الألزاس واللورين الغنيتين عملت كل هذه على تقدم ألمانيا السريع .

ولقد وجه بسمرك اهتماما كبيراً إلى العناية بحياة ألمانيا الاقتصادية ، وأهم موضوع سيوجه إليه انتباها كبيراً هو تشجيع الصناعات المحلية ، وذلك عن طريق وضع حواجز جمركية واتباع سياسية الحماية . وبذا يزداد الدخل القومى وتقوى الصناعات الألمانية .

كذلك حدث تطور فى المانيا من الناحية الاجتماعية ، فنمو طبقة الصناع وتحرير طبقة الزراع وتوجيهم الجهود لتأسيس كتلة من الطبقة الدنيا لمحاربة الرأسمالية ، كتلة تأثرت بآراء فختـه Fichte وهيجل Hegel وهس Hess وجيوم Gium وماركس Marx وانجلز Engels .

تكونت فى المانيا أحزاب حرة وأحزاب [1] اشتراكية ، وأهم حزبين

١ - فى سنة ١٨٧٥ انضمت الأحزاب الاشتراكية تحت لواء حزب واحد هو حزب العمال الاشتراكى الألمانى .

اشتراكيين هما اتباع لاسال Lassalliens وال International. ولقد أخذت الاشتراكية الالمانية فى النمو حتى بعد إتمام حركة الوحدة .

ولقد كان بسمرك ينظر إلى نمو الاشتراكية بعين الفزع لا سيما بعد محاولتى ١٨٧٨ لاغتيال القيصر ، المحاولتين اللتين قام بها اشتراكيان ، وإن كان الحزب الاشتراكى قد أعلن عدم رضائه عن مثل ذلك العمل . ولكن كانت هذه المحاولات فرصة انتهزها بسمرك لاضطهاد الاشتراكيين والحركة الاشتراكية . ولكى يقضى بسمرك على الدعاية الاشتراكية اتخذ طريقين : أولهما عن طريق الاضطهاد ، والثانى عن طريق التشريع لاصلاح حال العمال ، ولتفريق شمل الاشتراكيين . كذلك وضع قانون التأمين الإجبارى ضد المرض وضد الحوادث وضد الكبر .

فبينما كان بسمرك يحاول القضاء على الاشتراكية إذا به يسن اشتراكية الدولة .

وكما وجد بسمرك عنادا من الكاثوليك وجد عنادا من الاشتراكيين ، وفعلا قام النزاع بينه وبين الاشتراكيين فى الريشستاج ، بينه وبين زعمائهم من أمثال ليبكنخت Liebknecht وبيل Bebel . ولربما ظهر فى أول الأمر انتصار بسمرك فى هذه الميدانين ، ولكن مجهوداته كانت فاشلة فى آخر الأمر .

وجدنا مما تقدم أن مركز بسمرك كان محوطا بصعوبات كبيرة ، بصعوبات خارجية وأخرى داخلية لا تقل عن الأولى فى الأهمية . فبينما كان منهمكا فى المشاكل الدينية ومشكلة نمو الاشتراكية ، وبينما كان مهتما بحفظ المستوى المتفوق للجيش والعمل على زيادة تقويته ، وبالمحافظة على الوحدة السياسية والعمل على إنماء الثروة الاقتصادية ، وعلى الاصلاح الاجتماعى كانت هناك

مشاكل خارجية تسترعى انتباهه ، فهناك موقف الدول الأوربية التى لا تنظر بعين العطف للدولة الألمـــانية الجديدة . ولقد عرفنا موقف كل من انجلترا والروسيا والنمسا . وقبل أن نتكلم على العلاقات الفرنسية الألمانية ، وهى فى الواقع عماد حياة أوربا السياسية فى السنوات الخمس التى تلت حرب السبعين، يجب أن ندرس الحالة فى فرنسا وموقفها إزاء الدولة القاهرة لها .

الفصل الثانى

فرنسا بعد الهزيمة

من الناحية السياسية كانت فرنسا منقسمة نتيجة للظروف السياسية المختلفة والثورات المتعاقبة فى خلال القرن التاسع عشر إلى أربع أحزاب مهمة : البونابرتيون والجمهوريون والارليانيون والملكيون البوربونيون الرجعيون .

أما الأولون فلقد وصلوا إلى الحكم حينما وعدوا الفرنسيين بالسلام فى الداخل والخارج ، ولكن بعد الحروب المتعاقبة التى قاموا بها ، بالاضافة إلى كارثة سيدان لم يعودوا قادرين على مواجهة الشعب الفرنسى بمثل هذه الوعود .

أما الجمهوريون فلقد كان جزء من الرأى العام يؤيدهم، لأن الأيام أثبتت أن انتقادهم للبونابرتيين قد صحت وجهة نظره ، وأن نضال رجال من الجمهوريين من أمثال كينية Quinet و مارتان Martin وفافر Favre ، وسيمون J.Simon وبيكار Picard كون للجمهوريين اسما فى فرنسا . ثم إن نشاط جمبتا وفريسنيه جعل جزءا من الرأى العام الفرنسى يعتقد فى الجمهورية . ولكن قلل من أثر دعايتهم دعاية خصومهم من الملكيين باستثارة ذكريات فوضى أيام الارهاب وخوف الشعب الفرنسى من انقلاب اجتماعى .

هذه الدعاية قوت من مركز الملكيين من أنصار آل أرليان والبوربونيين الرجعيين الذين كان يؤيدهم الفرع المتطرف للكنيسة الكاثوليكية . أما آل ارليان فلربما لم يكن الشعب الفرنسى متذكرا الظروف التى سقطت فيها ملكيتهم .

هذه هى الأحزاب التى كانت تكون المجلس الوطنى الذى اجتمع ليبت فى أمر الصلح مع ألمانيا .

ومها اختلفت نزعات وأهواء أعضاء ذلك المجلس فلقد كان الميل العام متجها نحو النظام البرلمانى . ويتكون المجلس الوطنى من ٦٣٠ عضوا ، ثلثهم جمهورى وعلى رأسهم لوى بلان ، وجريفى وهيجو وفافر وسيمون وفرى وجمبتا . الاورليانيون منهم : سانت سير Saint-Cyr ، ولوفلو Le Flô ، وبروجلى Broglie ، ودكاز Decazes . والرجعيون دى مو de Meaux و جنتو بيرون Jontaut-Biron . والبونابرتيون فورتون Fourton ، وجاثينى Gauini ، ومورا Murat . والمستقلون منهم ليون ساى Léon-Say ، ووادنجتون ، وديفور Dufure . ومعظم هؤلاء رجال مبادىء لا رجال أعمال .

على رأس الحكومة مسيو تيير وهو لا يفكر إلا فى صحة سلامة فرنسا " La santé de la France " . قبل توليه المنصب لم يكن جمهوريا ، ولكنه لم يكن يخش النظام الجمهورى . وبعد سنة ١٨٧٠ اعتقد أن الجمهورية هى النظام الوحيد الصالح لفرنسا . ولذا فهو بعد كارثة ١٨٧٠ جمهورى . ولقد أدخل معه فى الحكم ثلاثا من الجمهوريين . وكان همه الوحيد العمل على توحيد البلاد وتوجيه الجهود لانقاذها من الفوضى ، وسيعمل على توطيد النظام الجمهورى فى فرنسا .

انتخب المجلس له رئيسا ممن عرفوا بآرائهم الجمهورية المعتدلة . وعين المجلس مسيو تيير رئيسا للهيئة التنفيذية . ولم يفكر المجلس أول الأمر فى جعل فرنسا ملكية ، لأنه كان يخاف من حرب أهلية ، وكان الملكيون أنفسهم يرغبون فى أن تصفى الجمهورية حساب الحرب . ولقد اتخذ تيير سياسة محايدة بإزاء الأحزاب المختلفة . فكان الاورليانيون يظنونه رئيسا لحزبهم . ولو أن الجمهوريين كانوا

يكرهونه إلا أنهم يعتقدون أنه الرجل الوحيد الذى يمكنه مواجهة بسمرك . ولذا وافقوا على اختياره . ومن اليوم الذى اختير فيه عمل جهده على نشر الدعة والطمأنينة فى فرنسا ، وإعادة تنظيمها وإحيائها من جديد . وهذا بطبيعة الحال يعد من أجل الأعمال التى قام به سياسى فرنسى ، لأن حالة فرنسا الحربية والاقتصادية والمالية كانت قد تضعضعت إلى حد كبير .

ولقد اعترفت الدول الأوربية بالدولة الفرنسية الجديدة . وأخذت الحكومة على عاتقها عقد الصلح مع ألمانيا ، وكان هذا من الأعمال التى واجهها مسيو تيير .

كما كان عليه إعادة العلاقات السياسية بين فرنسا والدول ، واصلاح مركز فرنسا الدولى بتعيين سفراء جدد .

العقبات تواجه تيير

أخذ مسيو تيير فى إصلاح النظام الادارى بتعيين موظفين جدد وبتنظيم الجيش ، وعهد بذلك إلى الجنرال مكماهون Mac Mahon وبدأت فرنسا بتنفيذ شروط معاهدة فرنكفورت (١٠ مايو ١٨٧١) وبإعادة تنظيم نظام الضرائب لكى تتمكن من دفع الغرامة . كما بدىء بوضع القوانين التى تكفل الاستقرار الداخلى مثل القانون ضد الشيوعيين ، والبدأ فى المفاوضة لإخلاء الأراضى الفرنسية .

وأول المسائل التى واجهها مسيو تيير هى المشكلة الدستورية ، والمشكلة الدستورية كانت أهم المسائل التى سيحاول المجلس الوطنى دراستها .

وكان على المجلس أن يبحث أولا هل له الحق فى دراسة مشروع لدستور جديد لفرنسا . هل خوله الشعب ذلك الحق . وإذا كان له ذلك الحق فأى نوع من الدساتير أكثر ملاءمة لحالة فرنسا بعد الكارثة التى حلت بها . أى نوع من

الدساتير يكون أكثر صلاحية لإعادة الأمن واحترام الحكومة فى الداخل واسترجاع هيبة فرنسا ومركزها الدولى المحترم فى الخارج . أى الدساتير أصلح لدولة منهزمة قد انهار جيشها وضاعت هيبتها . ثم هى مثقلة بغرامة حربية كبيرة وجيوش الاحتلال لا تزال باقية فى أرض فرنسا . أى الدساتير أصلح لدولة ضعيفة تراقبها عيون العدو القوية ، ذلك العدو الذى يتوثب للتدخل إذا ما ظهرت فى فرنسا أية فرصة للتدخل . وبعبارة صريحة هل فرنسا حـــــرة فى اختيار الدستور الذى تريده .

كانت كل هذه الأسئلة تمر فى خلد رجال السياسة الفرنسيين ورجال المجلس الوطنى . ففرنسا أمامهم ضعيفة مثقلة لا تأمن تدخلا المانيا مرة أخرى ولا تقدر على منعه ، ولا تثق فى أى تدخل دولى لصالحها ، حتى فى مسألة تعيين نظام الحكم الذى تريده . كان رجال السياسة الفرنسيين لا يسألون أنفسهم هل يوافق بسمرك على نظام ملكى أو جمهورى لفرنسا ? وإذا كان النظام نظاما ملكيا فهل توافق المانيا على نظام ملكى بربونى أو أورليانى أو نابليونى .

وإذا كان الساسة الفرنسيون بسؤالهم أنفسهم هـذه الأسئلة بالنسبة لموقف المانيا ، كانوا يسألون أنفسهم هذه الأسئلة نفسها بالنسبة لموقف الفرنسيين أنفسهم ، وموقف المجلس الذى ربما كان يمثل إلى حد كبير رغباتهم . ثم هناك مشكلة المشاكل ، هل ذلك المجلس نفسه متفق على نوع النظام الذى يوضع لفرنسا .

لقد تكون ذلك المجلس فى وقت سادت فرنسا موجة من البؤس ، وكان الهدف منه عقد معاهدة الصلح مع المانيا أو استمرار الحرب . لقد أقر ذلك المجلس الصلح ووجد أن أول واجباته هو تعزيز نظام الحكم فى فرنسا .

في المجلس كان الملكيون الذين يقولون بالملكية المطلقة التي تنادي بعودة البربون متأثرين بآراء Joseph de Maistre أحد الفلاسفة السياسيين الفرنسيين وبآراء الكثلكة، يرى ضرورة خضوع الشعب للملك . ويظهر أن حزب الملكيين لم يتعلم كثيرا من التجارب التي خبرتها فرنسا طوال القرن التاسع عشر . وكان مرشح ذلك الحزب ومرشح البربون هنري كونت دي شامبور Henri la Comte de Chambord في سنة ١٨٧١ كانت سنه ٥١ سنة . وكان لا يزال في المنفى متنقلا بين اسكتلندة والمانيا والنمسا وايطاليا . عاش بعيدا عن فرنسا فلا يعرف الفرنسيون عنه كثيراً ، ولكنه من الشخصيات النزيهة المحبة للقيام بالواجب متحمسا للدين الكاثوليكي ، فلقد كانت تربيته دينية جزويتية . ولكنه لم يكن رجل نشاط ولا عمل ، وكان مؤمنا بقوة الله وتصريفه لأموره ومنتظراً بأمان قضاءه وقدره .

بجانب ذلك الحزب، الارليانيون وعلى رأسهم الكونت دي باري Comte de Paris الذي أنتخب عمان له في المجلس الوطني . وكان الارليانيون لهم أتباع لابأس بهم . هؤلاء الارليانيون كان لا مانع عندهم من الاتفاق مع البوربونيين . وسهل الأمر أن الكونت دي شامبور لم يعقب . فإذن هم لايعارضون في أن يتولى دي شامبور ثم يخلفه دي باري . ويجب أن نلاحظ أن كلا الفريقين كان مخلصا لفرنسا .

ولكن هناك مسألة مهمة يجب الإتفاق عليها بين الفريقين هي مسألة العلم ، ماذا يكون علم فرنسا هل هو العلم الأبيض علم البوربون أو العلم المثلث الألوان علم الثورة وعلم الارليانيين . فالكونت دي شامبور كان مصراً على العلم الأبيض ولا يمكنه التنازل عن رأيه .

ثارت كل هذه المشاكل من أول لحظة ، ولكن تيير تمكن ببعد نظره السياسى من إرجائها ، ولم يعلن نفسه منضما إلى فريق دون فريق حتى تسوى مسألة باريس أو مسألة مجلس باريس La Commune .

لقد فقدت باريس بعد انتقال الحكومة منها (الى بوردو) جزءاً كبيراً من أهميتها السياسية مما دعا بطبيعة الحال إلى استياء سكانها، فباريس التى كانت تسيطر على فرنسا قد فقدت سلطانها على الأقاليم ، وكان لزاما عليها تلقى الأوامر من الأقاليم . كما أن الحصار الألمانى لها بصفة خاصة والحرب بصفة عامة قد نتج عنها سوء الحالة الاقتصادية ، الى حد أن تعرضت باريس للمجاعة . ثم إن باريس جمهورية الشعور ساءها أن يكون مجلس بوردو معظمه ملكيون ، كما ساءها عليها بنبأ موافقة الحكومة على دخول الألمان باريس . ثم باريس دائماً محط رجال الثورة من بلانكيين ويعقوبيين واشتراكيين . الفوارق التى تفصل بين هذه الأخيرة فوارق غير مهمة . ثم هناك فوق ذلك الشيوعيون .

وهناك مسألة جوهرية هى أن باريس ترمى دائماً إلى المحافظة على نظام جمهورى مركزى . والأقاليم ترغب فى نظام تعاهدى وتريد التخلص من سيطرة باريس .

ثورة باريس

تكون مجلس باريس La Commune لا للدفاع ضد الألمان ، وإنما للدفاع عن الجمهورية ضد حكومة فرساى . ولقد بدأت عوامل الثورة فى باريس حينما بدأ الحصار الألمانى لها ، وساعد على قيام الثورة رجوع كثير من المحاربين الذين اضطروا إلى إلقاء سلاحهم نتيجة لشروط الهدنة . وبدأت المدينة فى التسلح وتكونت اللجنة المركزية Comité Central وأعلنت اللجنة أن النظام

الجمهورى هو النظام الوحيد المناسب لفرنسا ولا يمكن التناقش فى أى نظام آخر .
وبدأ الغوغاء حركة السلب والنهب ، وبنيت المتاريس ورفعت الراية الحمراء .
ولقد وصلت الحركة الى ذورتها حينما دخلت الجيوش الألمانية باريس واحتلوا
بعض أجزائها،ووصل بسمرك إلى ميدان الكونكورد Place de la Concorde
وبعد ذلك خرجت الجيوش الألمانية من باريس وبدأ المجلس الوطنى مناقشاته
فى مسألة نظام الحكومة . وأخذت الحكومة فى نزع السلاح على حسب شروط
الصلح والبدأ فى التفكير فى دفع الغرامة . ولقد رفض رجال المال مساعدة
الحكومة إذا لم تعمل من جانبها على توطيد دعائم الأمن والقضاء على الثوريين
والاشتراكيين والشيوعيين ، أى القضاء على الحزب الأحمر . وفعلا بدأت
الحكومة تركز الجنود فى بعض أجزاء باريس ، فتفاقمت الحالة واضطرت
الحكومة إلى ترك باريس وإخلائها من الجنود . وقامت الثورة وقتل فيها بعض
كبار ضباط الجيش الفرنسى .

أخذت الحكومة على عاتقها القضاء على الثورة فحاصرت باريس وساعدها فى
ذلك مكماهون والجنود الأسرى الذين أخلى الالمان سراحهم بناء على طلب تيير ، وكان
على رأس الثوار دوليكلوز Delescluze و بيا Pyat و فرموريل Vermorel
وغيرهم من البولونيين والايطاليين الذين قاموا بتنظيم الدفاع عن باريس . واستمرت
الحرب سجالا بين الحكومة وباريس ضربت خلالها المدينة بالقنابل ، إلى أن
تمكنت الجنود الفرنسية من دخولها . والواقع أن باريس قاست من ذلك الحصار
أكثر من حصار الالمان لها ، فتلف جانب كبير من أبنيتها ونظامها .

ولقد تمكنت الحكومة من ارجاع الأمن بعد إعدام من أعدم وبعد نفى من
نفت، ومحاكمة من حاكمت ، وسجن من سجنت . تم ذلك فى مايو وتكون ثورة

باريس قد استغرقت نحـــو شهرين . وتم اخضاع باريس فى نفس الشهر الذى عقدت فيه معاهدة فرنكفورت . وبالقضاء على ثورة باريس انتهى كون فرنسا حكومة جمهورية اشتراكية أو شيوعية .

وبينما كانت الأحزاب الملكية تتقرب من تيير أخذ الجمهوريون كذلك وعلى رأسهم جمبتا Gambetta يتقربون منه ويلتفون حوله .

وأخيراً أعلن المجلس الملكى أن مسيو تيير رئيس الهيئة التنفيذية رئيسا للجمهورية الفرنسية .

الأحزاب الفرنسية وعودة الجمهورية

بعد أن انتهينا من باريس نرجع إلى مسألة الأحزاب . نلاحظ دائماً ازدياد قوة الجمهوريين بالتدريج نظراً للاختلافات بين الأحزاب الملكية، بين النابليونيين والبوربونيين . ويرجع ذلك الى سببين : الأول أن سقوط نابليون الثالث أضعف بطبيعة الحال موقف الملكيين ، والثانى للمجهودات الضخمة التى بذلها جمبتا للدعاية للجمهورية .

ويرسم لنا جبريل هانوتو حالة الأحزاب وصفا شيقا ، فهو يوضح لنا مركز تيير الصعب ، فهو لم يعد يعتمد عليه لا من الجمهوريين ولا من الملكيين تمام الاعتماد . فلقد ظهر أن رأيه هو الجمهورية المحافظة La Republique conservatrice ، وانتهى الأمر باستقالة تيير Thier فى ١٨٧٣ وانتخاب مكماهون رئيسا للجمهورية . كل هذا والجمهورية لم تتكون رسميا بعد ، فكان هذا نصراً للأحزاب الملكية . وربما ظن الجميع أن مركز الملكية قد توطد فى

1- Hanot., Hist. de la France Contemporaine T. IV

فرنسا ، ولكن من الغريب أن ذلك المجلس الذى أغلبيته ملكية وفى عهد مكماهون الميال للملكية يوضع دستور الجمهورية .

ومكماهون أيرلندى الأصل كما نرى من اسمه ، له ماض حربى مجيد فى الجزائر وفى القرم وفى شمال ايطاليا حيث نال لقب Duc de Magenta . اشترك فى الحرب السبعينية وجرح فى موقعة سيدان ، وهو الذى أخضع ثورة الكومون Commune وهو ملكى النزعة متحمس للكاثوليكية . ومن الطبيعى أن يكون نفوذه فى صف الملكية ، وعمل فعلا على شل حركة الجمهوريين والعمل على رجوع الدوق دى شامبور كالملك هنرى الخامس . ولكن اختلاف الثلاثة أحزاب الملكية بالرغم من أن أغلبية فرنسا محافظة بطبيعتها ولاسيما الاقاليم ومعارضة الجمهوريين وعناد دى شامبور ضيع الملكية .

دستور الجمهورية الثالثة (١٨٧٥)

واختلاف الملكيين دعا إلى انضمام بعضهم إلى الوسط الذى يميل ناحية اليسار، وتكوين الجمهورية الثالثة فى فرنسا يقترن باسم والون[1] M. Wallon الذى اقترح فى سنة ١٨٧٤ الأخذ بالنظام الجمهورى والمناداة بالجمهورية فى فرنسا . وهو الذى اقترح أن يكون دستور فرنسا الذى أخذ المجلس على عاتقه وضعه دستورا جمهوريا ، فيقول فى إحدى جلسات يوليو ١٨٧٤ «إن اقتراحى لاينادى بالجمهورية فحسب بل هو يؤسس الجمهورية فعلا ، إن اقتراحى هذا لم يكن نتيجة الحماس ولا أدعى أن النظام الجمهورى هو خير نظام للحكم » . والانتخابات التى جرت فى يناير ١٨٧٥ كانت فى الواقع بادئا لتأسيس النظام الجمهورى فى فرنسا .

١ — كان ممثلا للشمال وأستاذا للتاريخ .

فلقد اقترح الإبقاء على نظام الحكم الجمهورى ، النظام الذى حكم فرنسا منذ عقد الصلح . ولقد قبل اقتراحه بأغلبية صوت واحد .

لقد قرر المجلس الوطنى الدستور، وهو لم يكن نتيجة عقلية فرد واحد، إذ لم يسيطر على وضعه شخصية واحدة أو فريق معين . فلا يوجد هنا سيس [١] Siéyes ولا نابليون ، وان تقرير دستور بصوت واحد لجدير بجذب الانتباه . فدستور ١٨٧٥ تأثر بظروف فرنسا الداخلية ، بهزيمة الامبراطورية وبثورة الكومين وبسيطرة العناصر المحافظة وبنتيجة التجارب الدستورية الماضية التى خبرتها فرنسا وتجارب انجلترا وأمريكا ، وبكتابات الكتاب السياسيين مهما اختلفت مشاربهم وآراؤهم .

لقد قبل المجلس « سيادة الشعب صاحب السيادة » The sovereignty of the popular sovereign people ولو أنه فى مناقشاته كان يعارضها .

قام ذلك الدستور على مبدأ أن المواطنين متساوون وأحرار ، ولم يكن فيه أثر كبير للدستور الانجليزى أو السويسرى [٢] . ففرنسا تريد نظاما حراً liberale وديمقراطياً démocratique ووحدوياً unitaire . واتبعت فرنسا نظاما تمثيلياً برلمانيا جمهوريا قائما على التصويت العام .

أصبحت فرنسا جمهورية على رأسها رئيس هو رئيس الجمهورية وينتخبه المجلسان ، مجلس النواب ومجلس الشيوخ مجتمعين ، ورئيس الجمهورية فى فرنسا

---

١ ـ كان عضوا فى حكومة الادارة وممن اهتموا اهتماما زائدا بشكل الحكومة الثورية .

٢ ـ د. محمد مصطفى صفوت . الجمهورية الحديثة ص ٣١ .

لا يتمتع بسلطات كبيرة ، ولكن له نفوذ أدبى وشخصى كبير ، إذ لم يكن ممنوعا من حضور جلسات مجلس الوزراء . وربما كان له من القوة ماللملك الانجليزى من الناحية العملية الحالية .

الانتخاب جعل من حق الرجال الذين تزيد سنهم على ٢٠ عاما . وهناك مجلسان ، مجلس نواب ينتخب لمدة أربع سنوات ومجلس شيوخ ينتخب لمدة تسع سنوات . فى الأول لم يكن كل أعضاء السناتو منتخبين ، فكان رئيس الجمهورية يعين ٧٥ منهم ، ولكن بالتدريج ألغيت فكرة التعيين ، وكان كل من يموت من المعينين ينتخب من يحلس مكانه ، وذلك بعد إصدار القانون الخاص بضرورة انتخاب كل أعضاء مجلس الشيوخ . وكان ينتخب أعضاء مجلس الشيوخ نواب تعينهم المجالس الاقليمية فى فرنسا .

وكان لأقسام فرنسا نوع من الحكم الذاتى ، ولكن دستور الجمهورية الثالثة احتفظ بالتقسيم الإدارى القديم للملكية وللامبراطورية ، واحتفظ بنظام تعيين الحكومة المركزية حكامها .

وربما كان هناك بعض الشبه بين ذلك الدستور والدستور الانجليزى، وكثير من الملكيين الفرنسيين كانوا يؤملون لو استبدلت فرنسا بنظام رئيس الجمهورية نظام الملكية ، ولكن هذا لم يحدث إلى الآن [١] .

ومع أن النظام البرلمانى كان مشابها بعض الشبه للنظام الانجليزى ولو من الناحية النظرية ، إلا أن طريقة تطوره وعمله كانت مخالفة شدة المخالفة للنظام البرلمانى ومسألة مسئولية الوزارة أمامه . وفى حقيقة الأمر ، فالوزارة الانجليزية تمكث فى الحكم سنوات بينما الوزارة الفرنسية قد تلبث أياما ، وذلك لأن نظام

١ المصدر السابق ص ٣١

الأحزاب الفرنسية بطبيعة الحال تختلف اختلافا بينا عن النظـــام الانجليزى . فالأحزاب فى فرنسا لا تمتاز عن بعضها فى برامجها .

ولم توجد أى محاولة خطيرة لقلب ذلك النظام الجمهورى إلى أن داهمت فرنسا الحرب العالمية الثانية. كانت هناك محاولات مثل محاولة الجنرال بولنجر Boulanger التى كانت ترمى الى دكتاتورية الجيش ، ولكنها فشلت لتردد وضعف شخصيه بولنجر .

ونعتبر النظام الجمهورى قد تأسس فى فرنسا بصفة نهائية حينما نجح الجمهوريون نهائيا فى الوصول إلى الحكم منذ آخر ١٨٧٧ ، وحينما تربع جيل جريفى Jules Grévy على منصة رياسة الجمهورية ، وحينما نجحت سياسة الجمهورية الخارجية فى احتلال تونس ١٨٨١ .

الفصل الثالث

المسألة الشرقية

أوضحنا من قبل كيف أن الحرب الفرنسية الالمانية أعطت المانيا وحدتها وجعلت لها مركزاً متفوقا فى القارة . وشعرت الامبراطورية الألمانية الجديدة أنها فى حاجة إلى السلام لتوطيد الوحدة التى تمت فى ميدان الحرب . يجب أن تحافظ هذه الامبراطورية على تفوقها الحربى لأنه وراء حدودها يقف عدو متعصب لقوميته ، متعطش للإنتقام إذا سنحت له الفرصة المناسبة . كما أن المانيا كما ذكرت لكم، محاطة بدول تنظر إلى الدولة الجديدة بعين الحسد والحذر.وكان على المانيا أن تستمر فى تقديم تضحيات فى وقت السلم كما كانت تفعل وقت الحرب .

على الجانب الغربى لألمانيا كانت ثقة الفرنسيين بمستقبل بلادهم ؛ ذلك الشعور الناشىء عن الآلام التى قاستها فرنسا، قد دعا لتوحيد الجهود لخدمة فرنسا . كانت فرنسا كما رأينا قد عملت على التخلص السريع من نتائج غلطات الماضى . وكما رأينا كانت سريعة التقدم فدفعت الغرامة الحربية وأوفت بالتزاماتها بسرعة أثارت إعجاب العالم بقدر ما أزعجت بسمرك .

كذلك كانت فرنسا ميالة إلى الكاثوليكية .ولقد قام أساقفتها بتعضيد إخوانهم فى المانيا مما أثار غضب بسمرك ، فلقد رأى الأخير أن فرنسا تستعمل المسألة الدينية كوسيلة للقضاء على وحدة المانيا .

كما وجد بسمرك فى سقوط تيير ذلك الجمهورى المحافظ وفى اعتلاء مكماهون الكاثوليكى الملكى ورجل الحرب مدعاة لإثارة مخاوفه ، لأن بسمرك كان يعرف أن فرنسا فى ظل حكم الأحزاب اليمينية ستكون أكثر تفاهما مع روسيا ومع البابوية . وهذا ما يسعى بسمرك إلى تجنبه لعزل فرنسا عن القوى الأوروبية المناهضة له ولسياسته .

كذلك كان بسمرك متضجرا من رغبة فرنسا فى الثأر منها ومن «حركة الانتقام» La Revange التى كانت ترمى إلى الانتقام من المانيا واسترداد الأراضى المفقودة، الالزاس واللورين.

ولقد وجدت حركة الانتقام تأييدا من بعض الشخصيات الفرنسية الممتازة من أمثال جامبتا الذى كان ينادى بأن فرنسا لا يمكن أن تتبع سياسة غير سياسة العمل على تخليص الالزاس واللورين من النير الألمانى .

وليت الأمر اقتصر على ذلك ، ففى برلين نفسها كان سلوك السفير الفرنسى جونتون بيرون Gontaut-Biron معيبا فى نظر المستشار الألمانى . فلقد كان السفير كبير الود لأعداء بسمرك الشخصيين ، وكانت بنات ذلك السفير ينتقدن سياسة بسمرك بطريقة استهجنها الأخير. كذلك القوانين التى اتخذتها فرنسا حيال الجيش أثارت مخاوف المانيا .

ولذا عمل بسمرك جهده على الإكثار من انذار فرنسا وتهديدها ، حتى لا تفكر فى إثارة حرب جديدة ، ربما أدت إلى تدخل الدول الأوربية والإطاحة بما لالمانيا من مركز متفوق فى أوربا . وقامت الصحف الألمانية بالحملة على السياسة الفرنسية وبلغت الأزمة بين فرنسا والمانيا مبلغا هددت بالحرب بين الدولتين فى أواخر ١٨٧٤ وأوائل ١٨٧٥ . فلقد نشرت صحيفة المانية ذلك الموضوع :

هل الحرب منتظرة الوقوع بين الدولتين ؟ .

كان على رأس وزارة الخارجية الفرنسية الدوق ديكاز Duc de Decazes وهو معروف بلباقته السياسية وبميله إلى الانضمام إلى انجلترا والروسيا . ولو أن الانضمام إلى الروسيا فى ذلك الوقت كان يستلزم عداوة انجلترا . أسرع ديكاز Decazes حينما ظهرت هذه المقالة إلى الاستنجاد بانجلترا والروسيا موضحا لهما أن فرنسا لا تريد الحرب وأن المانيا هى التى تريد التحرش بفرنسا ، هذه الدولة التى كانت نهضتها سريعة بعد كارثة ١٨٧٠ ، وكانت كل من الدولتين تميل إلى تأييد فرنسا ومناصرتها . لان الإبقاء على فرنسا كقوة دولية ضرورى لحفظ التوازن الاوربى . ليس هذا فحسب ، وإنما لحفظ كيان ومصالح الدولتين الروسية والانجليزية . فألمانيا كدولة فتية يهمها تدعيم وجودها وبقائها، لن تعير مصالح انجلترا أو روسيا اهتماما إذا ما تعارضت مع مصالحها الخاصة .

تدخلت الدولتان بسرعة لمنع تدهور الموقف بين ألمانيا وفرنسا ، وأرسل كل من قيصر الروسيا وملكة انجلترا خطابا للامبراطور الألمانى يدعوانه فيها إلى ضرورة الحفاظ على السلام .

هل كان بسمرك يريد الحرب فى ١٨٧٥؟ هذا سؤال حاول الاجابة عليه كثير من الباحثين ، فالفرنسيون يميلون إلى القول أن بسمرك كان يريد الحرب فعلا لولا تدخل الدولتين ، وغير الفرنسيين يظنون أن بسمرك ما كان يريد الحرب وإنما كان يريد فقط تهديد فرنسا ، والبعض يقول أن بسمرك كان يريد جس نبض الدول لمعرفة موقفها إزاء فرنسا إذا ما هددتها المانيا . والفريق الأخير يقول أن الذى خلق هذه الأزمة هو الوزير الفرنسى ديكاز لكى يظهر المانيا عدوة للسلام معتدية على حقوق الدول الضعيفة .

على العموم مرت هذه الأزمة بسلام نتيجة لتدخل الدولتين ، وكان لذلك التدخل أثره فى سياسة بسمرك ذاتها .

فبعدما كان بسمرك يتخذ مع فرنسا سياسة التهديد والوعيد فكر فى تغيير سياسته فلم تعد فرنسا فى عزلة سياسية كما كان يظن . بل أن دولتين من دول أوربا الكبرى تعطفان عليها ولا تسمحان بإبعادها أو القضاء عليها .

كما رأى أن أوربا ليست صديقة حقيقية لألمانيا ، فبدأ يفر من سياسته هذه وعاد إلى اتباع سياسة ودية نحو فرنسا ، سياسة محاولة كسب ود فرنسا ، وإرضاء الدول الأوربية الأخرى .

سياسة التعويض والاستصلاح

ونظر بسمرك حوله فوجد أن ممتلكات الدولة العثمانية ربما قامت بغرضه المنشود، فألمانيا ليست كالروسيا أو النمسا لها مطامع فى الدولة العثمانية تحاول الوصول اليها بمختلف السبل ، فهى عازفة عزوفا تاما عنها . فالدولة العثمانية عنده لا تساوى دم جندى بروسى . ولكنها فى نظره تمثل الوليمة التى ستدعى اليها الدول الكبرى لاشباع رغباتها ونزواتها ، فهو يرحب بأن توجه هاتان الدولتان جهودهما نحو تقسيم البلقان لينشغلا بعض الشيء عن مناصبة ألمانيا العداء أو العمل على الاتفاق مع فرنسا .

أما انجلترا فيمكنها أخذ مصر إذا أرادت وبهذا تنتبه إلى مطامعها الاستعمارية بدلا أن توجه نشاطها السياسى إلى القارة .

وأما فرنسا فإذا قبلت الأمر الواقع وأظهرت استعدادا لتناسى الماضى، ونبذ فكرة استرداد الالزاس واللورين فليس لدى المانيا مانع من أن تأخذ سوريا أو تونس لو أرادت.وبذا يعمل بسمرك على تقسيم ممتلكات الدولة لارضاء

الدول الكبرى ولحفظ السلام فى أوربا ، وبالتالى المحافظة على الوضع الدولى المتفوق لالمانيا فى أوربا. وكانت الظروف مواتيه لبسمرك لقيام الثورة فى البلقان فى البوسنة والهرسك على الحكم العثمانى ، وفشل العثمانيون فى القضـــاء على هذه الثورة ، وانتشار روح الثورة إلى الشعوب البلقانية الأخرى . ففتح باب المسألة الشرقية على مصراعيه وازدحمت أطماع الدول فى البلقان وخاصة الدولة الروسية والنمسوية المجرية والبريطانية . وقام العثمانيون من جانبهم بمحاولة اخضاع هذه الثورات والقضاء على مطامع الصرب وآمال البلغار وحركة الجبل الأسود . وفعلا نجحوا فى حربهم ضد الصرب وانتقموا من البلغاريين شر انتقام حتى نشأ مايسمى بالمذابح البلغارية ، ولكنهم لم ينجحوا فى القضاء على ثورة الجبل الأسود .

حالة الدولة العثمانية

وهنا يحسن أن نقول كلمة موجزة عن حالة الدولة العثمانية فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر ، ونشرح موقف الدول إزاءها . لقد أصبحت الدولة العثمانية فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر بحق رجل أوربا المريض ، فلقد أوشكت على الاضمحلال نتيجة لعوامل داخلية منها فساد النظم العثمانية ذاتها ، وعدم موافقتها لروح العصر ، ولأنها كانت مكونة من عناصر متمايزة من حيث اللغات والجنسيات. فلما قامت الثورة الفرنسية وحروب نابليون ثار الشعور بالقومية وطالبت الصرب ومصر واليونان والشام بالاستقلال فنجحت الأولى والثالثة لمساعدة أوربا لها، وفشلت الثانية والأخيرة لوقوف أوربا ضدها .

لقد كانت عظمة الدولة العثمانية قائمة على المجد الحربى، فلما انهزمت جيوشها زالت عظمة الدولة وهُدِد بقاؤها . ولقد كانت الدولة بالرغم من تفوق العنصر الاسلامى فيها فى منازعات دائمة وحروب تكاد تكون متصلة فى أوربا ضد النمسا وضد الروسيا . والواقع أن ظهور الدولة الأخيرة ونموها على البحر الأسود كان من أكبر العوامل

فى إضعاف تركيا . فبصفة عامة كانت سياسة الروسيا دائما وبإستثناءات قليلة، كانت ترمى إلى القضاء على الدولة والحلول محلها والاستيلاء على القسطنطينية إذا أمكن ذلك، والاشراف على بوغازى البوسفور والدردنيل . كانت سياستها ترمى إلى السيطرة على الشعوب البلقانية كالشعوب الصقلبية عن طريق إثارتها ومساعدتها على الاستقلال عن جسم الدولة

لم تستفد الدولة من الفرصة التى منحها إياها مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ ، فلم تقم بإصلاح حقيقى، ولم تقم بما إتخذته على نفسها من تعهدات إزاء الشعوب المسيحية ، ولم تعمل على تقوية نفسها لكى تستطيع الدفاع عن نفسها أمام خصومها المختلفة. وحينما ندرس المسألة الشرقية يجب دراسة سياسة الروسيا وانجلترا إزاءها . ولنبحث أولاً فى حالة الروسيا ثم فى سياستها نحو تركيا ثم انجلترا

حالة الروسيا

تتعلق المسألة الشرقية أولا بالدولة العثمانية وسياستها فى البلقان وبسياسة الدولة الروسية إزاء الدولة العثمانية وإزاء البلقان وإزاء الأمم الصقلبية .

ثانياً موقف الدول الأوربية الكبرى إزاء الدولة العثمانية وإزاء موقف الروسيا تجاهها .

معظم الكتب تهتم بوصف حالة الدولة العثمانية ثم وصف موقف الروسيا . ولكننا سنبدأ بذكر الحالة فى الروسيا أولا .

لم تكن المشكلة الأولى للروسيا فى السبعينات هى العمل على إنحلال الدولة العثمانية وتقويض دعائمها ، وإنما حالة التغير فى إمبراطوريتها هى بالذات . حالة التغير التى شملت نظم هذه الامبراطورية العظيمة . وأهم هذه التغيرات هو إلغاء رق الأرض أو نظام Serfdom، كما أصبحت الروسيا خاضعة للعوامل والمؤثرات التى أثرت فى أمم الغرب من قبل الإنقلاب الإقتصادى الذى شمل الصناعة والزراعة والمال . كما أصبحت وثيقة الصلة ببقية أجزاء العالم متأثرة بظروفه .

وكان الإصلاح الخاص بنظم ملكية الأرض بادئة لنزاع انقلب إلى تطاحن بين نوع من الديمقراطية أو الدستورية ،وبين نوع من النظم الحرة أو الديمقراطية المحافظة ونوع من الاشتراكية الماركسية وبين اتوقراطية قيصرية تؤيدها بيروقراطية يعضدها البوليس والجيش والكنيسة الأرثوذكسية.

واستمر ذلك التطاحن الذى أدى بالبلاد إلى أزمة سنة ١٩٠٥ وإلى نكبة سنة ١٩١٧ نتيجة لإنهزام الروسيا فى الحرب . ففى سنة ١٩٠٥ إنهزمت الروسيا فى الحرب اليابانية الروسية، وفى سنة ١٩١٧ إنهزمت أيضا أمام الجيوش الألمانية .

وهذه التغيرات التى ذكرت أنها شملت حياة الروسيا فى السبعينات كانت نتيجة طبيعية لإنهزام الروسيا فى حرب القرم .

ومن سنة ١٨٥٦ إلى سنة ١٩٠٤ عرفت الروسيا استقرارا داخليا نسبيا ، ولم تقم إلا بحروب إستعمارية لتوسيع إمبراطوريتها فيما عدا الحرب التركية الروسية فى عام ١٨٧٧ .

لم تكن الحكومة الروسية راغبة فى الحرب لأنها كانت تدرك أنها لن تجلب لها سوى الخسائر، ولكن القيصر الروسى كان تواقا إلى الحرب رغم نصح وزرائه له وإعترافهم بأنها ستعمل على تقليل قيمة الاصلاحات التى قام بها ، وحدث ما كانت تتوقعه الحكومة الروسية . فبالرغم من إنتصار الروسيا عسكريا على الدولة العثمانية إلا أن تدخل دول أوربا حرمها من ثمرة هذا النصر .

لم تكن نتيجة تلك الحرب فى صالح القيصر أو الحكومة الروسية ، فأظهرت مدى ضعف النظام الحاكم فى روسيا وعجزه عن الحفاظ على مصالح البلاد ضد التدخل الاوربى ، فضاعت هيبة الحكومة وإزداد الإضطراب ، واغتيل القيصر اسكندر الثانى بأيدى الثوريين . وكان رد فعل هذا الحادث عنيفا إذ اشتطت الحكومة فى كبت الحريات واتبعت سياسة رجعية بغيضة ، كانت نتيجتها المنطقية قيام أزمة سنة ١٩٠٥ .

قضت حرب القرم على ما كان لروسيا من امتياز فى ناحية الحرب ، ولم يعد لها مركز ممتاز فى السياسة الدولية لمدة عشرين سنة . ولا يمكننا أن نقول أن الروسيا فقدت مركزها المهم، ولكن كلمتها لم تعد فاصلة فى السياسة الدولية، فلقد تمت الوحدتان الالمانية والإيطالية دون أن يكون للروسيا تأثير فعلى مباشر. فلم تتمكن الروسيا من الإستفادة من الضعف الذى حل بالدولة النمسوية المجرية فتتدخل فى مسائل البلقان .

لم تعد مسائل السياسه الخارجية الخاصة بأوربا فى المكان الاول من الاهمية عند الروسيا ، لم تعد الروسيا مؤثرة فى حياة القارة الاوربية بقدر ماهى متأثرة بها ، متأثرة بالنظم الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، النظم السياسية والإقتصادية والإجتماعية .

كانت حركة التغير فى الروسيا نظراً لإتساعها وللجهل الذى كان ضاربا أطنابه فيها بطيئة ومعقدة، لاسيما النظم المختصة بنظام ملكية الأرض وبنظام العمل فيها . هذه الحركة لازالت فى تطور مستمر ولا يزال إلى وقتنا الحاضر ، وإن كان ذلك التطور قد وقف بطبيعة الحال نتيجة للحرب العالمية الثانية ، ولكنه استمر بعدها .

ولقد كان إلغاء نظام الرق أول إصلاح مهم فى روسيا ، ثم تبعه إصلاح التعليم وإصلاح القانون والمجالس البلدية ونظام التجنيد . ولكن هذه الإصلاحات لم تكن تامة بالمعنى الصحيح لان محاولة إغتيال القيصر فى ١٨٦٦ أدت إلى تقوية مركز الرجعية . فلقد سيطر على الوزارات وزراء رجعيون يريدون تعزيز سلطة القيصر ، من أمثال جورتشكوف Gorchakov فى الخارجية ومليوتين Milyutin فى الحربية . وكانت نتيجة أن مشاريع هذه الإصلاحات التى أصدرت أوقف تنفيذها إلى حد كبير .

كذلك كان على وزير التعليم تولستوى Tolstoi أن يواجه مشكلة هياج الطلبة، وأن لا ينفذ كثيرا من الاصلاحات التعليمية التى كان ينتظرها الطلاب . ولم يكن اصلاح التشريع بأحسن حالا ، فلقد عاد اليه تدخل البوليس . كذلك كان الرأى العام المستنير يطالب بحرية الصحافة ، وفعلا أعطيت الصحافة بعض الحرية ، ولكن الحكومة عادت فوضعت بعض القيود على هذه الحرية . ولا مانع من أن نتحدث مليا عن مسألة الصحافة فنقول أن مسألة الرقابة على الصحافة أدت إلى إزدياد

قضايا الصحف وإلى وضع غرامات كبيرة عليها وتقرير ضمانات مالية كبيرة للصحف الاسبوعية والشهرية. ثم في آخر الامر إلى إيقاف الصحف وإنذارها أو إغلاقها نهائياً.

لم تكن هناك صحافة رخيصة الثمن في الروسيا يمكن لافراد الشعب المتوسطى الحال الحصول عليها . وكانت المراقبة شديدة بنوع خاص على النواحى السياسية على صحف موسكو وبطرسبرج .

ولكن بالرغم من كل هـذه القيود فلقد نمت الصحف السياسية فى عهد الاسكندر الثانى بينما لم يكن للصحافة السياسية شأن يذكر فى عهد نقولاس الاول. ففى عهد الاخير لم تكن الصحافة لتجرؤ على مناقشة الازمة البلقانية ٣٣- ١٨٣٦، بينما كانت الصحف فى عهد الاسكندر تجهر بمناقشة مسائل البلقان . ولربما كان العامل الاول فى نمو ذلك النوع راجعا إلى الاحقاد التى كان يضمرها الاشخاص المسئولون كل نحو الآخر .

وذلك النمو يعمل بطبيعته على زيادة الشعور بالاستياء إزاء سياسة الحكومة وعدم قيامها بتنفيذ مشروعات الإصلاح وعدم وضعها حـــداً لتدخل البوليس المستمر فى أعمال الناس .

قام الرأى العام الحر مطالبا بنظم برلمانية ودستور ، ولكن ماهى هذه النظم المطلوبة ، وماهو ذلك الدستور المرغوب فيه . لم يكن هناك إتفاق فى الرأى . فهناك الفرق الثورية وهناك الاحرار وهناك المحافظون الرجعيون ، ولم يكن هناك أى نوع من التفاهم بين هـذه الاحزاب حتى بين الاولين منهما . ووجهة نظر بعض هذه الاحزاب نحو حركة الإصلاح هى أن القيصرية تريد خداع الشعب لا أكثر ولا أقل ، لم يكن لماركس فى الستينات أثر كبير على إشتراكية الروسيا ولكن النفوذ الأكبر كان لباكونين Bakunin ولافروف Lavrov .

فالأول منها كان يرى القضاء على قوة الدوله بواسطة ثورات شعبية وأن يحل محلها نظاما فدراليا تعاهديا . وكان الفلاحون فى حالة نضج للثورة ، وإن كانوا منقسمين على أنفسهم وغير متحدين . لافروف كان يرى ثورة إجتماعية بجانب الثورة السياسية ، أى أن الثورة تكون سياسية إجتماعية فى نفس الوقت . وهذان الفريقان سيعتمدان على الدعاية بين الجماهير وعلى تأسيس نظام مركزى له صفة دكتاتورية .

ثار فزع الحكومة فأسرعت إلى القبض على كل من تظن فيهم ميل إلى هذين المبدأين ومحاكمته ، لاسيما وقد اندس الطلبة فى القرى يعلمون الناس المبادىء الثورية والاشتراكية . الحركة لم تكن منتجة لعدم توفر النظام ثم لأن المبادىء التى أخذ التلاميذ على عاتقهم تعميمها ونشرها كانت غامضة ، وإن هذا الإنفصال بين الحكومة وبين الرأى العام الروسى الذى لـــم يكن معظمه ثوريا كان أكبر مشكلة أمام الروسيا بعد إنتهائها من الحرب مع تركيا .

ولقد دخلت القيصرية الحرب مع تركيا لشغل الرأى العام عن المسائل الداخلية ، وكانت تعتقد بأن النتيجة ستكون النصر التام وإلا لصارت مسألة القيصرية والحكم القائم فى الروسيا فى الميزان . ولكن ثارت صعوبة من هذه الناحية أيضا لأن الدخول مع تركيا فى حرب يستدعى تدخل الدول الأوربية الأخرى ، لاسيما إنجلترا والنمسا والمجر .

ماذا كانت حالة الروسيا ذاتها . كانت متأخرة بصفة عامة فقبيل حرب القرم لم يكن بها سوى ٦٥٠ ميلا من السكك الحديدية ، الخط بين موسكو وبطرسبرج والخط بين فارسا وفينا . أخذت الحكومة على عاتقها إصلاح الحالة المالية وإصلاح طرق المواصلات ؛ ولكن ذلك الاصلاح أيضا لم يكن ليناسب الروسيا ومسافاتها

الشاسعة وحاجاتها الكبيرة . ثم هناك مشكلة المجاعات التي كانت تنتاب معظم أجزاء الروسيا من حين إلى حين .

وهنا يجب بأن نعرف أن بعد حرب القرم أخذت رؤوس الأموال الفرنسية تتغلغل في الروسيا ، لأن رأس المال الروسي لم يكن كافيا لتنفيذ المشروعات الحيوية في الروسيا .

كذلك أخذت الروسيا في عهد الاسكندر تقترض وتعتمد على الاقتراض في تنفيذ مشروعاتها ، ووصلت هذه الديون في سنة ١٨٨٠ إلى حد أن استلزمت دفع ثمن دخل الروسيا للدائنين ، ولكن الروسيا ما كانت لتعجز عن دفع الفوائد وتسديد ديونها كما حدث في تركيا .

كذلك اتبعت الروسيا بعد حرب القرم بسنة (١٨٥٧) تشجيع التجارة الخارجية عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية بعد أن كانت تتبع سياسة حرية التجارة في عهد نقولاس، ولم تزد الروسيا من هذه الرسوم قليلا إلا عندما وجدت نفسها أمام مشكلة حرب مع تركيا . ولكن لما قامت المانيا والدول الأخرى باتباع سياسة حماية التجارة ووضع حواجز هائلة من الرسوم الجمركية اتبعت الروسيا نهائيا سياسة حماية التجارة .

ونظراً لتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية والخبراء الأجانب والإهتمام بإنشاء السكك الحديدية قام هناك تقدم ظاهر في الصناعة، لاسيما صناعة النسيج واستخراج البترول . وازدادت كمية الصادرات الروسية . وإن كانت التجارة الروسية تنقل في معظم الأحيان عن طريق البحر في سفن أجنبية وفي الغالب بريطانية . وقد عمل ذلك على نمو ثغور البحر الأسود وبحر أزوف ، فلقد كان يصدر منها فيما بين عامي ١٨٦١ و ١٨٨٠ نحو ٤٠ ./. من الصادرات الروسية . وازدادت قيمة هذه

الثغور حينما تقدمت الصناعة والانتاج الكبير فى استخراج البترول بكميات هائلة فى المناطق الغنية الواقعة جنوب الروسيا والقوقاز .

وكان أكبر متجر مع الروسيا المملكة المتحدة وألمانيا فلقد أخذتا (١٨٦١ - ١٨٨١) من الروسيا ثلثى صادراتها وبعثتا اليها ٦٨ ./ من وارداتها . ورغم إنتهاء امتياز بريطانيا فى التجارة مع الروسيا إلا أنها ظلت أكبر متجر معها . مثلا مع التسلفرين ازدادت الصادرات الالمانية فيما بين سنتى ١٨٧٢ و ١٨٨١ إلى ٤٢ ./ من واردات الروسيا بعد أن كانت حوالى ١٦ ./ فى السنوات ١٨٥٠-٤١ . كذلك ازدادت صادرات الروسيا إلى ألمانيا من ٨ ./ إلى ٣٠ ./ من مجموع الصادرات الروسية .

إزداد إذن إعتماد الروسيا على هاتين الدولتين . والواقع أن معظم التجارة الروسية ظلت فى يد شركات بريطانية وألمانية بينما لم تكن هاتان الدولتان لتعتمدان على الروسيا نفس الاعتماد .

فإذن الفكرة القائلة بأن ازدياد مقدرة الروسيا الانتاجية أدت إلى توسع الروسيا فى الجنوب على حساب تركيا ليس لها نصيب كبير من الصحة [١]. فتجارة الروسيا مع تركيا أو مع آسيا ليست إلاجزءا صغيراً من تجارتها ، ولو أن تجارتها مع وسط آسيا والصين كانت آخذة فى النمو حتى خيل للبعض أن التوسع الاقتصادى الاستعمارى قد اتجه نحو آسيا وليس نحو دول البلقان . ولقد عمل الروسيون أيضا على السيطرة على أسواق شمالى ايران [٢].

---

1 - Sumner; Russia & The Balkans p. 16.

٢ – المصدر السابق صفحة ١٧ .

وبالرغم من أن الروسيا قد أخذت تقوم بحركة تصدير واسعة النطاق معتمدة على الوسائل الحديثة فى النقل ، إلا أنها كانت بداية على أى حال .

كذلك النمو الاقتصادى للروسيا كان يختلف من جزء إلى آخر .

الشئون الخارجية

تركزت السياسة الخارجية الروسية فى يد القيصر أكثر من أية دولة أوربية باستثناء تركيا .

اعتلى الاسكندر الثانى الملك أثناء حرب القرم ، وكان قد تدرب على إدارة أمور الدولة . وكان حكمه اتوقراطيا ، ولقد قام بالاصلاحات السابقة مجبرا الظروف التى حلت بروسيا بعد حرب القرم .

ولم يكن ذلك القيصر لينسى غدر النمسا به ولا حياة العزلة التى منيت بها الروسيا بعد حرب القرم ، ولا صداقة المانيا . كل هذا جعل سياسته الخارجية مترددة حذرة . ولم يكن له إلمام بأحوال السياسة الخارجية ، ولذا وجد فى جورتشكوف سياسياً يعبر عن رأيه . وفى نفس الوقت عنده الحصافة السياسية اللازمة .

ولم يكن الاسكندر بالشخصية الكبيرة ، فهو عنيد متردد وبطىء تنقصه الحيوية والنشاط ، ليس من السهل الاتفاق معه على شىء أو الاعتماد عليه . لم يكن ببعيد النظر ولا بذى الآمال البعيدة . إذن لم تكن سياسته بذات كبير نجاح .

سياسة الروسيا الخارجية هى إلى حد كبير سياسة القيصر : فلم تكن هناك وزارة مسئولة بالمعنى الصحيح ، فكان هو الذى يعقد المجلس الامبراطورى

حينما تصادفه مشكلة . وكان وزيره للشؤون الخارجية وزيره الخاص . وكان حكم القيصر على الأمور ناشئا من المعلومات التى تصل اليه . ولذا كان لمن يوصلون اليه المعلومات بعض النفوذ . كما كان لوزارة الحربية نفوذ كبير فى المسائل الخارجية مع وزارة الخارجية . ولكن علاقاته مع المانيا كانت تسيطر عليها صلته الشخصية مع بيت الهوهنزلرن .

على رأس وزارة الخارجية جورتشكوف ، وكان أكبر من سيده بعشرين سنة . وكان لذلك الوزير المام تام بالشئون الخارجية . ولقد بدأ حياته فى خدمة Capo d' Istria كممثل سياسى وفى الامارات الألمانية واشتهر بكفاءته . ولقد قام بمهمة سياسية فى فينا أثناء حرب القرم . ولكنه كان مغروراً معروفا بكرهه للنمسا وميله للمبادىء الحرة . ولقد وطد مركزه أثناء ثورة بولندة سنة ١٨٦٣ وفى سنتى ١٨٧٠ - ١٨٧١ . ولقد كان محبوباً من الجماهير ، ولكنه فى سنة ١٨٧١ كان قد بلغ الثانية والسبعين ، وأخذ ضعف صحته يتزايد باستمرار . ولكنه لم يدرب خلفاً له لأنه كان حقوداً ومغروراً . وكانت علاقته بالقيصر علاقة ثقة متبادلة . وكان مهتما بتنميق كلماته واطلاق العبارات التى أصبحت لها شهرة دولية مثل : «النمسا ليست دولة وانما هى حكومة» .

وكان من سياسته ألا يفصل فى أى موضوع دفعة واحدة ، وانما كان يفضل أن يكون ذلك على مراحل . والواقع أنه كان كبير الاهتمام بالشكليات السياسية . وبذا لم يكمل ما تنقصه شخصية سيده . على العموم بعد حرب السبعين كانت لجورتشكوف شخصية أوربية أكثر منها روسية . وكانت صلته حسنة بالأدباء والشعراء من أمثال بشكين Pushkin .

على أن وزارة الخارجية الروسية كانت منقسمة على نفسها . فهناك تنافس

بين القسم الشرقى الآسيوى والقسم الغربى الأوربى . وكان الثلاثة البارزون فى القسم الغربى هم وستمان Westmann ، وجومينى Jomini ، وهمبرجر Hamburger ولكنهم كانوا موظفين أكثرمنهم سياسيين يتقنون الفرنسية أكثر مما يعرفون الروسية . القسم الشرقى روسى نقى ، وكان اختصاصه آسيا وتركيا الاوربية . وكان لذلك القسم نفوذ كبير فى إدارة دفة السياسة الروسية لصلته الكبيرة بمسألة الحركة الصقلبية ، ولازدياد أهمية مسائل آسيا وتركيا لروسيا . وكان على رأسه كوفالفسكى Kovalevsky ، ثم من بعده اجناتيف Ignatiev ، ثم استريموكوف Sremoukhov ، ثم من بعدهم جيير Giers وهو من أصل سويدى.

كانت وظائف وزارة الخارجية بطبيعة الحال قاصرة على الأغنياء ممن لهم نفوذ ، وكان القسم الغربى معظم رجاله من أصل ألمانى أو بلطى ، والاسماء تدل على ذلك .مثل ساكن Sacken ، وميندورف Meyendorff ، هلينباند Hillenband ، موهرنهيم Mohrenheim .

وأشهر السفراء شوفالوف Shuvalov في لندن وأورلوف Qrlov فى باريس وسابوروف Saburov فى برلين ، ونوفيكوف Novikov فى فيينا .

أما عن شوفالوف فقد نال ثقة ديزريلى ، وجاءت توليته منصب السفير نتيجة لمكايد أعدائه فى الروسيا ، لاسيما عشيقة القيصر كاترين Catherine ، وكانت علاقته حسنة بلورد داربى وزوجته . فكانت له بها علاقات شخصية . ولذا كانت المسئولة عن إفشاء أسرار الوزارة الانجليزية أولا بأول لشوفالوف .

ومن أهمهم اجناتيف Agnatiev وهو مشهور ببغضه للترك، ومشهور بكذبه بعد ذلك وله كفايات خطرة، واستطاع عن طريق زوجته أن يصل نفوذه إلى السلطان

عبد العزيز ، وكان تحت امرته القناصل المنتشرون فى جسم الدولة الذين كانت لهم صلة قوية بالجمعيات الصقلبية - وكان ضد نظام اتحاد الأباطرة الثلاثة Dreikaiserbündnis ، يعمل ضد النمسا والهابسبرج لمصلحة الصقالبة .

يهمنا بصفة خاصة سفراء الدول الكبرى الثلاث فى بطرسبرج لنجنان Langenan السفير النمساوى وكان يعمل ضد بسمرك ويسعى لعقد محالفة روسية نمسوية .

أما السفير الانجليزى أغسطس لفتوس L. Augustus Laftus فلم يكن له نفوذ كبير ، وكان مهتما بالمسائل الرياضية .

كما كانت صلة السفير الألمانى General Von Schiveinitz بجورتشكوف حسنة .

مسألة آسيا الوسطى

شغلت أذهان ساسة الروسيا عدة مسائل كان لها أثرها الفعال فى تحويل مجرى السياسة الروسية ، وهذه المسائل هى : مسألة آسيا الوسطى وحركة الجامعة الصقلية واتحاد الاباطرة الثلاثة Dreikaiserbündnis, .

ففى خلال حرب القرم تعرضت الهند لخطر التهديد الروسى غير المباشر عليها عندما أخذت تهدد طرق المواصلات المؤدية اليها ، وذلك عن طريق السيطرة على المضايق ، وسيصبح هذا التهديد مباشراً بعد ذلك بعشرين عاما عندما تتمكن الروسيا من السيطرة على أواسط آسيا ، وتقترب من حدود الهند . ومنذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر كان نفوذ روسيا متفوقا فى طهران ، ثم اتصلت روسيا بافغانستان . كل هذه أثارت النزاع بين السياستين الروسية والبريطانية .

فى النصف الأول للقرن التاسع عشر كانت قوة الروسيا التوسعية مركزه فى القوقاز . وبعد أن استولت الروسيا على القوقاز تماماً بالقضاء على الشركس فى سنة ١٨٦٤ تمكن الروس من التوسع فى شمال آسيا حتى وصلوا إلى الآمور وساحل المحيط الهادى .

ومنذ سنة ١٨٦٤ والتوسع الروسى مستمر فى التركستان ، وفى سنة ١٨٦٥ سقطت طشقند ، وفى سنة ١٨٦٨ تبعتها سمرقند ، وصارت بخارى إمارة تابعة للروسيا . كذلك فتحت حدود الصين الغربية ، ثم امتدت الفتوحات الروسية إلى مرو . والفضل فى اخضاع التركستان يرجع إلى سكوبليف Skobelev . وازدادت مخاوف انجلترا على الهند كلما قرب الروس منها .

وبذا لأول مرة فى التاريخ سيطر الغرب الحضرى على وسط آسيا البدوى.

ولكن بالنسبة للانجليز كان تقدم الروس يمثل تهديداً كبيراً للهند .

وكان كتاب سير هنرى رولنسون Sir Henry Rawlinson عن England and Russia in the East يتحدث عن الخطر الروسى ، ويطالب باتباع سياسة قوية حازمة فى فارس وافغانستان . ولقد أشارت الصحافة الروسية إلى رأى هذا الرجل على أنه يمثل بعض التمثيل آراء الحكومة الانجليزية فى الهند.

ولم يخف بعض الكتاب الروس آراءهم بأن تقدم الروس فى آسيا لا بد منه حتى يمكن للروسيا أن تصل إلى حدود دولة تحترم المعاهدات .

انجلترا تخشى تقدم الروسيا لأن الهند حديثة عهد بالثورة . والواقع أن انجلترا كانت على حق فى مخاوفها ، فلقد كان الروس يحسدون الانجليز مركزهم فى الهند ، ويعرفون الصعوبات التى يلاقيها الانجليز هناك. بطبيعة الحال لم يكن غرض الروس من فتح آسيا الوسطى هو تهديد الهند . وإنما كان يثير الانجليز عدم تمسك الروس بوعودهم إزاء سياستهم فى آسيا الوسطى ، وعدم سيطرتهم التامة على قوادهم الذين لا ينفذون التعليمات التى تدعى وزارة الحرب أو الخارجية أنها قد أرسلتها لهم .

ولم يفهم الروس معنى توقفهم عن التوسع فى آسيا بينما انجلترا مستمرة فى توسعها هناك . فهم لا يفهمون وجهة النظر الانجليزية . أليست الروسيا تتبع نفس سياسة انجلترا . كما كانت انجلترا غير مستعدة لفهم وجهة النظر الروسية .

وساء حكومة جلادستون تصرف الحكومة القيصرية الروسية إزاء هذه المشكلة ، مشكلة آسيا الوسطى ، لا سيما مسألة افغانستان ، فلقد أعلنت الروسيا أن أفغانستان خارجة عن منطقة نفوذها ، ولكن استياء حكومة دزريلى سيكون أعظم .

ولذا كانت مسألة تقدم الروس فى آسيا الوسطى من العوامل التى ستعمل على اضطراب العلاقات الروسية الانجليزية .

حركة الجامعة الصقلبية

تعتبر حركة الجامعة الصقلبية Panslavism العامل الثانى المؤثر فى السياسة الخارجية الروسية . وتهدف إلى ضم الصقالبة فى أوربا تحت اشراف الروسيا . هذه الحركة تؤثر فى علاقات الروسيا مع تركيا ومـــع النمسا والمجر ومع بولندة .

هذه الحركة ليست منظمة وليست حركة محدودة بالمعنى الصحيح وإنما هى عقيدة أكثر مما هى نظام ، ولكن هـذه العقيدة كانت خطرة على مصالح الدول السابقة ومعها انجلترا .

وفى حقيقة الأمر فان حركة الجامعة الصقلبية إنما هى حركة قومية روسية هدفها الرئيسى تحقيق المطامع القومية الروسية . والبعض [1] عرفها بأنها حلقة الوصل بين الصقلبية والجامعة الروسية The link between slavophilism & panrussianism هذه الحركة كانت بدايتها فى الثلاثينات ، وهى حركة قومية تتعصب للروسيا ضد الغرب . وهى تمثل الأقاليم ومدينتها الوحيدة هى موسكو، بينما الغربيون مركزهم بطرسبرج. والحركة نشأت فى أول أمرها روسية لا تعنى كثيراً بصقالبة البلقان . ولكن بدأت الروسيا تهتم بالصقالبة الأرثوذكس الذين يخضعون للحكم التركى.ولو أنها لم تعضد الحركة تماماً لأن معنى ذلك انقطاع العلاقات بين بطرسبرج وفينا .

1 - Sumner, Russia & the Balkans P.

ويعتبر بوجودين Pogodin أستاذ التاريخ فى جامعة موسكو على رأس الدعاة لها . اتصلت الحركة بصقالبة البلقان لاسيما البلغار . ولقد عقد فى موسكو فى ١٨٦٧ معرض صقلبي الغرض منه الدعاية للفكرة الصقلبية . ومن المتحمسين لهذه الفكرة ايفان أكساكوف Ivan Aksakov . وكان يعتقد أن رسالة الروسيا تنحصر فى تخليص الصقالبة الأرثوذكس من الحكم الأجنبي ، ويدعو الى تنقية الروسيا من أدران الغرب . وهو لا يعطف كثيراً على الصقالبة الكاثوليك الذين حادوا عن منهج موسكو القويم .

وكان بعض رجال البلاط والدولة يعطف على هذه الفكرة ، فالامبراطورة وزوجة ولى العهد كانتا من جملة هؤلاء . ومنهم هومياكوف Homyakov و تيوتشف Tyutchev وآخرين من العصبة التى كانت تجتمع فى صالون البارونة بلودوفا Bludova . ومن الذين كانوا يعطفون على الفكرة السياسية والذين أخذوا على عاتقهم نشر فكرة تحويل الأجزاء الغربية البلطية والأكرانية والبولونية الى روسية ، ~~...~~ الأمير تشركسكى Prince Cherkasky وسامران Samarin.

وكان من الأسباب الظاهرة لضعف هذه الحركة هو اهمالها للصقالبة المتصلين بالكاثوليكية والغرب . وطالما كانت هذه الحركة متصلة بالأرثوذكسية فقط ، كان معنى ذلك أن هذه الحركة دينية الصبغة . وكذلك كانت لغوية بمعنى أن الروس كانوا يريدون فرض لغتهم . وكان هذا مستحيلا تنفيذه على صقالبة الوسط الكاثوليك المتصلين بالغرب . كذلك لم تكن ثقافة الروس متفوقة الى درجة يقبلها صقالبة الوسط والغرب كالبولونيين والبوهيميين . وكانت هذه الأجناس راغبة فى أن تتخلص من استبداد القيصر النمسوى أو العاهل التركى لتخضع لنير العاهل الروسي .

ولقد حاولت الجامعة الصقلبية القضـــاء على سلطة كل من الامبراطوريتين العثمانية والنمسوية باستخدام القوة الحربية للقيصرية الروسية ، ولكنها لم تنجح إلا فى إثارة أوربا ضدها . فآخر مرحلة لها إذن هو العمل على تفوق الروسيا . ويظهر هذا فى كتابة كاتبين أحدهما قد نسى الناس اسمه وهو فادايف Fadeyev والثانى نيقولاى بوفلوفتش Nicolai Povlovich .

فالاول كان من رجال الحرب الامبرياليين ، اشتغل فى الجيش فى مصر بناء على طلب الخديو اسماعيل . ومن الطريف أن فادايف هـذا حاول تقوية جيش الخديو ليساعد الروسيا ضد السلطان ويعمل على القضـــاء على الدولة العثمانية . فادايف هذا لم يكن يفهم أسس حركة الجامعـة الصقلبية ولا أفكارها ، ولكنه كان يفهم شيئين هما القوة والنمسا والمجر .

ومن اخوانه باسكفتش Paskevich الذى نادى بأن المسألة الشرقيـة يجب أن تطبق على النمسا أولا لا على تركيا ، لأنه لما كانت النمسا تهـدد مواصلات الروسيا فى البلقان كان لا بد من القضاء عليها أولا .

ومن أكبر دعاة هـــذه الحركة اجناتيف Ignatiev سفير الروسيا فى القسطنطينية . وكانت سياسته ترمى إلى تعديل معـاهدة ١٨٥٦ والاشراف على المضايق والقسطنطينية ، فهو يريد استغلال هذه الحركة لكى تسيطر الروسيا على جنوب شرقى أوربا . فما كان اجناتيف مهتما بالديانة الارثوذكسية وما كان يعنى بالثقافة الروسية . ولقد حاول استغلال مركزه كممثل سياسى لتنفيذ سياسته ومبادىء الحركة الصقلبية ، وذلك بالاتصال وإثارة الشعوب الصقلبية .

لم يكن اجناتيف رجلا مثاليا ولا خياليا ، ولكنه كان سياسيا وعمليا يعتمد على قـوة الروسيا ليصل إلى أغراضه، ولا سيما العمل على انحلال تركيا والنمسا .

ولقد نجح إلى حد كبير فى أن يكون من العوامل التى عملت على إثارة أزمة السبعينات .

والذى نلاحظه أن كبار دعاة هذه الحركة ما كانوا يعرفون جيداً البلاد الصقلبية المختلفة ولا يفهمون حقيقة أمانى أهلها القومية . وماكانوا يقدرون الصعوبات الحقيقية فى سبيل تنفيذ مشروعهم ، وكانوا يعتمدون أكثر من اللازم على قوة الروسيا الحربية .

كذلك لم تكن حركة منظمة بالمعنى الصحيح ، وكانت روسية قومية أكثر منها دولية . ولم تنجح سوى فى إثارة مخاوف السياسة الأوربية من الروسيا والعمل على زيادة أعدائها . ولكن الفكرة ذاتها لم تمت وربما كانت باقية إلى اليوم .

اتحاد الأباطرة الثلاثة Dreikaiserbundnis

كانت سياسة الروسيا نحو المانيا بعد حرب السبعين تتقلب بين سياسة حقد وسياسة ود ، فالعلاقة الشخصية بين بسمرك وجورتشاكوف آخذة فى السوء . ولكن رغم ذلك فقد كان لالمانيا نفوذ فى الروسيا وفى الممتلكات البلطية . ولقد هنأ القيصر الروسى زميله القيصر الألمانى بالانتصار فى سنة ١٨٧١ . ولقد قامت المانيا بمساعدة زميلتها فى إلغاء الشروط البحرية فى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وأيدتها أمام انجلترا . وعمل على توثيق الصلة الاتصال الأسرى بين عائلتى رومانوف والهوهنزلرن .

إلى أى حد تكون صلة الصداقة باقية بين الدولتين . يرجع ذلك إلى حد

كبير الى العلاقات التى ستنشئها روسيا مع النمسا المنهزمة وفرنسا المقهورة، ففرنسا محتاجة الى مدة طويلة لكى تتخلص من القيود التى وضعت عليها ، وكانت مشغولة بمشاريع الاصلاح الداخلى .

أما ايطاليا فكانت ضعيفة ، وانجلترا لا زالت مترددة ، والنمسا لا يمكنها الاتفاق مع فرنسا إلا إذا كانت واثقة من الروسيا . والروسيا كما ذكرنا كانت فى حاجة الى فرنسا كقوة فى أوربا . ولذا تدخلت فى الأزمة التى نشبت بين فرنسا وألمانيا فى سنة ١٨٧٥ لتحول دون حدوث تصادم بين الدولتين . ولم يكن الهدف من وراء هذا التدخل القضاء على ما لألمانيا من مركز متفوق فى أوربا ، فهذا لا يمكن تحقيقه نظراً لضعف فرنسا من الوجهة الحربية . وكان على الروسيا أن تصل الى اتفاق مع النمسا ، فالنمسا يمكنها مهاجمة الروسيا وقطع صلاتها مع البلقان .

ولقد وجدنا الزيارات تتبادل بين القياصرة الثلاثة . وفى الواقع كانت الصلة بين الامبراطوريات الثلاث أهم عامل فى السياسة الدولية بعد حرب السبعين . فلقد عمل اتحاد الأباطرة الثلاثة على تنفيذ سياسة الامبراطوريات الثلاث وانعزال فرنسا وحدها لضعفها وعزلة انجلترا . ولقد تأكد ذلك الحلف فى مقابلة ١٨٧٤ .

وفى سنة ١٨٧٣ تم عقد اتفاقات حربية بين روسيا وألمانيا وأعقبها فى سنة ١٨٧٤ اتفاقات مماثلة بين روسيا والنمسا .

ولقد أثبت اتحاد الأباطرة الثلاثة ضعفه فى أزمة ١٨٧٥ . ووجدت ألمانيا أن حياد الروسيا لا يمكن الاعتماد عليه تماما .

ليس معنى ذلك أن الروسيا حاولت أن تفهم برلين وفينا بأنها فى غنى عنهما، فصالح الروسيا كانت فى البلقان ، وهى محتاجة لمساعدة برلين وحياد فينا . ولذا

تفشل المحاولات التى بذلتها فرنسا لحض القيصر الروسى على زيارة باريس .

أخذت الروسيا فى التقرب من النمسا لا سيما وأنه كان على رأس الأخيرة اندراسى Andrassy . ولقد كان هناك الرأى الملكى القيصرى الروسى بتكوين تحالف من برلين وفينا وبطرسبرج يفرض السلام على أوربا . ولكن ذلك الرأى لم يكن معروفا لدى وزارات الخارجية لهذه الدول . وبسمرك لم يكن راضيا عن اتفاق حربى مع الروسيا .

وكان لذلك أثره فيما بعد فى العلاقات الالمـــانية الروسية . فزار القيصر وجورتشكوف برلين بعد أن أكدا للوزير الفرنسى بأنهما سيبـذلان ما فى وسعهما لنصح برلين باتباع سياسة السلام ، وحينما وقفا على حقيقة الموقف فى المانيا أكدا لفرنسا بأن لا داعى للخوف . ولكن بسمرك لم ينس موقف الروسيا ، وزاد بغضه لجورتشكوف ، فلقد لعب دور الحامى لفرنسا ، بينما النمسا لم تقدم رجلا واحدة ، ولم تقم بشىء يستفاد منه الميل لفرنسا . لم ينس بسمرك ذلك الموقف أيضا .

الفصل الرابع

الحرب التركية الروسية ١٨٧٧ - ١٨٧٨

ثارت المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ فى أعقاب الأزمة الفرنسية الألمانية . ويرجع السبب فى قيامها إلى رغبة الولايات البلقانية الخاضعة لحكم الدولة العثمانية فى التخلص من التبعية العثمانية ونيل الاستقلال . لا سيما وأن الصرب قد تمكنت من الحصول على استقلالها منذ عام ١٨٠٤ وتبعتها اليونان فى سنة ١٨٣٠ . وشجعها على ذلك ما لمسوه من ضعف قوة الدولة العثمانية الحربية ، وتأييد بعض الدول الأوربية لأمانيهم وخصوصا الروسيا التى كانت تعمل جاهدة على تصفية ممتلكات الدولة العثمانية عن طريق إثارة الشعوب البلقانية الخاضعة لحكمها، وايجاد حالة من الاضطراب تسمح لها بالتدخل لتحقيق مآربها التوسعية فى السيطرة على دول البلقان عن طريق الجامعة الصقلبية والإشراف على المضايق والوصول الى مياه البحر المتوسط الدفيئة .

ومما زاد الموقف تعقيداً رغبة بعض دول البلقان المستقلة فى تحقيق أطماعها التوسعية على حساب جيرانها مثل الصرب واليونان ، فكلتاهما كانت تتطلع الى ضم بعض الأراضى اليها . كذلك لا ننسى دور الكنيسة المسيحية فى إثارة الحمية الدينية لدى شعوب البلقان ، وصبغها حركاتهم القومية بالصبغة الدينية .

بدأت الاضطرابات فى البلقان بثورة الهرسك . ولم تكن هذه أولى الثورات فى منطقة البلقان ، بل تعد إحدى حلقات سلسلة متصلة من الثورات ضد الحكم

العثمانى منذ ظهر ضعف الدولة العثمانية من الناحية الحربية ، ومنذ بدأت بعض دول أوربا الكبرى تتبع سياسة نشطة إزاء تصفية ممتلكات الدولة العثمانية والتخلص كلية من رجل أوربا المريض .

وفى حقيقة الأمر كانت أحوال الدولة العثمانية تسير من سىء الى أسوأ ، فعلى رأس الدولة يتربع السلطان عبد العزيز ، وكان مسرفا ومبذراً . وترتب على سوء تصرفه هذا أن ارتفعت الديون فى عهده من ٢٥ مليون جنيه انجليزى فى أواخر حكم سلفه السلطان عبد المجيد الى ٢٥٠ مليون جنيه فى عهده . وبلغ من اضطراب الدولة من الناحية المالية أن أعلنت فى سنة ١٨٧٥ عجزها عن سداد الديون .

كان من الطبيعى أن يزداد عدم ثقة الدول الاوربية بالدولة العثمانية ، وأن تتخذ تلك الدول من الإجراءات ما يكفل ضمان مصالحها . فبدأت الدول الاوربية المعنية بالأمر تتدخل فى الشئون المالية ، فأنشأت ما يسمى « بدائرة الديون العمومية » تحت اشراف هيئة دولية ، مما أدى إلى تغلغل النفوذ الأجنبى فى شئون البلاد المالية وغير المالية . فساد التذمر أرجاء الدولة العثمانية وعمت الشكوى وطالب المصلحون بضرورة إدخال النظم الديمقراطية فى البلاد ، وبدأ النضال بين أنصار الحرية ، وبين السلطان وحاشيته ومؤيديه .

ما لبثت هذه الشرارة التى اشتعلت فى الهرسك أن أصبحت ثورة خطيرة ، امتدت ألسنتها إلى البوسنة بفضل تأييد الروسيا من ناحية ، وبفضل وجود قادة محاربين خبروا أساليب العثمانيين العسكرية ، واستغلوا طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة فى تدويخ القوات التركية من ناحية أخرى .

ماذا كان موقف دول أوربا الكبرى من هذه الثورة التى انفجرت بشكل

قد يهدد أوربا بحرب لا تبقى ولا تذر . ويمكن حصر هذه الدول الأوربية فى المانيا والنمسا والمجر وروسيا وانجلترا وفرنسا .

أما عن موقف المانيا فكان طبيعيا ضد قيام حرب تشترك فيها دول أوربا . فربما أدى اشتمال تلك الحرب الى خلق موقف دولى قد تجد المانيا نفسها مضطره الى الاشتراك فيه . وما قد يترتب على هذا الاشتراك من فقدان ما لها من مركز متفوق فى القارة الأوربية . ولهذا كان من سياسة المانيا التعاون مع غيرها من الدول لحل هذا النزاع سلميا . وكانت تجد فى ممتلكات الدولة العثمانية خير معين لها على ذلك ، إذ تستطيع تلك الدول أن تشبع رغباتها التوسعية على حساب الرجل المريض دون حاجة إلى صراع حربى .

ومن أجل هذا أيدت فكرة روسيا فى أن تتدخل دول اتحـــاد الاباطرة الثلاثة وهى المانيا والنمسا وروسيا لدى الباب العالى للضغط عليه لاتباع سياسة تهدف الى القضاء على أسباب الثورة ، وإعادة الطمأنينة والسلام الى تلك المناطق. ولكن هذا الموقف من قبل دول الاتحاد لم يرضى انجلترا ولا فرنسا ، لأنه يبعد بينهما وبين الاسهام فى حل المسألة الشرقية التى كانت تعتبر من أهم المشاكل الأوربية فى ذلك الوقت . كما أنه يمنح روسيا حرية العمل فى تحقيق أطماعها فى ممتلكات الدولة العثمانية وهو ما يتعارض مع سياسة كل من الدولتين . بل كانت انجلترا ترى ضرورة التدخل لمنع تفوق النفوذ الروسى فى هذه المنطقة ولو أدى ذلك الى استخدام القوة .

وفى حقيقة الأمر لم تكن من بين هذه الدول الخمس من ليست لها أطماع فى أوربا سوى المانيا . أما الدول الأخرى فكان لكل منهما هدف تسعى الى تحقيقه من وراء اشتراكها فى حل تلك الأزمة . فالروسيا مثلا لم تكن خالصة

العلية فى تعاونها مع النمسا والمانيا ، بل العكس من ذلك كانت تحاول جاهدة أن تزيد الموقف تعقيداً وأن تزيد الثورة اشتعالا . وكان اجناتيف السفير الروسى فى الآستانة أكثر حماسة من حكومته فى تنفيذ تلك السياسة بصرف النظر عما إذا كان ذلك يتفق مع رغبات النمسا والمانيا أم لا .

أما النمسا فكانت ترى عدم التدخل العاجل فى الأزمة ، بل يجب أن يعطى الباب العالى الفرصة للقضاء على أسباب الثورة لانها كانت تخشى من نوايا روسيا التوسعية فى البلقان . ولكنها فى نفس الوقت كانت تعلم أن المانيا لن تعارض أى اتفاق بين روسيا والنمسا فيما يختص بشئون البلقان .

والواقع أن اهتمام الأمبراطورية النمساوية المجرية بشئون البلقان ترجع الى الفترة التى تلت هزيمتها أمام بروسيا فى سنة ١٨٦٦ . فأخذت تطمع فى ضم البوسنة والهرسك اليها . ولكنها فى نفس الوقت كانت حريصة على عدم إثارة الشعوب البلقانية للمطالبة باستقلالها عن الدولة العثمانية . لانها دولة غير صقلبية وتحكم عدداً كبيراً من الصقالبة . كما كانت تخشى من حركة الجامعة الصقلبية ومن نشاط رجال السلك السياسى والقنصلى الروسى فى ولايات البلقان . ولان انضمام هؤلاء الصقالبة الى جانب روسيا ضد الدولة العثمانية سيعرض الامبراطورية النمساوية والمجرية لاضطرابات خطيرة . ولهذا سارت على سياسة التهدئة والاحتفاظ بالحالة الراهنة ، وعدم الدخول فى حرب قد تعرض امبراطوريتها للانحلال .

ونظرا لاشتعال الثورة فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسوء الحالة المالية فى الدولة العثمانية ، وعجز الدولة عن سداد ديونها ، وما ترتب عليه من تدخل الدول الأوربية فى شئونها المالية ، وتذمر الاتراك من التدخل الأوربى فى شئونهم

الداخلية ، أن اضطر الباب العالى الى اصدار فرمان فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٥ يتضمن بعض الاصلاحات لتحسين أحوال سكان هاتين الولايتين . ولكن الثورة لم تنقطع بصدور هذا الفرمان . فتقدم الكونت اندراسى وزير خارجية النمسا بمذكرته بناء على المفاوضات التى جرت بينه وبين جورتشكوف ، وتنص على ضرورة قيام الدولة العثمانية ببعض الاصلاحات فى البلاد الثائرة ، على أن يتولى الإشراف على تنفيذ تلك الاصلاحات لجنة مختلطة . وقد عرضت تلك المذكرة على انجلترا فوافقت عليها إبعاداً لروسيا عن التدخل فى شئون الدولة العثمانية، ولكى تتيح للباب العالى فرصة حل الأزمة حلا سلميا .

وعندما عرضت المذكرة على الدولة العثمانية لم تتردد فى قبولها فى فبراير ١٨٧٦ لأنها ستمنحها فسحة من الوقت لضرب القوى المحرضة على الثورة ألا وهى قوة الصرب والجبل الأسود .

ماذا كان رد فعل المذكرة فى كلا المعسكرين المتناحرين وفى الدول الأوربية المعنية بالأمر؟ لم تغير المذكرة - فى حقيقة الأمر - من الوضع شيئا. فهى لم تعمل على تهدئة الحالة ، أو تضع حداً للاستعدادات الحربية الجارية من قبل الطرفين . بل على العكس من ذلك زادت الموقف توتراً وذلك لعدم خلوص النية، ولا سيما من قبل الروسيا التى كانت تود فى قرارة نفسها ألا ينجح الكونت اندراسى فى مساعيه السلمية حتى تتاح لها الفرصة للتدخل فى صالح الثوار [1] .

---

1 - D.D.F. 1er serie vol. 11 P. 41. M. de Ring, chargé d'Aff. de France à Vienne , à M. Le Duc Decazes. No. 33 Vienne 6 Fev. 1876.

كان الاختلاف جوهريا بين وجهتى النظر الروسية والانجليزية . فالحكومة الانجليزية وعلى رأسها دزريلى كانت ترى المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، تلك السياسة التى سارت عليها بصفة عامة طوال الثلاثة الأرباع الأولى من القرن التاسع عشر ، ولكننا نجد فى ذلك الوقت أصواتا ترتفع من حزب الأحرار البريطانى وعلى رأسه جلادستون تنادى بالتحرر من تلك السياسة والعمل على تصفية ممتلكات الدولة العثمانية فى أوربا . وكان تمسك الحكومة الانجليزية بتلك السياسة مبعثه الوقوف ضد رغبات السياسة الروسية ، ومنع النفوذ الروسى بمختلف الطرق من الوصول الى منطقة المضايق وتهديد المصالح البريطانية فى البحر المتوسط[1] .

وكانت الحكومة الفرنسية تتفق فى نظرتها السياسية مع وجهة النظر الإنجليزية فى هذا الشأن، لأنها تتلاءم مع مصلحة فرنسا فى شرق البحر المتوسط. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لحاجة فرنسا إلى صداقة انجلترا بعد هزيمتها فى الحرب السبعينية . ولكنها فى نفس الوقت تريد الاحتفاظ بصداقة الروسيا لخوفها من ألمانيا . ولذا نادت بسياسة المحافظة على الحالة الراهنة فى شرق البحر المتوسط ، والسير على سياسة التهدئة والوقوف على الحياد فى أية حرب تنشب بين تركيا وروسيا . وقد بذلت فرنسا بالإشتراك مع إنجلترا - مساعيها لمنع الصرب والجبل الأسود من الاشتراك فى الثورة حتى لايؤدى اشتراكها إلى تدخل الدول الأوربية وإلى زعزعة السلام الأوربى . وكانت الدولتان تحرصان على منع أى تدخل أوربى ، سواء كان من قبل دولة واحدة أو من قبل مجموعة من الدول .

1- D.D.F. 1er serie Vol. 11 P. 5 Le Duc Decazès, Ministre des Aff Etrang. à M. Marquis d'Harcourt, Amb. de France à Londres No. 5 Paris, 18 Août 1878.

وقد أعلن اللورد دربى[1] فى ذلك الوقت عن اعتقاده بسيادة السلام بالرغم من الاستعدادات الحربية الضخمة من الطرفين .

كذلك بذلت حكومتا النمسا وفرنسا مساعيها السلمية لدى حكومة بلغراد لتكف عن تحريضها للثوار، وتوقف استعداداتها العسكرية ، مظهرتين لها بأن الدول الأوربية الكبرى لن تسمح بإمتداد الثورة إلى الولايات البلقانية الأخرى [2] .

ولكن نظرا لإستمرار الجبل الأسود فى تعضيد ثوار الهرسك أن صممت الحكومة التركية على إعلان الحرب عليه. وما أن علم جوردتشكوف وزير خارجية الروسيا بهذا التصميم حتى جمع سفراء الدول الأوربية وطلب منهم القيام بتدبير جماعى للوقوف حائلا بين تركيا وبين ماتنوى القيام به • وكان لجهود الحكومات الأوربية أثره فى تعديل موقف الحكومة التركية ، فاكتفت تركيا بإرسال قوة عسكرية إلى مدينة أشقودرة لمراقبة تصرفات حكومة الجبل الأسود ، على ألا تستخدم تلك القوة فى الهجوم عليها .

ومما زاد الموقف خطورة وتعقيدا قتل قنصلى فرنسا وألمانيا فى ميناء سالونيك ويتلخص هذا الحادث فى أن فتاة بلغارية مسيحية اعتنقت الاسلام وجاءت إلى سالونيك لإشهار إسلامها رسميا . وبينما هى فى طريقها إلى دار الحكومة إختطفها

---

1 — D.D.F. 1er serie vol. 11 P. 31 M. Gavard, chargé d'Aff de France à Londres, à M. Le Duc Decazes No 24 Londres 19 Dec. 1875.

2—D.D.F. 1er serie vol. 11 P. 43 Le Duc Decazes aux Amb. de France à Londres, Saint-Petersbourg, Berlin, No. 36 Paris, 5 Mars, 1876.

نفر من بنى جلدتها وأخفوها فى مكان ما . فلما علم المسلمون بذلك ثاروا وطلبوا من الجهات المسئولة إعادة الفتاة . ثم تجمع المتذمرون فى مسجد للتشاور فيما يجب عليهم القيام به . وبينما هم كذلك حضر قنصلا فرنسا وألمانيا ،ويقال أنهما حاولا اقتحام المسجد عنوة على المجتمعين،فهجموا عليهما فخرا صريعين ولم تجد محاولات الوالى محمد رأفت باشا فى الاستنجاد بالقوة العسكرية أو بملاحى السفن العثمانية الراسية بالميناء .

وما أن علم الباب العالى بالحادث حتى بادر بإرسال لجنة للتحقيق فيه ، كما أسرعت حكومتا فرنسا وألمانيا إلى إرسال باخرتين حربيتين للتأكد من إجراءات التحقيق ولتأمين مصالحها مستقبلا [1] . وتبعتها سفن انجلترا وروسيا والنمسا وإيطاليا واليونان .

وانتهى هذا الحادث الخطير بقبول الباب العالى ترضية الحكومتين الفرنسية والألمانية ، وذلك بنفى والى سالونيك وبعض الموظفين المسئولين وإعدام القتلة . وقد تم بالفعل تنفيذ حكم الاعدام فى ستة أفراد بمدينة سالونيك ، وذلك بحضور البعثتين الفرنسية والألمانية والقنصل الانجليزى بالمدينة [2] .

وقد دفعت الأحداث المتوالية فى البلقان ؛ من إستمرار الثورة فى البوسنة والهرسك واستعداد الجبل الأسود والصرب لمساعدة اخوانهم فى الجيش، بالاضافة إلى الموقف الحرج الذى خلقته حادثة سالونيك ، بسمرك وجورتشكوف وزير

1 - Duckle; The Life of B. Disraeli vol. 11 P. 894

2 - D. D. F. 1er serie vol. 11 P. 62 M. de Bourgoing à M. Le Duc Décazes No. 5 Péra, 16 M. Mai 1876.

خارجية الروسيا والكونت اندراسي وزير خارجية النمسا الى الاجتماع فى برلين دون اشتراك انجلترا وذلك فى مايو ١٨٧٦ ، وتقدموا إلى الباب العالى بمقترحات من وحى [١] الحكومة الروسية تضمنتها ما تسمى بمذكرة برلين Berlin Memorandum بعد موافقة الحكومتين الايطالية والفرنسية عليها . وتنص المذكرة على القرارات الآتية [٢] :

يعرض على الباب العالى ايقاف العمليات الحربية لمدة شهرين ، وأن يدخل مباشرة فى مفاوضات مع رؤساء الثوار بالبوسنة والهرسك بشأن المطالب التى تقدموا بها والتى اعتبرت صالحة لأن تكون أساسا للبحث والمناقشة وهى :

أولا : تدبير المهمات اللازمة لانشاء مساكن وكنائس للأهالى الذين سيعودون إلى البوسنة والهرسك وأن يعاونوا فى تدبير شئون معاشهم .

ثانياً : أن يكون المجلس المشار اليه فى تقرير الكونت اندراسى للاشراف على تنفيذ الاصلاحات تحت رئاسة أحد المسيحيين من سكان الهرسك .

ثالثاً : جمع الجنود العثمانية وتركيزهم فى مواضع معينة لتهدأ الثورة .

رابعاً : أن يسمح للنصارى بحمل السلاح أسوة بالمسلمين .

خامساً : أن يقوم قناصل الدول بالاشراف على تنفيذ الاصلاحات المشار اليها واسكان المهاجرين . وإذا انقضت مدة الهدنة ولم يوفق الطرفان إلى ابرام

---

1 - Buckle; The Life of B. Disraeli sid 11 P. 894

٢ ـ محفظة رقم ٢٨٥ عابدين ، برقية من طلعت باشا (كاتب الديوان الخديوى المنتدب للعمل بالاستانة) إلى مهردار الخديو فى ١٩ مايو سنة ١٨٧٦

الصلح ، فان الدول الثلاث ترى عقد اتفاق خاص تتخذ فيه التدابير اللازمة لقمع الثورة بغير الطرق الدبلوماسية .

رفض الباب العالى قبول المذكرة ، وشجعه على ذلك عدم اشتراك الحكومة الانجليزية فى توقيعها . هذا بالاضافة الى ما تضمنته من مساس بالحقوق الشرعية للدولة العثمانية .

وحدث قبيل انتهاء شهر ابريل ١٨٧٦ أن عم الاضطراب ولاية بلغاريا ، وقام أهل البلاد بتدبير مذبحة للموظفين المحليين من الأتراك . كما قام البلغاريون المسلحون فى احدى القرى بجهة بازارجق بالهجوم على سكانها من المسلمين ، وكانوا أقل منهم عدداً . فاعتصم هؤلاء المسلمون بمنازلهم . وقام الثوار بقطع أسلاك البرق لمنع النجدات التركية من الوصول الى القرية [1] . ثم هاجموا المسلمين وحدثت مذبحة دبرتها أيد خارج حدود بلغاريا [2] . وتشير أصابع الاتهام إلى الروسيا . وكانت المنطقة الجبلية المحيطة ببلدة فيليبوبوليس مسرحا لهذا الحادث .

وإزاء الثورات المشتعلة فى ولايتى البوسنة والهرسك ، والتهديد بالحرب من جانب الصرب والجبل الأسود ، صمم الباب العالى على القيام بعمل حربى حاسم لحماية قواته المهددة من قبل الثوار ولتأديب البلغاريين . ولم يستخدم فى هذا الهجوم قوات تركية نظامية فحسب ، بل سبقتها قوات غير نظامية من الباشبوزق والشراكسة . فانهالت تلك القوات الأخيرة على الفلاحين ، وكان معظمهم من

١ ـ محفظة ٢٨٥ عابدين . برقية من طلعت باشا فى ٤ مايو ١٨٧٦ (١٠ ربيع ثان ١٢٩٣)

2- Buckle; The Life of Dis. vol. II P. 913

لا يملكون سلاحا - فاشبعوهم جرحا وتقتيلا . وبذلك انتقم الأتراك لأنفسهم من مذبحة فيليبوبوليس أضعافا مضاعفة . وقد ذهب ضحية هـذا الحادث عدد يقدر بنحو ١٢ ألف نسمة [١] (حسب تقدير المبعوث الانجليزى وولتر بيرنج Walter Baring الذى أرسلته الحكومة الانجليزية لموافاتهـا بتقرير دقيق عن الحادث) . وقد نهبت عشرات القرى ونكبت بلدة باتاق نكبة شديدة [٢].

وقد استغرق هذا العمل مدة الثلاثة الأسابيع الأولى من شهر مايو ١٨٧٦ ، ولكن أنباء هـذا الحادث لم تصل إلى الرأى العـام الانجليزى إلا فى ٢٣ يونيو ١٨٧٦ حيث نشرت جريدة الديلى نيوز الناطقة بلسان حزب الأحرار وعلى رأسه جلادستون هذا الحادث وبالغت فى وصف وقائعه مبالغة شديدة، دون أن تشير إلى أن هذا التصرف من قبل القوات التركية كان نتيجة لتلك المذبحة التى قام بها سكان بلغاريا ضد الموظفين الأتراك، ولهجومهم على المسلمين الآمنين فى القرى البلغارية . بل كلها دافعت بتحيز عن البلغاريين بصفة خاصة وعلى شعوب البلقان بصفة عامة .

وانتهـز المعارضون لوزارة دزريلى المحافظة هذه الفرصة وهاجموا الحكومة الانجليزية وطالبوا رئيسها بتغيير سياسته إزاء الدولة العثمانية ، ولكن دزريلى

---

١ - المصدر السابق ص ٩١٩

٢ - يذكر المؤرخ M, A Malet فى مقاله "La Politique Européenne Jusqu' au Traité de Berlin". فى مجموعة Histoire Génèrale المجلد الثانى عشر ص ٤١٨ بأن عدد من قتل من سكان القرية البالغ ١٦ ألف نسمة هو ٧٠٠٠ نسمة كما اشتعلت النيران فى ٧٩ قرية وقتل مالا يقل عن ١٥ ألف نسمة وأصبح ٨٠٠٠ أخر بدون مأوى .

لم يجد فى هـذا الحادث سبباً كافياً لتغيير سياسة انجلترا التقليدية إزاء البـاب العـالى .

وقد محت تلك المذبحة ما كان لتركيا من احترام وتقدير لدى الشعب الانجليزى وأسدلت ستارا مؤقتا من النسيان على الشك فى نوايا الحكومة الروسية إزاء الدولة [١] العثمانية . وأن ثورة الرأى العام فى انجلترا وروسيا ضد الأتراك قد أوضحت بجلاء استحالة الاحتفاظ بالحالة الراهنة دون تغيير . ولهذا فعندما رفضت تركيا قبول الفكرة التى وضعتها الدول الاوربية فى مؤتمر الآستانة لحل مشكلة البلقان ، لم يكن من الممكن للحكومتين الانجليزية والنمساوية منع روسيا من دخول الحرب [٢] .

ثم أعقب هـذا الهجوم من قبل المعارضة هجوماً آخر من قبل جلادستون زعيم الأحرار فى بريطانيا فى ٦ سبتمبر ١٨٧٦ بنى فيـه هجومه عـلى ما نشرته صحيفة الديلى نيوز الانجليزية من أخبار مبالغ فيها إلى حد كبير ، وصف فيها الأتراك بأبشـع ما توصف به أمة من الأمم ، فاتهمهم بأنهم أعداء الانسـانية .

" The one great anti-human specimen of humanity ".

ثم هاجم سياسة حـكومة المحافظين إزاء المسألة الشرقية وهى سياسة الاحتفـاظ بالحـالة الراهنة statu quo وطالب بضرورة تغييرها وطـرد الاتراك من أوربا [٣] .

ولـكن اللورد بيكونزفيلد كان يسير فى ذلك الوقت على سياسة عـــدم

1 - Safwat M.; Tunis and The Great Powers. P. 139.
2 - Medlicott; The Congress of Berlin and After P. 2
3 - Buckle, The Life of B. Disreali vol. P. 932

التدخل. وقد رفض من قبل التوقيع على مذكرة برلين لهذا السبب ، لأنها طالبت بالتدخل الدولى . واكتفى بإرسال بعض قطع من الأسطول الانجليزى إلى مياه Besika لحماية الرعايا والممتلكات الانجليزية ولمنع تكرار المذابح المسيحية . وقد بعث وجود الأسطول الانجليزى فى المياه التركية الطمأنينة فى نفوس الطوائف المسيحية .

اضطربت الأحوال الداخلية فى الدولة العثمانية فى أواخر أيام السلطان عبد العزيز نتيجة التدخل الأوربى فى شئون الدولة واتهام الصدر الأعظم محمود نديم وشيخ الاسلام حسن فهمى بموالاة الحكومة الروسية. فثار طلبة المدارس ضدهما والتف حولهم الغاضبون على سياسة الحكومة ، فاضطر السلطان عبد العزيز إلى عزلهما من منصبيهما حتى تهدأ الثورة . ثم تبع ذلك عزل السلطان عبد العزيز بيد مدحت باشا وأعوانه وتعيين السلطان مراد الخامس بدلا منه . وإزاء تلك الأحداث التى مرت بالدولة وانشغالها بشئونها الداخلية استمرت الثورة مشتعلة فى ولايتى البوسنة والهرسك وبلغاريا . ولم يجد ما أصدره السلطان العثمانى الجديد من منشورات بالعفو عن العصاة فى تهدئة الخواطر .

ولقد تظاهرت ولاية الصرب فى أوائل يونيو ١٨٧٦ بنواياها الطيبة إزاء الدولة العثمانية لتخفى وراءها استعداداتها الحربية . وتواردت الأخبار فى ذلك الوقت بأن قيصر الروسيا قد استدعى قنصل بلاده لدى حكومة الصرب وأبلغه أن ينصح حكومة الصرب بعدم تجاوز حدودها ، وبأنها إذا خالفت نصيحته فانه لن يتدخل فى صالحها. ولكن كان هذا بطبيعة الحال مناورة سياسية من جانب الروسيا .

ولما أتمت ولاية الصرب استعدادها الحربى اتهمت الدولة العثمانية (فى ٢٢

يونية ١٨٧٦) باستخدام القسوة ، والعنف ضد المسيحيين ، وطالب الأمير ميلان بابعاد الجيش عن حدود بلاده ، ثم أعلن على تركيا الحرب فى ٣٠ يونيه ١٨٧٦ . وتبعته الجبل الأسود فى أول يوليو أى فى اليوم التالى . وفى ٢ يوليو عبرت قوات الصرب الحدود التركية . وقد أزعجت هذه الأنباء الامبراطور غليوم الأول امبراطور ألمانيا ، لما قد يترتب عليها من قيام حرب أوربية تجد ألمانيا نفسها مضطرة لخوض غمارها ، وربما فقدت ألمانيا مالها من مركز متفوق فى أوربا [1] .

وكان موقف الحكومة الانجليزية من هذه الحرب هو موقف الحياد التام « Strict neutrality » . ولكنها كما قال اللورد دربى وزير الخارجية لن تدخر وسعا فى تقديم معونتها كدولة صديقة لوضع حد لتلك الحرب . وأعرب اللورد دربى عن سياسة انجلترا فى ذلك الوقت إزاء تركيا بقوله: لاريب أننا قد أخذنا على عاتقنا منذ عشرين سنة خلت أن نؤمن بقاء الرجل المريض (الدولة العثمانية) ضد القتل ، ولكننا لم نضمنه مطلقا ضد الانتحار أو الموت المفاجىء . »[2]

لم تؤخذ الحكومة التركية على غرة باعلان الصرب والجبل الأسود الحرب، بل كانت قد اتخذت للأمر عدته ، فجهزت جيشا قوامه ١٢٠ الف مقاتل [3] . هذا فيما عدا ٣٠٫٠٠٠ جندى بصفة احتياطى وضعت فى ادرنه .

أما الجيش الصربى فكان يتكون من ١١٠٫٠٠٠ مقاتل اشترك فى قيادته

1 - D. D. F. 1er serie vol. 11 p. 76 M. de Gontaut - Biron, Ambassadeur de France à Berlin, à M. La Duc Décazes no. 70 Ems, 28 Yuin 1876.

2 - Buckle; The Life of B. Dis. p. 909

٣ - مجلة الجيش ، المجلد التاسع العدد ٣٦

الجنرال الروسى تاهرنتيف Tahernateff وبعض الضباط الروس الذين كانوا يشرفون على تدريب الجيش الصربى وتنميته (١) .

وبإعلان الصرب والجبل الأسود الحرب على تركيا تمت الحلقة الأولى من المخطط الروسى الذى تعمل روسيا جاهدة على تحقيقه ، وذلك بأن تتاح لها فرصة التدخل للاجهاز على تركيـــا . ولكى لا تعرقل النمسا تنفيذ هذا المخطط قامت بالاتفاق معها فى رشستادت Reichstadt على تقسيم الغنيمة فيما بينهما وذلك بقبول الطرفين مبدأ عدم التدخل فى الحرب الدائرة بين الأتراك والدويلات البلقانية الثائرة . فإذا تحقق للصرب النصر تدخلت الدولتان لأخذ نصيبهما من الغنيمة . فتأخذ النمسا البوسنة والهرسك، وتضم الروسيا إقليم بسارابيا وأن تصبح الآستانة مدينة حرة . وإذا ما انتصر الأتراك تتدخل الدولتان لحرمان الدولة العثمانية من ثمرة انتصارها ولحماية الصرب من انتقام العثمانيين .

لم يستجب الصرب لنصح الدول الكبرى مثـــل انجلترا وفرنسا والنمسا ، ودخلت الحرب ضد العثمانيين مدفوعة بتعضيد الروس ، مطمئنة إلى تدخلهم فى صالحها فى الوقت المناسب ولم يوفق الصرب فى حربهم وتوالت الهزائم عليهم . وباتت الفرصة مواتيـة للروس للتدخل العسكرى دفاعا عن الصقـالبة الصغـار (صقالبة البلقان) وتدعيما لفكرة الجامعة الصقلبية ، وتحقيقا لأطماعهم فى ممتلكات الدولة العثمانيـة . وكان رأس المنادين بالحرب القيصر الروسى ووزير خارجيته جورتشكوف . « وكان الدافع الأول لجورتشكوف هو اكتساب مجد يختم به حياته السياسية . » (٢)

1 - D.D.F. 1er serie vol. II p. 86 Le Marquis d'Harcourt Amb. de France, à Londres, à M. Le Duc Décazes. no.81 Londres, 29 Août, 1876

٢ ـ محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ ص ٢٤

كانت النمسا فى ذلك الوقت تؤيد فكرة التدخل الاوربى لحسم تلك المشكلة. أما انجلترا[١] فكانت ترغب فى أن يواصل الباب العالى مفاوضاته مع الثوار بشدة وحزم للوصول إلى اتفاق فيما بينهم بعيدين عن كل ضغط خارجى. وكان لهذه السياسة وجهان : الأول أن الباب العالى قد لا يستطيع التغلب على الثوار ، وفى تلك الحالة سيضطر إلى منحهم نظاماً شبيهاً بنظام ولايتى الصرب ورومانيا . والوجه الثانى أن الباب العالى ربما استطاع قهر الثوار وتحطيم قوتهم العسكرية . وفى هذه الحالة يكون الوقت مناسباً للتدخل الأوربى لمنح الثوار نظاماً يشبه النظام الذى منح لكريت عقب ثورتها فى ١٨٦٧/٦٦ . وكانت سياسة الحكومة الفرنسية تتفق مع سياسة الحكومة الانجليزيه فى هذا الشأن[٢] .

طالبت الروسيا بوقف القتال عندما توالت هزائم الصرب واشتد الخطر على عاصمتهم ، وعقد هدنة بين الطرفين ودعوة الدول الأوربية المعنية بالأمر إلى عقد مؤتمر للنظر فى الموقف . وكانت روسيا ترمى من وراء ذلك إلى حرمان العثمانيين من ثمرة انتصاراتهم ، وإتاحة الفرصة للصرب كى تعيد تنظيم صفوفها من جديد .

وجد بسمرك فى هذا الموقف فرصته فى التدخل لتنفيذ سياسته التى طالما أعلنها من قبل ، ألا وهى عدم حل المسألة الشرقية بشكل جزئى ، وإنما أن تطرح المسألة برمتها على بساط البحث . فهو يرى أن الدولة العثمانية لا يمكن

---

1 - D.D.F. 1er serie vol. 11 p. 77 et 78 Le Duc Décazes à M. Le General Ilô, Ambassadeur de France à St. Petersbour No. 71 Versailles, 6 Juillet 1877 .

٢ — المصدر السابق

اصلاحها وأن الحكمة تقضى النظر فى تصفية ممتلكاتها العربية وتوزيعها على الدول الكبرى صاحبة المصالح . فبسمرك لا يمـانع مطلقاً فى أن تحتل انجلترا مصر بالاتفاق مع فرنسا ، وأن تمد روسيا نفوذها على شرق البلقان والنمسا على غربه. وبهذا يتحقق التفاهم بين الدول الكبرى وينشر السلام جناحيه على أوربا . ويخيل للاستاذ سيتون واطسون [1] Seton - Watson الذى كان أستاذا للدراسات الصقلبية فى جامعة لندن) أن بسمرك كان يريد بسياسته هذه أن يرضى انجلترا من ناحية وأن يوقع بين انجلترا وفرنسا من ناحية أخرى . والحقيقة أن بسمرك فى تلك الفترة كان مخلصا فى اقتراحه ، لأن من صالح المانيا اشغال فرنسا بكسب خارجى وإيجاد نوع من التعاون بينها وبين فرنسا خارج أوربا.

فبسمرك يرى إذاً فى اتفاق هذه الدول على تقسيم الغنيمة خيرا لها من أن تعارض كل منها الأخرى ، وأن تحول بينها وبين ما تريد ، مما قد يترتب عليه قيام حرب أوربيـة تقضى على التفوق الألمانى فى القـارة ، ونجد أن بسمرك كان يلح فى إخراج مقترحاته هذه إلى حيز الوجود منذ عام ١٨٧٥ ، ولكن انجلترا كانت تؤجل تنفيذها لسببين الأول شكها فى نوايا بسمرك وفى مدى اخلاصه فى هذا العرض . والثانى أن استيلاءها على مصر فى نفس الوقت الذى تستولى فيه الروسيا على منطقة المضايق والآستانة سيقلل إلى حد كبير من قيمة تلك الصفقـة ، إذ من المحتمل - إن لم يكن من المؤكد - أن وصول الروس إلى الآستانة سيدفعهم إلى التطلع إلى بسط نفوذهم على حوض البحر المتوسط الشرقى، وما فى ذلك من تهديد لمصر وسوريا على السواء .

---

1 - Seton-Watson, The Southet Slav Question and the Hapsburg Monarchy P.

تمسكت انجلترا طويلا بسياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ولكن منذ السبعينات من القرن التاسع عشر ، بدأت تلك السياسة تجد معارضة شديدة من قبل بعض الساسة الانجليز لاسيما جلادستون . وفشلت حكومة المحافظين فى التمسك بسياسة بدا عدم جدواها ، خصوصا وأن الرأى العام الانجليزى بدأ يتحول عن تأييده للدولة العثمانية لاعتقاده بألا فائدة من اصلاحها أو تدعيم بقائها .

وقد صرح اللورد دربى وزير الخارجية الانجليزية للمركيز دى هاركورت سفير فرنسا فى لندن بأنه فى حالة تدخل الروسيا فى الحرب ، فان الحكومة الانجليزية تحت تأثير الرأى العام الانجليزى ربما لاتستطيع أن تفعل شيئا لمنعها (١) ولكنه أوضح فى نفس الوقت أن تخلى انجلترا عن سياستها التقليدية فى المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية ليس معناه الاعتراف بالأطماع الروسية فى تلك الممتلكات . وأن انجلترا ستعمل جاهدة على منع الروس من الوصول إلى منطقة المضايق وبالتالى إلى البحر المتوسط وتهديد المصالح الانجليزية فى تلك البقعة من العالم .

وبمجيء سولسبرى إلى وزارة الخارجية الانجليزية فى صيف عام ١٨٧٨ بدأت صفحة جديدة فى العلاقات الانجليزية العثمانية تقوم أساسا على فكرة تصفية ممتلكات الدولة العثمانية الأوربية ، تلك الفكرة التى حاول ساسة انجلترا

---

1 - D.D.F. 1er serie vol. 11 p. 88 Le Marquis d'arcourt Ambassadeur de France à Londres à M. Le Duc Ducazes No. 84 Londres, 10 Sept 1876.

طوال الثلاثة الارباع الأولى من القرن التاسع عشر استبعادها ومعارضتها بكل شدة وعنف .

مؤتمر الاستانة :

على أثر الفشل الذريع الذى منيت به قوات الصرب فى محاولاتها الأخيرة على سهل مورافا وسقوط استحكامات بلغراد وعكسيناج تلقى الجنرال اجناتيف سفير روسيا فى الآستانة ، أمرا من حكومته بقطع العلاقات الدبلوماسية وبمغادرة الآستانة إذا لم توقف الحكومة العثمانية الحرب فى ظرف ثمانية وأربعين ساعة [١] ،

وقد وافقت الحكومة التركية على شروط وقف القتال ، وأرسلت بتعليماتها إلى قواعدها العسكريين لإيقاف العمليات الحربية فى كل من الصرب والجبل الأسود .

لم يتوقف القتال سوى من جانب الدولة العثمانية فحسب بينما لم تذعن الصرب أو الجبل الأسود لهذا الأمر إلا بعد تدخل الدول الأوروبية الكبرى . بناء على ذلك قررت إنجلترا دعوة الدول الأوربية الكبرى إلى عقد مؤتمر فى الآستانة دون إشتراك الباب العالى - كطلب روسيا - على أساس المقترحات الانجليزية ، مع المحافظة على كيان الدولة العثمانية . وأن تتعهد كل دولة بألا ترمى من وراء اشتراكها فى المؤتمر إلى أى كسب شخصى [٢] وقد وافقت النمسا على وجهة نظر إنجلترا هذه .

---

١ - محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ (١٥ شوال سنة ١٢٩٣)

2 - D. D. F. vol. 11 p. 107 Le Marquis d' Harcourt, Ambassadeur de France à Londres, à M. Le Duc Décazes, no 107 Londres, 4 nov. 1876

وفى خـلال الدعوة لعقد المؤتمر صرح (١١ نوفمبر سنة ١٨٧٦) القيصر الروسى اسكندر فى الكرملين بأنه ظل طوال فترة حكمه يعمل على تحسين أحوال الرعايا المسيحيين فى الولايات التركية ، وسينعقد مؤتمر بالآستانة للنظر فيما يجب إدخاله من إصلاحات،وأنه إذا لم تقبل تركيا القيام بها فستلجأ الحكومة الروسية إلى استخدام القوة .

ومما شجع الروسيا على الوقوف هذ الموقف الصلب تأكدها من تأييد بسمرك لسياستها إزاء الدولة العثمانية ، لأن ألمانيا لم تكن تعتقد فى جدوى المؤتمرات فى حل المشكلات الأوربية . (١)

ولم يكن تصريح القيصر الروسى مجرد تهديد لتركيا ، بل أن الحكومة الروسية انتهزت فرصة انعقاد مؤتمر الآستانة وحشدت ٢٥٠ الف جنـــدى على حدود ولايتى الأفلاق والبغدان، ونحو ١٥٠ الف مقاتل على حدود الاناضول. فأصبح مركز الدولة العثمانية فى غاية الخطورة .

وقد وضح خلال السنوات الأخيرة التقرب بين الروسيا وألمانيا ، وبذلك احتلت ألمانيا ما كان لفرنسا من مركز متفوق لدى حكومة بطرسبرج . وقد نبه الجنرال لوفلو Le Flo سفير فرنسا فى بطرسبرج حكومته إلى هذه الحقيقة وأوعز السبب فى ذلك إلى اتفاق سياسة الحكومتين الفرنسية والانجليزية . وأشار عليها بأن تكون تصرفات مندوب فرنسا فى مؤتمر الآستانه فيها نوع من المجاملة

---

1 - D.D. F. vol. 11 p. 129 M. de Bourgoing, Ambassdeur de France à Constantinople, à M. Le Duc Décazes no. 126 Péra, 25 Dec. 1876.

الحكومة الروسية حتى لاتظل برلين محورا للسياسة الروسية [١] .

حاول السلطان عبد الحميد أن يحبط أعمال المؤتمر فأعلن فى اليوم الأول لانعقاده موافقته على اعلان الدستور العثمانى . ذلك الدستور الذى كان ثمرة لكفاح طويل بين مدحت باشا وأعوانه وبين السلطان عبد العزيز . وكان هذا الإعلان حركة سياسية بارعة من جانب السلطان عبد الحميد ، إذ أن معناه بطريق غير مباشر انذاراً لمندوبى الدول الاوربية المجتمعين فى المؤتمر بانتهاء سبب المشكلة التى انعقدوا من أجلها . فلم يكن لاجتماع الدول الأوربية أى معنى بعد اعلان الدستور العثمانى الذى يسوى بين جميع العناصر والأديان فى الامبراطورية العثمانية فى الحقوق والواجبات .

ولكن حكومات الدول الأوربية الممثلة فى المؤتمر كانت تعلم نوايا السلطان عبدالحميد الاستبدادية وبأن إعلان الدستور ماهو إلا مناورة بارعة لإبعاد التدخل الاوربى فى شئون البلقان . ولهذا واصلت اجتماعاتها رغم إعلان الدستور .

أخذت الروسيا تستعد للحرب فبذلت مساعيها لدى حكومة بوخارست لضم بلغاريا إلى جانبها فى حالة قيام حرب بينها وبين الحكومة العثمانية ، وكان أغلب أعضاء الوزارة البلغارية يميلون إلى التحالف مع الروسيا . أما أعضاء البرلمان البلغارى فكانوا مترددين [٢] . واستطاعت الحكومة الروسية ابرام معاهدة

1 - D. D. F. vol. III p. 120 Le Géveral Flô, Ambassadeur de France à Petersbourg à M. Le Duc Décazes. no. 117 Petesbourg, 20 nov. 1876.

2 - Ibid. M. Debains, Consul général de France à Bucarest, à M. Le Duc Décazes. no. 123 Bucarest, 15 Dec. 1876.

سرية مع رومانيا (٢٨ نوفمبر ١٨٧٦) تخول للجيوش الروسية حق المرور فى الأراضى الرومانية واستخدام بعض مواردها . وفى نفس الوقت استفسرت من الحكومة الألمانية عما إذا كانت تستطيع الاعتماد على حياد ألمانيا فيما إذا أدت الحرب بين روسيا وتركيا إلى الدخول فى حرب مع النمسا . وعندما تأخر رد الحكومة الألمانية دخلت الحكومة الروسية فى مفاوضات مباشرة مع النمسا انتهت بعقد معاهدة سرية (بودابست) فى ١٥ يناير سنة ١٨٧٧ ، تنص على وقوف الامبراطورية النمساوية على الحياد فى حالة قيام حرب بين تركيا وروسيا بشرط أن توافق روسيا على احتلال النمسا للبوسنة والهرسك فى معاهدة الصلح .

وعندما عقد مؤتمر الآستانة وطرحت المشكلة البلقانية على بساط البحث ظهرت الخلافات فى وجهات النظر بين الدول المختلفة تبعا لمصالحها المتباينة .

ونتيجة لهذا الاختلاف عزمت الحكومة الروسية على الإلتجاء إلى القوة معتمدة على تأييد الامبراطوريتين الألمانية والنمساوية . ولكن الحكومة الإنجليزية صرحت بأنها ترفض الاشتراك فى أى عمل قهرى تقوم به الدول الاوربية إزاء الدولة العثمانية .

كما أظهرت الحكومة الفرنسية بكل وضوح وجلاء عدم تعاونها فى أى عمل حربى ضد تركيا يكون الغرض منه تنفيذ مشيئة الدول الاوربية بالقوة عن طريق التدخل الحربى المسلح .

وقد اقترح الجنرال اجناتيف (سفير الروسيا فى الآستانه) فى المؤتمر توجيه إنذار إلى الحكومة التركية يتضمن المبادىء العامة ، والقرارات التى إتخذها المؤتمر موضحا بأن أية مذبحة جديدة أيا كانت ، أو أى إعتداء على أية ولاية من ولايات البلقان يعتبر تحرشا لاوربا بأجمعها تقابله بما تراه من إجراءات .

وافق أعضاء المؤتمر على اقتراح الحكومة الروسية من حيث المبدأ ، ولكنهم طلبوا تخفيف شروطه لتكون مقبولة لدى الباب العالى ولدى الحكومة الانجليزية(١) وبينما كان أعضاء المؤتمر يحاولون تخفيف الشروط ، رفض مندوب ألمانيا فى المؤتمر الموافقة على ذلك بناء تعليمات بسمرك ـ بحجة أن فى هذا العمل إهدارا لكرامة أوربا ، إذ أن بسمرك يرفض أن يحط من شأن الإمبراطورية الألمانية .

وكانت الحكومة العثمانية تأمل فى أن تجد فى اختلاف وجهات نظر الدول الأوربية ما يساعدها على مواجهة الموقف . وأخيرا وافقت الحكومة الألمانية على الصيغة النهائية لقرارات المؤتمر (٢)

وتتضمن قرارات المؤتمر مايلى :

أولا : ضم جهة مالى روزنيك إلى ولاية الصرب مع ارجاع حدودها القديمة لها .

ثانيا : أن يضم إلى الجبل الأسود جهات اسبيذا وبعض أجزاء من البانيا والهرسك .

ثالثا : منح ولاية البوسنة إستقلالا إداريا ، وأن يعين الباب العالى لحكمها حاكما مسيحيا لمدة خمس سنوات .

---

1 - D, D. F, vol. 11 p. 132 Le général Flô, Amb. de France à St. Petersbourg. à M. Le Duc Décazes, no. 129 St Petersbourg 3, Jan. 1877

2 - D. D. F. vol. 11 p. 136 M. De Gontaut-Biron, Amb. de France à Berlin à M. Duc Décazes. no. 134 Berlin, 15 Jan. 1877.

رابعاً : منح الاستقلال الداخلى لولاية بلغاريا .

خامسا : تشكيل بوليس وطنى للأقاليم المذكورة ، واعتبار اللغة السلافية لغة رسمية لأنها لغة أكثرية السكان . كما تخصص نصف ميزانية تلك البلاد للصرف على مرافقها العامة .

سادسا : حرية إنتخاب مشايخ القرى والقضاة فى إقليم فلبة ومقدونيا العليا المجاورة للبلاد المذكورة .

سابعا . أن يحتل تلك الإقاليم فترة من الوقت قوة عسكرية بلجيكية قوامها ستة آلاف جندى تكون مصاريفها على حساب الدولة العثمانية .

رفضت الدولة العثمانية تلك القرارات ، واقترحت قبول مشروع الكونت اندراسى وتطبيقه على ولايتى البوسنة والهرسك ، وإنشاء لجنة للمراقبة تنتخب إنتخابا حرا لمدة عام ، وتتكون من مسلمين ومسيحيين ، يرأسهم موظف تختاره الحكومة العثمانية .

وعلى أثر ذلك صرح الجنرال اجناتيف بأن أى اعتداء على الولايات البلقانية أو استخدام القوة ضد المسيحيين يعتبر تحرشا لأوربا المسيحية . (١)

وفى حقيقة الأمر لم يكن مقدرا لهذا المؤتمر النجاح ، فكل الظروف المحيطة به كانت غير مهيأة . كما كانت كل الدول تقريبا تعمل على فشله .

لجأت الحكومة الروسية إلى كسب إنجلترا إلى جانبها ، وذلك عن طريق

1 - D.D.F. vol. 11 p. 137 M. Bourgoing, Amb. de France à Constantinople, à M. Le Duc Décazes. no 135 Pera, 20 Jan. 1877

الاتفاق على صيغة معينة لإقرار السلام مع الحكومة الإنجليزية لتقوم بتقديمها إلى الحكومة العثمانية حتى إذا ما رفضها الباب العالى إستطاعت الحكومة الروسية أن تضمن بقاء الحكومة الانجليزية على الحياد فى الصراع القادم بينها وبين الدولة العثمانية. ولكن الكونت شوفالوف سفير الروسيا بلندن استطاع فى النهاية الوصول إلى اتفاق مع اللورد دربى على مشروع[1] بروتوكول لتقديمه إلى الحكومة التركية.

وقبل توقيع الدول الاوربية على بروتوكول لندن أرسل موسورس باشا سفير تركيا بلندن إلى حكومته يخبرها بأن الاتفاق لم يتم بين الدول بشأن سحب الجنود الروسية من الحدود، وعلى ذلك فمن المنتظر وقوع الحرب بصفة مؤكدة، وأوصى حكومته بضرورة الاستعداد.[2]

ويبدو أن الحكومة الروسية كانت تتوقع رفض الباب العالى لهذا البروتوكول فأصدرت أوامرها إلى الضباط الروس الملحقين بالجيش الرومانى بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لإحتمال القيام بحركة هجوم مفاجىء يطلب منهم القيام به. وقد تم توقيع البروتوكول فى لندن من ممثلى الدول الاوربية التى اشتركت فى المؤتمر. ويعبر هذا البروتوكول عن الأمل فى أن يسود السلام الجبل الاسود على أساس تعديل حدوده، مع سحب القوات العثمانية من أراضيه ونزع سلاحها، وأن تتعهد الحكومة العثمانية بتحسين أحوال الولايات الثائرة، وذلك تحت إشراف سفراء الدول الاوربية.

---

1 - Le Marqius d'Harcourt, Amb. de France à Londres, à M. Le Duc Décazes no. 146 Londres, 16 mars, 1877.

٢ ـ محفظة ٢٨٥ عابدينى (تركى) برقية من طلعت باشا الى المعية السنية فى ٢٦ مارس سنة ١٨٧٧ (١١ ربيع أول سنة ١٢٩٤).

رفض الباب العالى قبول بروتوكول لندن وكذلك البرلمان التركى . وقد علق اللورد دربى على هذا الرفض للقائم بأعمال السفارة الفرنسية فى لندن بأن رفض الباب العالى للبروتوكول قد تم بوحى إحدى الدول التى كان لها نصيب فى الحرب. ولهذا فان توسط الحكومة الانجليزية فى هذا النزاع قد أصبح منتهيا ، وليس لديه الآن مايفعله ، وأنه إذا كانت الحكومة الروسية راغبة عن الحرب فقد فشلت فى سياستها . أما إذا كانت تريد الحرب وأن هدفها إثارة الحكومة التركية لإلقاء مسئولية الحرب على عاتقها فقد نجحت فى ذلك .

وفى حقيقة الأمر فقد نجحت الحكومة الروسية فى سياستها إزاء الدولة العثمانية إذ استطاعت الحصول على موافقة الدول الاوربية على بروتوكول لندن حتى تضمن بقائها على الحياد فى حالة نشوب حرب بينها وبين الباب العالى ، لأنها أظهرت أمام تلك الدول بأنها قد ذهبت إلى أبعد حد فى التساهل وفى التعاون لحل المشكلة ، ولكن الباب العالى رفض الإستجابة إلى مطالب الدول الأوربية مجتمعة وبذلك فصلت بين الباب العالى وإنجلترا وهى الدولة التى كان يحتمل تدخلها فى صالح تركيا . ولم يكن ذلك يخاف عن وزير خارجية إنجلترا كما أن فرنسا لاتستطيع أن تقف إلى جوار الباب العالى بعد أن وقفت الحكومة الانجليزية موقف الحياد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن فرنسا كانت تريد الاحتفاظ بصداقة الدولتين الكبيرتين إنجلترا وروسيا .

أما عن موقف الباب العالى فقد ذهب فى رفضه الخضوع لمطالب الروسيا إلى أبعد مدى ، إعتقادا منه بأن الحكومة الانجليزية لن تتركه وحده فى هذا الصراع مع روسيا لما قد تتعرض له مصالحها فى تلك المنطقة للخطر كما حدث فى حرب القرم .

كانت الفرصة إذن مواتية للروسيا كى تضرب ضربتها بعد أن اطمأنت إلى

النمسا وألمانيا فى حالة دخولها الحرب ضد تركيا أو إنجلترا . وكانت الظروف الدولية توحى لها بأن انجلترا لن تحرك ساكنا لسببين: أولهما أن الشعب الانجليزى والحكومة الانجليزية لم يعودا يتمسكان بسياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية. والثانى أن انجلترا لم تكن مستعدة فى ذلك الوقت لدخول حرب أوربية. وكان كل ما يهم انجلترا فى هذا النزاع ألا تمتد العمليات الحربية الروسية إلى مصر أو الخليج العربى أو منطقة المضايق والآستانة .

وبعد أن بدا الموقف لروسيا واضحا جليا لم تتردد فى مهاجمة تركيا بعد إعلان الحرب عليها فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ . وكانت تأمل أن تحرز قواتها انتصارات حاسمة وسريعة على القوات التركية ، وبذلك تضع الرأى العام والدول الاوربية أمام الأمر الواقع . ولم يتحقق لهم ذلك سريعا نظرا لصمود مدينة بلفنا أمام القوات الروسية .

الفصل الخامس

مؤتمر برلين ١٨٧٨

بدأت الحكومة الانجليزية تتحرك عندما بدا الخطر واضحا على الآستانة والمضايق ، فأرسلت بعض قطع من أسطولها فى مياه البحر المتوسط للوقوف على مقربة من الدردنيل .

أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الروسيا وانجلترا وإلى تدخل المانيا لمحاولة التوفيق بين الدولتين . وفى تلك الأثناء نجح الروس فى فرض معاهدة سان استفانو فى ٣ مارس ١٨٧٨ على الدولة العثمانية . وتنص تلك المعاهدة على اعتراف الدولة العثمانية بحرية الملاحة فى المضايق ، وأن تتعهد بإغلاق البحر الأسود فى وجه الدول المعادية لروسيا فى وقت الحرب . كذلك نصت على استقلال رومانيا بصفة نهائية عن الدولة العثمانية مع منحها جزءاً من دلتا نهر الدانوب . أما بلغاريا فتضم اليها اقليم دبروجة وبذلك تتسع رقعتها وتصبح ولاية كبيرة تتمتع بالاستقلال الذاتى مع الاعتراف بالسيادة الإسمية للباب العالى . وإلى أن تصبح تلك الولاية قادرة على حماية نفسها تقوم القوات الروسية باحتلالها .

كذلك تلحق أجزاء من الهرسك بالجبل الأسود . أما بخصوص الروسيا فتضم اليها اقليم بسارابيا وأردهان وقارس وباطوم وجزء من أرمنية . هذا بالاضافة إلى غرامة حربية فرضتها على الدولة العثمانية قدرها ٢٣٥ مليون جنيه .

وقبل أن يصل الى علم الحكومة الانجليزية نبأ توقيع تلك المعاهدة أدلى اللورد

دربى بتصريح فى منتصف مارس سنة ١٨٧٨ بأنه يجب أن يكون مفهوما أن كل بند من بنود المعاهدة التى ستوقع بين الحكومتين الروسية والعثمانية ، يجب أن يعرض على مندوبى الدول الأوربية فى المؤتمر لاللتصديق عليه ولكن للنظرفيه.

قوبلت تلك المعاهدة بهجوم عنيف من قبل انجلترا والنمسا ، لأنها منحت الروسيا امتيازات واسعة فى البلقان ، إلى جانب سيطرتها على منطقة المضايق والملاحة فى البحر الأسود . فهى من وجهة نظر انجلترا قد جعلت للروسيامركزا متفوقا فى شرقى البحر المتوسط يهدد مصالح انجلترا وسلامة مواصلاتها إلى الهند وجنوب شرقى آسيا .

كما أنها من وجهة نظر النمسا قد غلبت النفوذ الروسى فى شرقى البلقان دون أن يكون لها نصيب فى الغنيمة . وكما نعلم كانت النمسا تسعى الى زيادة نفوذها فى غربى البلقان .

بدأت الانظار تتجه الى ألمانيا وأخذ مركز الثقل السياسى ينتقل الى برلين . ومن برلين جاءت النجدة لانقاذ السلام الأوربى بتدخل بسمرك الفعلى لحسم هذ النزاع الخطير . فبدأ يتوسط بين النمسا وروسيا وقبل أن تكون مقترحات اندراسى وزير خارجية النمسا أساسا لحل الخلاف بين الدولتين . وترضية للنمسا اعترفت الروسيا بحقها فى احتلال البوسنة والهرسك . وبذلك تحقق للنمسا السيطرة على غربى البلقان فى مقابل سيطرة الروس على شرقيه . وبذلك يتعادل نفوذ الدولتين فى البلقان .

أما انجلترا فقد أوضح وزير خارجيتها سولسبرى للسفير الروسى شوفالوف

فى لنــدن الأسبـاب التى دعت انجلترا لمعـارضة المعـاهـدة فى النقـاط الآتية [1] :

أولا : أن هذه المعاهدة قد وضعت الدولة العثمانية تحت رحمة الروسيا .

ثانياً : أن المعاهدة قد جعلت من بلغاريا دولة بحرية كبيرة . ولذا فمن الضرورى العمل على تقليل مساحة بلغاريا لايجاد توازن بين دويلات البلقان .

ثالثاً : طالبت انجلترا بالعمل على تقوية مركز الدولة العثمانيـة فى آسيا .

لم تمانع الروسيا فى تعديل بنود معاهدة سان استفـانو بمـا يتمشى مـع مقترحات انجـلترا .

ولـكن ما هو موقف انجلترا من حصول كل من الروسيا والنمسا على امتيازات على حساب ممتلكات الدولة العثمانية . هل ستقف مما يجرى أمام ناظريهـا موقف المتفرج وتخرج من هذه الصفقة صفر اليدين ؟

للاجابة على هذا السؤال نقول بأننا ذكرنا من قبل كيف كان مجىء سولسبرى الى وزارة الخارجية الانجليزية بداية صفحة جديدة فى سياسة انجلترا إزاء الدولة العثمانية . فسولسبرى لم يكن كسلفة دربى حريصا على سياسة انجلترا التقليدية فى المحافظة على كيان الدولة العثمانية . بل كان يرى أن « خير حل فى نظره هـو استبعاد الدولة العثمانية من شرقى أوربا . وتقسيم ممتلكاتها » [2] .

وكانت انجلترا تطمع فى ضم جزء من ممتلكات الدولة العثمانية مثل مصر أو كريت أو قبرص . وفى حقيقة الأمر كانت نفس بريطانيا تهفو الى احتلال مصر ،

---

١ ــ محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره فى البلاد العربية ص ٤٣ .
٢ ــ المصدر السابق ص ٣٣ .

وطالما شجعها بسمرك على هذا العمل منذ ١٨٧٥ ، ولكنها خشيت الاقدام على هذه الخطوة حتى لا تسيء الى علاقاتها مع فرنسا . ولذا اتجه نظر انجلترا إلى جزيرتى كريت وقبرص . وقد فضل سولسبرى ورجال الحرب احتلال قبرص لما لها من موقع ممتاز فى شرقى البحر المتوسط . بل كانوا يطلقون عليها « جبل طارق جديد » و « مفتاح غربى آسيا » . ومما رجح قبرص على غيرها اشرافها على السواحل المصرية الشمالية ، وقربها من ممتلكات الباب العالى الآسيوية حيث تتركز أطماع الروسيا .

بدأت المفاوضات سرية بين الدولة العثمانية وانجلترا ، واختارت انجلترا توقيتا مناسبا للدخول فى تلك المفاوضات ، وهو الوقت الذى استعرت فيه الحرب بين الروسيا والدولة العثمانية ، واندحرت قوات الأخيرة أمام ضربات الروسيا .

ولما كان الباب العالى فى حاجة الى حماية انجلترا ، ولا سيما بعد أن هدده سولسبرى بتصفية ممتلكاته إذا لم يرضخ للمطالب الانجليزية ، فقد قبل احتلال انجلترا لقبرص فى مقابل حمايتها لدولته . ووقعت المعاهدة السرية فى ٢٦ مايو سنة ١٨٧٨ .

وعلى هذا النحو أخرجت انجلترا مشروع تقسيم ممتلكات الباب العالى الى حيز الوجود ، واطمأنت على نصيبها من الغنيمة ، لايجاد التوازن بين القوى فى شرقى البحر المتوسط .

أما عن موقف الحكومة الفرنسية من معاهدة سان استفانو فكان متفقا مع وجهة نظر الحكومة الانجليزية فى ضرورة إعادة النظر فى تلك المعاهدة فى مؤتمر

دولى . فحكومة الجمهوريين فى فرنسا كانت ترى التقرب من انجلترا والتعاون معها فى المسائل الأوربية لاستعادة نفوذها من جديد ، كما كان يهم انجلترا أيضا أن تتعاون الدولتان فى حل المسألة الشرقية لابعاد فرنسا عن روسيا ، لا سيما وأن التعاون بين الدولتين كان مرضيا عنه من قبل المانيا .

ولكن تعاون فرنسا فى حل تلك المشكلة كان مشروطاً ، فالمسائل المتعلقة بمصر وسوريا وتونس يجب أن تستبعد كلية من العرض على المؤتمر المقترح . ولم تتردد انجلترا فى قبول مطالب فرنسا ، بل أنها لم تعترض على رغبة فرنسا فى أن يكون لها نفوذ متساو لنفوذها فى مصر . كذلك قبلت المانيا شروط فرنسا للاشتراك فى مؤتمر برلين . وهذا يعنى أن بسمرك كان موافقا فى أن يكون لفرنسا وضع خاص فى تلك البلاد التى استثنتها ولا سيما تونس . كما أن بسمرك لم يكن يمانع فى أن تمنح ايطاليا طرابلس (ليبيا) لو أرادت تعويضا لها عن تونس التى كانت تتطلع اليها قبل أن تحتلها فرنسا والتى كانت ترى ضرورة اكتفاء فرنسا بالجزائر فحسب .

مؤتمر برلين

كان انعقاد المؤتمر فى برلين اعترافا من الدول الأوربية بتفوق النفوذ الالمانى ، فانتقل مركز الثقل السياسى تبعا لذلك من باريس وفينا ولندن وبطرسبرج الى برلين . ولم يكن اجتماع الدول الأوربية الكبرى لاعادة النظر فى معاهدة سان استفانو بقدر ماكان للموافقة على الاتفاقات التى تمت بين روسيا والنمسا من جهة وبين الروسيا وانجلترا من جهة أخرى .

انعقد المؤتمر برياسة بسمرك الذى كان يتمتع بنفوذ سياسى لا يعادله نفوذ

آخر . ومثل انجلترا وفد برياسة بيكونزفيلد أو « سبع المؤتمر » Lion of the Congress والذى ربطته ببسمرك أوثق الصلات . كان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت الثالثة والسبعين ، وكان لا يفهم من الفرنسية إلا النذر اليسير ، وكانت لغة المؤتمر هى الفرنسية . ولذا فكان فى كثير من الأحيان لا يدرى بما حوله فى المؤتمر ، ويتوجس خيفة فى كل من حوله ، ويظن بأنهم يأتمرون به[1] . والواقع كان ممثل انجلترا الحقيقى هو سولسبرى الذى اهتم بكل التفصيلات التى تركها له بيكونزفيلد عن طيب خاطر .

وكان يمثل الروسيا المستشار الروسى جورتشكوف السياسى الهرم إذ كان يبلغ من العمر — فى ذلك الوقت — الثمانين سنة ولم يكن على علم بالتفصيلات أو دراية بجغرافية بلاد البلقان . وكذلك لم يكن حذرا فى إخفاء ما لديه من معلومات سرية . ففى أثناء جلسات المؤتمر أخذ خريطة سرية وبدأ يطلع عليها أمام أعين السفير الانجليزى المستطلعة الى أن جاء زميله فطواها من أمامه وأخفاها . ولذا كان الاعتماد كله على مساعده شوفالوف سفير الروسيا فى لندن .

وجاء الوفد النمسوى وعلى رأسه اندراسى الذى كان يشبه بالغجر gypsy ، وكانت علاقاته حسنة بالجميع وعلى العموم كان الوفد النمسوى أقوى وفد من حيث شخصياته . فهناك كارولى Karolyi وميزاته الاجتماعية لا تنكر . ثم هناك لباقة هيرمله Haymerle السياسية .

أما الوفد الفرنسى فكان على رأسه وادنجتون Waddington وهو من أصل انجليزى تعلم فى أكسفورد ، وكان فى حالة قلق ولكن تشجعه صداقة

---

١ — د. صنوت . مؤتمر برلين ١٨٧٨ ص ٤٤

بسمرك ويعاونه السفير الفرنسى فى برلين سان فاليير St. Vallier وكان يقاسى من داء عضال . ثم هناك دسبريه Desprez الذى اشتهر بين أعضاء المؤتمر بحسن خطه و نظامه، فلا عجب إذا قام بكتابة المعاهدة .

أما ايطاليا فقد مثلها وفد برياسة أشهر سياسى ايطالى فى ذلك الوقت كورتى Corti، وفى مؤخرة الوفود يأتى الوفد التركى ويمثله قره تودرى باشا وهو تركى يونانى الأصل ، ويعاونه محمد على باشا ، وهو من الجنود الألمان القدماء الذين اعتنقوا الاسلام . ولم يكن الوفدان الايطالى أو التركى موضع احترام بسمرك أو عطفه .

وأظهر شخصية فى المؤتمر هى شخصية رئيس المؤتمر بسمرك . فاستطاع بمقدرته الفائقة أن يحول مجرى المناقشات ، ويعمل على انهاء المحاولات العقيمة ، ويهدد المؤتمر بتركه للذهاب للاستشفاء فى بلدة Kissingen . ولم يعامل أحدا معاملة أسوأ من معاملته للترك .

وفى المقصف جلس ممثلو الدول البلقانية المختلفة : اليونان والصرب والبلغار والجبل الأسود ورومانيا ، والى جانب هؤلاء توجد طائفة الصحفيين .

اجتمع المؤتمر فى ١٣ يوليو ١٨٧٨ . وثارت مناقشات عنيفة خلال الجلسات رغم أن كثيرا من المسائل قد سويت قبل عقد المؤتمر ،ولا سيما ما يتعلق ببلغاريا وباطوم . واتسمت المناقشات بين المندوبين الروس والانجليز بصفة خاصة بالشدة والعنف .

وعلى أية حال توصل المندوبون الى الاتفاق فيما بينهم على بنود المعاهدة

التي تتكون من أربع وستين مادة هي [1] :

الديباجة

صاحب الجلالة قيصر المانيا وصاحب الجلالة قيصر النمسا والمجر ورئيس الجمهورية الفرنسية وصاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة وامبراطورة الهند، وصاحب الجلالة ملك ايطاليا وصاحب الجلالة امبراطور الروسيات كلها ، وصاحب الجلالة امبراطور العثمانيين . رغبة منهم فى تقرير فكرة للنظام الاوربى تبعا لنصوص معاهدة باريس ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦، جميع المسائل التى ظهرت فى الشرق نتيجة لحوادث السنوات الماضية وللحرب التى وضعت حدا لها المعاهدة الابتدائية فى سان استفانو على اتفاق تام بأن عقد مؤتمر هو خير وسيلة لتسهيل التقارب بينهم ، ولذلك عين جلالاتهم ورئيس الجمهورية الفرنسية ممثليهم (الاسماء) الذين اجتمعوا فى برلين وفقا لاقتراح بلاط النمسا والمجر ودعوة المانيا، وخولوا كل السلطات التى وجدت حسنة وفقا للعرف الدولى .

ولقد اتفقوا فيما بينهم على الشروط الآتية :

المادة الاولى : تصبح بلغاريا ولاية لها استقلال داخلى تدفع الجزية وتدين بالولاء لسلطان تركيا . وتكون لها حكومة مسيحية وقوة بوليس قومية .

٢ ـ تشتمل ولاية بلغاريا على الاراضى الآتية : يتبع الحد الشمالى لها شاطىء الدانوب الأيمن ... ويحد البحر الاسود الولاية من الشرق ... وتعيين هذه الحدود يكون بواسطة لجنة أوربية تمثل فيها الدول الممثلة ، وتهتم هذه اللجنة بالمسائل الآتية : ١ ـ مسألة ضرورة دفاع السلطان عن الحدود البلقانية للروملى الشرقية ... ٢ ...

---

[1] ـ المصدر السابق ص ٤٦ وما بعدها .

٣ - أمير الولاية ينتخبه السلطان ويثبته الباب العالى بموافقة الدول ، ولا يمكن لأحد أعضاء الأسرات الحاكمة فى أوربا أن ينتخب أمير لبلغاريا ...

٤ - يضع مجلس أعيان بلغاريا مجتمعا فى سيرنوفو دستورا للولاية قبل انتخاب الأمير .

٥ - تلخيص . يجب أن يراعى القانون العام لبلغاريا القواعد الآتية . عدم التفريق بين المعتقدات فى المسائل السياسية والحقوق المدنية وحرية الاعتقاد الدينى .

٦ - أما الادارة المؤقتة لبلغاريا فتكون بيد قومسير روسى قيصرى الى وقت وضع الدستور . ويساعده قومسير عثمانى والقناصل الذين تنتدبهم الدول الموقعة لهذه المعاهدة . ويفصل فى المنازعات التى تثور بين القومسيرين قناصل الدول .

٧ - لا يمكن للفترة المؤقتة أن تستمر أكثر من تسعة شهور من وقت موافقة الدول على هذه المعاهدة .

٨ - المحافظة على كل المعاهدات التجارية والبحرية المعقودة بين الدول الأجنبية والباب العالى والتى لا تزال معمولا بها الى الوقت الحاضر فى ولاية بلغاريا ، ولا تغير معاهدة من هذه المعاهدات إلا بموافقة الدولة صاحبة الشأن .

٩ - تلخيص . الجزية التى تدفعها ولاية بلغاريا للباب العالى تعين باتفاق الدول التى امضت هذه المعاهدة . وتعين الدول مقدار الدين العثمانى الذى يخص بلغاريا .

١٠ - بعض واجبات بلغاريا .

١١ - لا يقيم الجيش العثمانى فى بلغاريا . وتهدم الحصون القديمة على حساب

الولاية البلغارية فى مدى عام ... ولا يمكن بناء حصون جديدة .

١٢ - بعض حقوق المسلمين فى بلغاريا .

١٣ - جنوب البلقان تقوم فيه ولاية الروملى الشرقية تكون تحت سلطان الباب العالى السياسى والحربى المباشر على شريطة أن تعطى استقلالا إداريا .

١٤ - ١٥ ، ١٦ (خاصا بحدود الروملى الشرقية وحدود السلطان فيها).

١٧ - يعين الباب العالى الحاكم العام للروملى الشرقية بموافقة الدول لمدة خمس سنوات .

١٨ - ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ - (يختص بالروملى الشرقية وتنظيمها الادارى والمالى وحقوقها الدولية وحقوق الدول فيها) .

٢٢ - قوات الاحتلال الروسية فى بلغاريا والروملى الشرقية تتكون من ثمان فرق لاتتعدى خمسين ألف جندى . حقوق ومهمة القوة الروسية .

٢٣ - يتعهد الباب العالى بأن يطبق بدقة الدستور الذى أعطى لكريت فى سنة ١٨٦٨ مع ادخال التعديلات الضرورية .

٢٤ - فى حالة ما إذا لم يتفق الباب العالى مع الدولة الاغريقية على مسألة تعديل الحدود الاغريقية تعرض الدول المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسيا وساطتها لتسهيل المفاوضات بين الدولتين .

٢٥ - مناطق البوسنة والهرسك تحتلها ويديرها النمسا والمجر . وتظل الإدارة العثمانية باقية فى سنجق نوفى بازار ...

٢٦ - يعترف الباب العالى والدول باستقلال الجبل الأسود .

٢٧ - فى الجبل الأسود لايجب أن تقيم الاختلافات الدينية والمذهبية عراقيل

إزاء الحقوق السياسية والمدنية .

٢٨ - تحديد حدود الجبل الأسود .

٢٩ - يضم الجبل الأسود انتيفارى والساحل الملحق بها . . . ولا يجوز أن يكون للجبل الأسود قوة بحرية .

٣٠ - تتعلق بشأن المسلمين فى الجبل الأسود .

٣١ - يتفق الجبل الأسود مباشرة مع الباب العالى فى شأن ممثليه فى أملاك الدولة العثمانية البلقانية .

٣٢ - بشأن اخلاء كل من العثمانيين وسكان الجبل الأسود الأراضى من أملاك الفريق الآخر منهما .

٣٣ - (خاصة بما يتحمله الجبل الأسود من الدين العثمانى)

٣٤ - اعتراف الدول باستقلال الصرب .

٣٥ ، ٣٦ - (تختصان بحدود الصرب)

٣٧ - خاصة بعلاقات الصرب مع الدول الخارجية .

٣٨ - « « « مع الدولة العثمانية ومع النمسا والمجر .

٣٩ - تختص بالمسلمين المقيمين فى الصرب .

٤٠ - تختص ببعض حقوق للصربيين

٤١ - يخلى كل من الصربيين والعثمانيين الأراضى التى يحتلها كل فريق منهم من ممتلكات الآخر.

٤٢ - تتحمل الصرب جزءا من الدين العثمانى فى نظير الأراضى التى أضافتها إلى ممتلكاتها .

٤٣ ـ اعتراف الدول باستقلال رومانيا .

٤٤ ، ٤٥ ـ تتخلى رومانيا عن بسارابيا التى كانت قد أخذت من روسيا وفقا لمعاهدة باريس ١٨٥٦ .

٤٦ ـ تمتلك رومانيا الجزر المكونة لدلتا الدانوب ، وتأخذ جزءاً من جنوب الدوبروجا .

٤٧ ـ (تختص بمسألة المياه وحقوق الصيد فى دلتا الدانوب . تترك لتحكيم لجنة الدانوب الاوربية) .

٤٨ ـ لا تفرض رومانيا ضرائب مرور على التجارة المارة بها .

٤٩ ، ٥٠ ـ (خاصتان بحقوق رومانيا وواجباتها) .

٥١ ، ٥٢ ـ لصيانة حرية الملاحة فى الدانوب وهى مصلحة دولية ، تقرر الدول ألا تبقى حصون على النهر من الباب الحديدى الى المصب ولا توجد بذلك الجزء سفن حربية .

٥٣ ـ تمثل رومانيا فى لجنة الدانوب .

٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ـ (خاصة بحقوق هذه اللجنة وشروط بقائها)

٥٧ ـ غير مهمة .

٥٨ ـ يتنازل الباب العالى للروسيا فى آسيا أراضى أردهان وقارص وباطوم

٥٩ ـ خاصة بما تنازل عنه للروسيا .

٦٠ ـ تسترد تركيا وادى آلاكرد ومدينة بايزيد وتتنازل تركيا لفارس عن مدينة واقليم ختر .

٦١ ـ يتعهد الباب العالى بأن يحقق سريعـــا التحسينات والاصلاحات التى

تستلزمها حالة أرمنية وحمايتها ضد الشركس والكرد . ويضع أمام الدول فى فترات مختلفة تقريرا عن الاصلاحات التى تشرف الدول على تطبيقها .

٦٢ - يعلن الباب العالى رغبته فى منح حرية الاعتقاد الدينى ولايجب أن يقف الاعتقاد الدينى عقبة فى سبيل الحقوق السياسية والدينية ، وتعترف بحق القناصل فى حماية رعاياهم .

٦٣ - المحافظة على معاهدتى باريس ١٨٥٦ ولندن ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فى كل شروطها التى لا تتعارض مع هذه المعاهدة .

٦٤ - (خاصة بموافقة هذه الدول على هـذه المعاهدة ١٣ يوليو ١٨٧٨ امضاءات .

اندراسى، كارولى، هيرمله، بسمرك، بلو، هوهنلوه ، وادنجتون،سان فاليير، دسبريه ، بيكونزفيلد ، سولسبرى ، ادو راسل،كورتى ، دى لونى،جورتشكوف، شوفالوف ، أوبريل ، قرة تودرى ، محمد على ، سعد الله .

ملاحظات عن المعاهدة

تجلت فى معاهدة برلين شخصية بسمرك ، وجاءت وفق مشيئته ، ومتضمنة لسياسته التى اعتنقها وهى سياسة المصالحة والتعويض على حساب ممتلكات الدولة العثمانية . وفى نفس الوقت حاولت التوفيق بين مصالح الدول الكبرى وحقوق الدول الصغرى فى الحرية والاستقلال .

ففيما يتعلق بالنمسا والروسيا فقد قسمتا البلقان الى منطقتى نفوذ ، فتفوق النفوذ الروسى فى شرقى البلقان وعلا نفوذ النمسا فى غربيه .

أما انجلترا فقد نجحت فى وقف زحف الخطر الروسى على الدولة العثمانية

عن طريق القضاء على أطماع الروسيا فى الإشراف على الآستانة ومنطقة المضايق . وكذلك فى تقسيم بلغاريا الى قسمين أحدهما مستقل والآخر تحت حكم الدولة العثمانية . وبذلك قضت على أهداف روسيا فى إنشاء الدولة البلغارية الكبرى التى تتمتع بتأييدها . ولكن مع ذلك لم تستطع انجلترا القضاء كلية على أطماع الروسيا ، فلقد أتاح لها الاستيلاء على القوقاز وأردهان وبوتى وباطوم فرصة طيبة للتوسع فى آسيا من ناحية ، وفى متاخمة حدود الدولة العثمانية واقترابها من آسيا الصغرى والعراق من ناحية أخرى . ولكن مما خفف على انجلترا استيلاؤها على جزيرة قبرص من تركيا فى معاهدة سرية لايجاد نوع من توازن القوى فى شرقى البحر المتوسط . فانجلترا - وإن لم تشترك فى الظاهر مع الروسيا والنمسا فى تقسيم الممتلكات العثمانية فى البلقان - إلا أنها فى حقيقة الأمر قد خرجت من هذه الحرب بمغنم يحقق لها ما تهدف اليه من الاحتفاظ بنفوذها المتفوق فى شرق البحر المتوسط ، وبسط حمايتها على الدولة العثمانية بعد أن نجحت فى إبعاد النفوذ الروسى عنها .

كذلك أثبت نجاح المؤتمر تفوق النفوذ الالمانى فى أوربا دون منازع، وبدت ألمانيا أمام الدول الكبرى دولة منزهة عن الأطماع ، كل همها استصلاح دول أوربا وتحقيق السلام المنشود . وإذا كانت ألمانيا قد عاملت مندوبى الدولة العثمانية باحتقار وامتهان شديدين ، وعملت دون شك على طرد الأتراك من أوربا والعمل على القضاء على دولتهم ، إلا أن الأعوام التى ستعقب المؤتمر ستظهر تقاربا واضحا بين الدولة العثمانية وألمانيا ، إذ سيعتبر العثمانيون أن ألمانيا رغم قسوتها كانت أكرم من غيرها من الدول فلم تقتطع شيئا لنفسها فى المؤتمر ، وكان بوسعها لو أرادت أن يكون لها نصيب الأسد فى تلك الممتلكات .

أما النتائج التى ترتبت على تلك التسوية فيمكن إجمالها فى النقاط الآتية :

أولا : أن معاهدة برلين وإن لم تستطع القضاء على النزاع بين دول البلقان إلا أنها دون شك وضعت الأساس للنظام السياسى الذى سيسود شبه جزيرة البلقان خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

ثانيا : أن تأكيد استقلال الصرب عن الباب العالى بعد ضم بعض أجزاء من الدولة العثمانية اليها قد كون النواة التى ستنشأ على أساسها دولة يوجوسلافيا بعد الحرب العالمية الأولى .

ثالثا : إن محاولة انجلترا تقسيم بلغاريا الى قسمين لإضعافها كان عملا غير طبيعى فسرعان ما التأمت من جديد بعد ذلك بخمس وثلاثين سنة .

رابعا : إن معاهدة برلين بعد أن وضعت حدا لأطماع الروسيا فى تقدمها نحو الغرب وجهتها بطريق غير مباشر الى التوسع فى آسيا حيث بدأت تصطدم بقوى آسيوية وأوربية مثل اليابان وانجلترا وفرنسا .

خامسا : كان من أثر المعاهدة أيضا توجيه النشاط الاستعمارى نحو القارتين الآسيوية والافريقية ، وسنجد أن مؤتمر برلين الذى سيعقد فى سنة ١٨٨٤ ينظم هذا النشاط لا سيما فى المجال الافريقى . وستقع الشعوب الآسيوية والافريقية تحت ضغط استعمارى منظم من قبل الدول الكبرى بما فيها المانيا نفسها .

سادسا : كان استيلاء انجلترا على جزيرة قبرص مقدمة منطقية لاحتلال مصر فى الوقت المناسب . فجزيرة قبرص تواجه السواحل المصرية الشمالية ، وتمثل نقطة وثوب ومراقبة فى مواجهتها . وتمنح انجلترا موقعا استراتيجيا هاما تستطيع منه الهيمنة على مصر ،ومنع أيه دولة أوربية من الاقتراب منها.

سابعا : أن نجاح الدول فى فرض ما تراه من تسويات على البـاب العـالى قد قوى من نفوذها ومن تدخلها فى شئون الدولة العثمانية . هـذا التدخل الذى لم يكن فى مصلحتها على الاطلاق ، والذى حال بينها وبين تنفيـذها ما تريده من اصلاحات .

ثامنا : إن تصفية الممتلكات العثمانية فى أوربا تقريبا قد وجه أنظار الدول الاوربية الطامعة الى ممتلكات الدولة فى العالم العربى فبدأ التطلع إلى مصـــر والشام وشمال إفريقية .

تاسعا : اتخذت فرنسا من استيلاء انجلترا على قبرص موضوعا للمساومة ، واعتبرت هذا العمل من قبل انجـلترا إخلالا بالتوازن الدولى فى شرقى البحر المتوسط ، ولم تهدأ ثائرة فرنسا إلا بعد أن أكدت لها انجلترا بأنهـا لن تغير شيئا فى الموقف السياسى فى منطقة الشرق الأدنى إلا بموافقتها . كما أبدت انجلترا موافقتها على مطامع فرنسا فى تونس ، وتطلعاتها الى المساواة فى النفوذ مــع انجلترا فى مصر .

الفصل السادس

أوربا بعد مؤتمر برلين

لم يعمل مؤتمر برلين على إقرار الحالة فى أوربا ، فالعلاقات الدولية لازالت مضطربة ، والدول مرتفعة الشكوى ، وحالة السلام لاتدعو إلى الاطمئنان التام. فإذا نظرنا إلى الدول التى عرضت مسائلها على بساط البحث فى ذلك المؤتمر ، لانجدها مطمئنة إلى حاضرها ولا إلى مستقبلها. ويظهر ذلك بصفة خاصة فى حالة الدولة العثمانية . لقد قال ديزريلى فى البرلمان الانجليزى أنه عمل جهده فى المحافظة على وحدة هذه الدولة ، ولكننا نرى معاهدة برلين قد مزقت أوصالها ، وذهبت بما كان لها من مركز ممتاز فى البلقان . والسبب فى ذلك يرجع إلى أطماع أعدائها ومطامع أصدقائها . فتحت التهديد بالقوة أخذت انجلترا قبرص مكانا تحتله جنودها . وأخذت النمسا لنفسها بموافقة الدول حق الاشراف على البوسنه والهرسك ، وامتدت أنظارها إلى ما وراء الفردار إلى سالونيك . وأما فرنسا فلقد وضعت أنظارها على تونس تعضدها الدول . وازداد النفوذ الايطالى فى البانيا .

وأما الروسيا فلقد توغل نفوذها فى البلقان ، ولاسيما فى بلغاريا ، وأصبحت مهددة لكيان الدولة الأوربى .

ولكن المانيا كانت الدولة الوحيدة التى لم تحرز أى فائدة مادية فى أملاك

الدولة نتيجة لمعاهدة برلين ، فإلى ذلك الوقت أعلن بسمرك أنه ليس للدولة الالمانية الجديدة أى مصالح مهمة فى الشرق الادنى تستدعى حكومتها للتدخل .

ولا ريب أن ذلك الموقف سيعمل على تقوية النفوذ الالمانى فى الآستانة فى المستقبل القريب . فستتجه أنظار الباب العالى إلى هذه الدولة التى أثبتت تفوقها الحربى ، والتى أعلنت أن ليس لها مصالح مهمة فى الدولة العثمانية . هذا مع علم الباب العالى أن المانيا مستعدة للتضحية بممتلكات الدولة العثمانية لإرضاء مطامع أصدقائها الروسيا والنمسا والمجر ، ولشغل أعدائها عن التفكير فى المسائل الاوربية الصرفة .

وإذا نظرنا إلى دول البلقان ذاتها لانجدها مستقرة أو راضية ، فاليونان لم تنفذ مطالبها بشأن تعديل حدودها ، والصرب والجبل الأسود كانتا تطمحان إلى أن تنضم اليها البوسنة والهرسك . وأما البلغاريون فقد قسمت بلادهم ولم ينالوا ذلك الاستقلال الذى يطمحون اليه . وما كانت الأقسام المسيحية التى لا زالت تحت حكم الباب العالى بأحسن حالا ، فقد ظلت تئن من ذلك الحكم وتشكوا تصرف الدول المسيحية التى تركتها ترزح فى أغلال الحكم التركى المسلم . ثم إن كلا من هذه الدول والولايات حانقة على جارتها ، متظلمة من التسوية السياسية التى تمت . فالبلغاريون حانقون على الاتراك وعلى الرومانيين وعلى الصرب وعلى الروس وعلى الانجليز . والاتراك ساخطون على الجميع ، والرومانيون يشكون من أصدقائهم أكثر من أعدائهم ، وستنشب حرب بين دول البلقان ترجع فى أصولها إلى التسوية التى تمت فى برلين .

وأما أثر معاهدة برلين فى العلاقات الدولية ، فما عملت على توطيد أركان الصداقة ، وما عملت على حل الخلاف بين الدول الأوربية الكبرى حلا حاسما .

فأما الروسيا فلقد خرجت من برلين غاضبة ، وإن كانت قد اقتطعت من من تركيا بعض أجزائها الأسيوية ، وفرضت عليها غرامة كبيرة ، وأحلت نفوذها فى بلغاريا . إلا أنها ستعمل هى وتركيا على عرقلة تنفيذ معاهدة برلين . ولقد أحس بذلك الساسة الأوربيون من أول لحظة ، وخاصة فى مسألة بلغاريا .

أضف الى ذلك أن الروسيا قد رأت انجلترا قد حرمتها من ثمرة انتصاراتها الكبيرة على الدولة العثمانية ، لاسيا وقد أثبتت انجلترا باحتلالها قبرص أن لها أطماعا فى الدولة العثمانية ، وأن لديها العزم لتقسيم ممتلكات الباب العالى . ولقد أشرفت فعلا على شرقى البحر الأبيض ، ووضعت حماية فعلية على آسيا الصغرى.

وكانت الروسيا حانقة على المانيا لأنها ـ كما يعتقد الروس ـ لم تؤيد الروسيا التأييد الكافى ، ولم تظهر اعترافها بالجميل للروسيا كما كانت تود موسكو .

ثم أن العلاقات الروسية النمساوية لم تكن جيدة ، فالشك متبادل بين الدولتين ، وأطماعها فى البلقان متنافسة متضاربة ، فالنمسا لم تعترف بفضل الروسيا ونسيت مساعدة الروسيا لها فى محنتها فى عام ١٨٤٨ . فلم تؤيد الروس فى حرب القرم ولا فى غيرها تأييداً سياسيا يذكر .

وأما النمسا فكانت تشكو دائما من دعاية الروسيا الصقلبية ، وترى أن تقدم الروسيا فى البلقان من الأمور الخطيرة على حياة الدولة النمسوية وأنه يجب عليها مقاومتها . لقد أخذت النمسا تضع القواعد العملية لتنفيذ سياسة الزحف نحو الشرق Drang Nach Osten وأصبح حوض المورافا والفردار هو الطريق الموصلة إلى البحر .

[وحينا احتلت النمسا البوسنة والهرسك وجدت أن مهمتها شاقة ، فلقد أزاد احتلالها لهذه البلاد فى عدد الدولة من الصقالبة ، وزاد فى مشاكلها الداخلية ،

فما كان هناك اتفاق عام على السياسة الداخلية وعلى السياسة الخارجية .

وأما انجلترا فلم تكن كبيرة الايمان بأن بيكونزفيلد ممثلها فى المؤتمر قد عاد ومعه السلام يصحبه الشرف peace with honour ، ووجد الانجليز أنه وقع على عاتقهم حماية آسيا الصغرى والاشراف على حركة الاصلاح فى تركيا ، وكل من الأمرين ليس بهين ، ووجدت أنها قد فقدت ثقة الدولة العثمانية ولم تحظ بصداقة الروسيا ولا بتأييد النمسا .

وأما ايطاليا فقد خرجت من المؤتمر صفر اليدين ، وقامت فيها اضطرابات مطالبة بالترنتينو ، وحركات فى الجنوب مطالبة بالتوسع فى تونس ، فقامت هذه الاضطرابات وهذه الحركات مسيئة إلى علاقات هذه الدولة الجديدة بكل من النمسا وفرنسا .

وأما فرنسا فبدأت تخرج من عزلتها السياسية وبدأت تشعر بقوتها وبضرورة اتباع سياسة خارجية نشيطة تحفظ مصالحها فى البحر المتوسط ، ولا تؤثر فى مركزها فى القارة الأوربية مما سبب اشتباكها بمصالح انجلترا وايطاليا .

أما المانيا فلم تنل صداقة إحدى الدول بوعمل توسطها على إحراج مركزها فهى لازالت مترقبة لانتقام فرنسا خاشية غدر الروسيا .

ولم يكد مؤتمر برلين ينقضى حتى بدأت تظهر صعوبات جمة فى تنفيذ قراراته، سواء فيما يختص بتركيا أوفيما يختص بالدول الأخرى. ففى تركيا الشعور ثائر ضد تنفيذ مطالب الروسيا ، والشعور القومى فى البوسنه والهرسك ثائر ضد النمسا ، والمجريون لا يرغبون فى سياسة التوسع البلقانية ، وألبانيا تقاوم أى توسع صربى أو صقلبى على حسابها . وتركيا لا ترغب فى تعديل حدودها مع اليونان وترفض

مطالب أثينا ، بينما الدول من جانبها تخشى إحداث أزمة دولية بسبب أطماع دولة بلقانية . فلم تنفذ إذاً كل شروط معاهدة برلين تنفيذاً دقيقاً ـ ولكنه بالرغم من ذلك ساد السلام فى أوربا فترة طويلة ، وذلك راجع إلى حد كبير إلى سياسة بسمرك ، وإلى تفوق ألمانيا فى أوربا . وكان أساس سياستها الاول هو المحافظة على السلام .

وأما تركيا (الدولة العثمانية) فقد خسرت نصف ممتلكاتها الاوربية تقريباً .

الاتفاق الثلاثى

العلاقات الألمانية الروسية

ما كان بسمرك يفكر يوما فى قطع علاقاته مع الروسيا ، بل كان يعمل دائما على المحافظة على العلاقات السلمية بين ألمانيا والروسيا بكل ما يستطيع من دهاء سياسى ـ ولكنه كان يخشى دائما عداوة الروسيا ويعمل على ضرورة الاستعداد لمثل ذلك الموقف .

ولقد ساء الروسيا قبل مؤتمر برلين وأثناءه أن التأييد الالمانى لم يكن قويا فى جانبها بل كانت شاعرة بأن بسمرك يعمل على الانتقاص من مركزها واستصلاح انجلترا على حسابها ـ وكانت تنتظر أن تعترف ألمانيا للروسيا بالجميل ، فلا تنسى ذلك الحياد المشبع بالعطف الذى وقفته الروسيا فى حرب سنة ١٨٦٦ (مع النمسا) وفى حرب سنة ١٨٧٠ مع فرنسا .

وسواء أكان فهم الروسيا للسياسة الألمانية خطأ أو صوابا، فلقد كان الشعور الروسى بعد مؤتمر برلين هائجا على السياسة الألمانية ، ولم يكن هذا شعور الأهلين فحسب

بل كان شعور الحكومة القيصرية نفسها . ومن العوامل التى أسخطت الروس ، موقف بسمرك إزاء النمسا ، فلقد كانت النمسا تعمل على عرقلة أعمال الجامعة الصقلبية فى البلقان، الأعمال التى كان يشجعها الروس. ثم شجعت المعارضة ضد الروس فى رومانيا، وكانت ألمانيا تعضد النمسا فى هذه السياسة حتى تضمن انشغال النمسا نهائيا عن مسائل ألمانيا، ولكى تجعل مسألة التحالف بين النمسا والروسيا أمر مستحيلا.

ولقد وافق بسمرك فى سنة ١٨٧٩ على احتلال النمساويين لسنجق نوفى بازار، ولم تستطع الروسيا إخفاء غيظها وألمها فقامت بمناورات حربية فى بولونيا على حدود ألمانيا . ولقد عبر القيصر الروسى فى خطاب إلى القيصر الألمانى (أغسطس ١٨٧٩) عن تألمه من الموقف الذى اتخذته ألمانيا فى البلقان ـ ولكن وادنجتون وزير خارجية فرنسا بيّن أن فرنسا لاتعير محاولات الروسيا اهتماما .

هذا الموقف من الروسيا أثار مخاوف بسمرك الذى رأى ضرورة توطيد علاقته مع النمسا حتى لايهدد مركز ألمانيا فى أوربا ، واستفاد بسمرك من وجود عناصر مجرية لها نفوذ كبير فى فينا . ثم إن النمسا من جانبها كانت تخشى المطامع الروسية فى البلقان وتخشى دعاية حركة الجامعة الصقلبية . فمن الطبيعى أن تتجه شطر ألمانيا . ولقد اتخذ بسمرك من موقف الروسيا ذريعة لكى يثبت سوء نيات الروسيا نحو ألمانيا. ولم تكن موافقة القيصر الألمانى سهلة ، فلقد كان حريصا على صداقة زميله الروسى .

ولقد قابل بسمرك اندراسى فى Gastein وناقش معه شروط الحلف. فهو حلف دفاعى تقوم فيه الدولتان بكل قواهما الحربية لمواجهة أى هجوم روسى . وهو اتفاق سرى ، يظل سريا مدة طويلة ، ولايمكن لأى منها أن تطلع الروسيا عليه إلا بموافقة الأخرى ، وتقف كل دولة منها موقف الحياد المشبع بروح العطف

إذا هاجمت أيا منها دولة أخرى غير الروسيا . وبذا وقعت الدولتان الاتفاق الثنائي في ٩ أكتوبر سنة ١٨٧٩ .

واقد رأت الروسيا في الحلف خطرا جديدا موجها اليها،ولذا لم تفتأ الصحف الروسية تهاجم السياسة الألمانية . ولكن الحكومة الروسية بدأت تشعر بخطئها الكبير ، وبمحاولتها الفاشلة ضم فرنسا إلى جانبها . وساعد الروسيا على تفادي موقف العداء الظاهر من ألمانيا العلاقة بين القيصريتين ،فمن قبل عرف القيصر الروسي من القيصر الألماني الغرض من ذلك التحالف ، فهو ليس إلا أداة دفاعية لضمان السلام في أوروبا، ورأى القيصر أن من الخير قبول ذلك التفسير ، لأن القيصر ارتاع من حركات الفوضيين والنهلست والاشتراكيين ، الحركات الموجهة ضد عرشه . وكثر التهديد لحياة القيصر ورجال دولته المخلصين له . وكثرت المؤامرات لإغتياله، ووجد القيصر نفسه مشغولا بحركات القمع والارهاب والتطويح بالثوريين إلى أعماق سيبريا . وكان التفاهم بذلك مع القيصرية الألمانية ضروريا . ولذا ما كان يفكر يوما من الأيام في قطع علاقاته مع ألمانيا . لاسيما وأن الدولة الألمانية دولة ملكية تعمل على صيانة حقوق الملوك . وقد وضعت فعلا قانون ١٨٨٠ لقمع الفوضيين ومتطرفي الاشتراكيين . ثم أن القيصر الروسي بعد ذلك لا يفكر جديا في التحالف مع فرنسا، فقد كان يحتقر جمهوريتها ولا يرى فيها إلا مراكز لتجمع الاشتراكية والفوضوية .

العلاقات الألمانية الإيطالية .

حزنت إيطاليا لفتح الفرنسيين تونس ورأت في ذلك خطرا كبيرا على كيانها لا سيما من الناحية الحربية . وما كانت ايطاليا تستطيع أن تنسى ذلك لفرنسا ، فلقد تحطمت الآمال الإيطالية في أحسن بقعة استعمارية مناسبة لإيطاليا . ويظن

ديدور فى التاريخ الدبلوماسى أن ألمانيا كانت دائما عاملة على أن تسوء العلاقات بين فرنسا وإيطاليا، وهذا غير صحيح فديدور متأثر بفكرة التعصب ضد ألمانيا إلى حد كبير، وتظهر هذه الفكرة واضحة فى كتابه .

ولكن إيطاليا وجدت أن كلا من انجلترا وفرنسا لايأبه كثيرا للمصالح الإيطالية. كما وجدت الملكية الإيطاليـــة إزاء الفوضويين والإشتراكيين والجمهوريين الايطاليين أن الملجأ الحقيقى هو ملكيات أوربا الوسطى، لاسيما بعد حادث مقتل الاسكندر الثانى . ولكن كان على إيطاليا وعلى الحكومة الإيطالية أن تتبرأ من فكرة Irredentism (فكرة تحرير[1] الأراضى التى كانت تابعة لها والتى استولت عليها النمسا) ، وأن لا تؤيد حزب الإردنتا Irredenta ولقد وضح بسمرك لإيطاليا بأن الطريق إلى برلين لابد أن تمر بفينا . ولقد وجدت إيطاليا ضرورة التضامن مع ألمانيا ، لاسيما حينما أخذ بسمارك يستصلح البابوية؛ فخشيت الحكومة الايطالية أن يقوم حلف بين الألمان والبابوية على حساب الوحدة الايطالية الحديثة.

لقد كانت تفاصيل الاتحاد الثلاثى سرية تعهدت فيها ايطاليا بمساعدة النمسا وألمانيا إذا هاجمتها دولة ثالثة ، وكذلك تساعد الدولتان ايطاليا إذا اعتدى عليها. ولقد أعلنت الدول المتحدة (٢٠ مايو ١٨٨٢) الاتحاد دفاعى سلمى مرماه المحافظة على السلام .

ونرى فى ذلك الاتحاد ان ايطاليا تنازلت مؤقتا عن مطالبها إزاء النمسا ، ولكن مسألة الترنتينو كانت دائما جرحا داميا فى إيطاليا ، ولذا ما كانت ايطاليا مخلصة لذلك الحلف ، واشترطت ألا تشترك فى عمل عدائى يكون موجها ضـــد

---

١ ـ المقصود بهذه الأراضى اقليم الترنتينو Torrentino الخاضع للنمسا .

انجلترا . ولم تكن النمسا وألمانيا من جانبها تنتظران شيئا كثيرا من ايطاليا ، وإنما كانتا ترجوان فقط وقوفها على الحياد إذا اشتركت هاتان الدولتان فى حـــرب مع دولة ثالثة .

وبالرغم من هذه الحالة فلقد كان ذلك التحالف مركز الحياة السياسية الدوليـة إلى أجل محدود ، فلقد أصبحت كل من الروسيا وفرنسا وانجلترا فى حالة عزلة سياسية . وكان عليها أن تتبع سياسة سلبية أمام ذلك التحالف ، وكان عليها أن تتسلح بكل ماتستطيع من كل قوة .

الفصل . . . . .

الاستعمار

أثر مؤتمر برلين دون شك فى توجيه بعض الإلتفات إلى المسائل الاستعمارية. فتفوق بسمرك فى أوربا ، وزيادة الانتاج الصناعى الكبير ، واتباع سياسة حماية التجـارة منذ سنة ١٨٧٠ ، وتقدم وسائل المواصلات دعا إلى تقدم التجـارة . وما ترتب على ذلك من تعرض السوق الأوربية للاغلاق فى وجه الدول ، ومحاولة البحث عن أسواق خارجية ، وما قـام به رجال الجيش والبحرية الموجودون فى الأقطار البعيدة من أعمـال ، وما دونه الكتاب القائلون بفكرة الإمبراطورية ، كل تلك الأسباب كانت من الحوافز للدول الأوربية الكبرى عـلى التطلع للسيطرة والفتح .

ما المقصود بالسياسة الإستعمارية ؟

الاستعماريه أو الإمبريالية هى العمل على الحصول عـلى ممتلكات جديدة أو

الإشراف على مناطق جديدة وكان هـذا من أهـم العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية العامة .

هذه الكلمة فيها معنى التوسع والتسلط والاستبداد ، وفيها معنى اشراف أو حكم سواء أكان اقتصاديا أو سياسياً لدولة على دولة أخرى . وهذه الحركـة ليست حديثة العهد فهى قديمة قدم التاريخ المكتوب .

وقد عرفنـا بعض هذه الدوافع ـ ولكن ما الدوافع الأخرى ، هل هى مسألة الكرامة prestige أو مسألة الأمن security أو الاكتفاء الذاتى self-sufficiency [1] ؟ أو هل الدافع لذلك الرغبة فى الاعتداء لفرض السيطرة كما يقول الاستاذ Schumpeter ؟ هل هو الرغبة فى المحافظة على الكرامة، كرامة المجموعة أو الدولة؟ تختلف وجهة نظر الآراء السياسية فى الاستعمارية أو الامبريالزم، فوجهة نظر الامبرياليين تختلف مثلا عن وجهة نظر الاشتراكيين أو الشيوعيين .

فالاستعمار فى نظر الشيوعيين والمناوئين للرأسماليـة ، تدفع اليه الحاجة إلى أسواق جديدة لتصريف المنتجـات الصناعية والحصول على الأيدى العـاملة الرخيصة ، والحصول على المواد الأولية .

وعلى أى حال لقد كثرت الكتابة النظرية فى هذا الموضوع .

ولقد يرى البعض أن عملية الامبريالزم عملية غير مشعور بها ، « فلقد ذهلت روما حينما أفاقت فوجدت نفسها سيدة البحر المتوسط .» [2]

1 - Langer; Dip. of Imp. p 68

2 - Tenney; Roman Imp. p. 120

أو كما وجد الانجليز أنفسهم كما يقول السير جون سيلى Sir John Seeley

"Conquered & peopled half the world in a fit of absence of mind".

وقد كانت هذه الفكرة صحيحة إلى حد فى أوائل العصور الحديثة ، وربما كانت هذه الفكرة صحيحة فى عصر ما وليست صحيحة فى عصر آخر ، فقد يكون التقدم الاستعمارى تقدما بطيئا تدريجيا لم توضع له خطة معينة مرسومة .

الاستعمارية الانجليزية (الامبريالية)

فى أواخر القرن التاسع عشر كانت انجلترا أولى الدول الامبريالية الاستعمارية. وكانت الحركة ذات خطة مرسومة ومشعوراً بها .

ولا شك أن التاريخ الانجليزى المعاصر حافل بالرجال الذين تغنوا برسالة انجلترا وبالامبراطورية الانجليزية من أمثال كارليل Carlyle وكنجسلى Kingsley ورسكن Ruskin وتنيسون Tennyson . وسبقت فترة هؤلاء أو كانت بجانبها حركة ساخطة على الامبريالزم ، لا تتبع سياسة استعمارية .

ولذا تعتبر الخطبة التى ألقاها ديزريلى فى Crystal Palace فى ١٨٧٢؛ فاتحه عهد جديد ، واعتبر ديزريلى مسألة الامبراطورية مسألة « هيبة » أو « كرامة » prestige ، فيقول [1] "The Empire was a proof of the commanding spirit of these islands"

وكان هذا من أسس سياسته الخارجية النشيطة التى ترمى الى تعزيز مركز

---

1 - Langer; Dip. of Imp. P 70

ولكن اهتمام ديزريلى موجه الى حماية طرق المواصلات البريطانية ولم يعر الناحية الاقتصادية اهتماما كبيراً ، فهذه الناحية كانت من النواحى التى لا يدرى عنها ديزريلى الشىء الكثير . ولكن لم يهتم ديزريلى كذلك بوسائل الحكم الذاتى للمستعمرات ، فاهتمامه إذاً مركز فى الجزر البريطانية نفسها .

وكانت حركته إلى حد ما رد فعل لظهور الدولة الألمانية وتفوقها فى أوربا، فلم يكن هناك مناص من الاهتمام بالقومية الانجليزية وبالامبراطورية .

ولم يكن ديزريلى الوحيد فى عصره الذى يجد الفخر فى بناء الامبراطورية والمحافظة عليها وتنميتها. فكانت هناك حركة تشاركه ذلك الرأى. وكان على رأس هذه الحركة دلكه Dilke من رجال السياسة وفرود Froude المؤرخ والكاتب، وكذا سيلى Seeley - ويظهر هذا بشكل واضح فى كتاباتهم، ففى حالة Dilke وضع كتاب Greater Britain وكتب Seeley ، The Expansion of England وكتب فرود Froude كتاب Oceana . هذه الكتب ظهرت فيما بين سنتى ١٨٧٠ و١٨٨٥ . ولقد تأسس فى انجلترا جمعية Imperial Federation League فى سنة ١٨٨٤ لخدمة المصالح الامبريالية البريطانية، وكان يؤيد هذه الجمعية بعض اساطين رجال السياسة من أمثال لورد روزبرى . وكان مرمى هذه الجمعية تحقيق الهدف الذى كان يسعى اليه روزبرى طول حياته، كما يعترف هو بذلك. وكان نفر من المحافظين والأحرار يؤيدون هذه الفكرة ، وإن اختلفت دوافعهم ، فالمحافظون يرمون إلى عظمة انجلترا أولا وأخيراً ، والأحرار دافعهم الأول تنمية المستعمرات لكى تحصل على الحكم الذاتى فى نهاية الأمر .

ومما دعا إلى نمو فكرة الامبريالية هو تكدس رأس المال فى انجلترا بعد أن

أقفل أمامه جانب كبير من أسواق أوربا ، فمن ١٨٧٥ إلى ١٩٠٠ نما رأس المال الانجليزى إلى الضعف . ومن العوامل الأخرى منافسة فرنسا والمانيا لانجلترا فى الحصول على أراض جديدة . وإقامة الحواجز الجمركية مما أثار الاستعمارية الانجليزية إلى البحث عن أسواق للتجارة الانجليزية ، ولإقامة نوع جديد من نظام الاتحاد الجمركى المسلفرين Zollverein بين انجلترا وممتلكاتها فى الخارج والحصول على ممتلكات جديدة لمنع سقوطها فى يد الدول الأخرى .

فثار القلق فى كل أوربا وتزايد الخوف بالنسبة للمستقبل ، وأخذت تضمحل أراء كوبدن Cobden ومدرسة مانشستر Manchester School وتضاءلت نظرية التجارة الحرة free trade . وزاد فى ذلك القلق ضعف الفكرة العالمية internationalism وسيطرة الروح الحربية .

ولقد كان كوبدن وأتباعه يظنون أن فكرتهم ستنتشر بانتشار فكرة العالمية ، ولكن آراءه لم تجد ذيوعا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى لقد سموا بالانجليز الصغار little Englanders ، أى أنهم المعارضون لفكرة التوسع - لم تنتشر آراؤهم فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالرغم من أنهم كانوا يحظون بتأييد أحد كبار الساسة الانجليز الذين تولوا الحكم مرارا لمدد طويلة وهو جلادستون . وبالرغم مما كان لجلادستون من مركز ممتاز فى حزب الأحرار ، فلقد انصرف عنه الكثيرون من أعضاء حزبه ومن الراديكاليين الذين كانوا قد انضموا اليه ، وعلى رأس هؤلاء جوزيف تشمبرلين - خرج هؤلاء من الحزب فى ١٨٨٦ ، وكونوا الحزب الاتحادى The Unionist Party بل واشتركوا فى حكومة المحافظين .

ولتشمبرلين هذا مركز خاص بين الامبرياليين ، وكانت نظرته اقتصادية

بصفة عامة ، ويرى ضرورة احتفاظ انجلترا بممتلكاتها والزيادة عليها .

فكان يرى ـ ويظهر هذا بشكل واضح فى خطبه وأحاديثه ـ أن التجارة تتبع العلم دائما . ويرى أنه بغير التجارة لا تستطيع انجلترا البقاء ، يوما واحداً ، وأنه إذا فقدت انجلترا هذه المستعمرات وهى الأسواق الطبيعية لها فلا تستطيع أن تحتفظ بمركزها كدولة أوربية كبرى . بل لا تستطيع أن تحافظ على كيانها . ويرى أن السياسة الاستعمارية تعمل على معالجة مشاكل اجتماعية خطيرة مثل مشكلة البطالة .

فيقول «هل هناك من يعتقد، وهو فى كامل وعيه ، أن السكان المكتظين فى هذه الجزيرة يستطيعون أن يعيشوا ، ليوم واحد ، لو انقطعت عنا المناطق العظيمة التابعة لنا ، التى تتجه إلينا طلبا للحماية والمساعدة ، والتى تشكل الأسواق الطبيعية لتجارتنا ؟ » (1) .

ومن أقوى المنادين بالامبراطورية روزبرى . فلقد دحض الفكرة بأن الامبراطورية الانجليزية متسعة أكثر مما يلزم ، وقال بضرورة التوسع فى هذه الممتلكات . وقال إن الحكومة لا يجب أن تنظر إلى حاجاتها فى الحاضر فحسب، بل إلى المستقبل دائماً . وأن هناك دولا تطلب الاتساع فيجب أن تحرز انجلترا قصب السبق .

وقال فى هذا الشأن « البعض يقولون إن امبراطوريتنا الآن على قدر كاف من الاتساع، وأنها فى غير حاجة إلى مزيد. إن هذا الكلام قد يصدق إذا كان العالم مطاطا... يجب علينا ألا نكتفى بأن نضع فى اعتبارنا ما نحتاجه الآن، وإنما ما سنكون فى

---

١ ـ أنظر Foreign & Colonial Speeches

حاجة إليه مستقبلا ، يجب أن نضع فى الحسبان الأقطار التى تحتاج إلى تطوير ، سواء من جانبنا أو من جانب أمة أخرى ، كما يجب أن نذكر أنه جزء لا يتجزأ من مسئوليتنا ومن تراثنا أن نعمل فى حدود استطاعتنا على تشكيل العالم على أن يكتسب صبغة الناطق بالانجليزية لا صبغة دول أخرى ... وعلينا أن نتخطى بنظرتنا ثرثرة المنابر والانفعالات الحزبية إلى التفكير فى مستقبل العنصر الذى تقع مسئوليته الآن على عاتقنا وسنكون قد أخفقنا بشكل ذريع فى هذه المهمة المنوطة بنا ، إذا ماتقاعسنا عن مسئولياتنا ورفضنا أن نأخذ بنصيبنا فى تقسيم العالم ، وهى المسئوليات التى لم نفرضها نحن وإنما فرضتها الظروف علينا» .

ويرى روزبرى أن لانجلترا مهمة سياسية حضارية يجب أن تقوم بها وأن اللغة الانجليزية والحضارة الانجليزية لا بد أن تسود فى هذه الجهات من العالم التى يرفرف عليها العلم الانجليزى ، ويجب أن تحتفظ انجلترا بذلك التراث وأن ترعى مسئولياتها نحوه .

والى روزبرى يرجع الفضل فى ثنى جلادستون فى ١٨٩٢ عن عزمه فى إخلاء مصر [وهو الذى أصر بالرغم من معارضة هاركورت Harcourt ومورلى على الاحتفاظ بأوغندة .

ومن كبار الامبرياليين سيسل رودس Cecil Rhodes ، فلقد كان يعتقد أن « التوسع هو كل شىء ، ولما كانت مساحة سطح الأرض محدودة كان الغرض الأول للانسانية فى الحصول على أكبر جانب مستطاع منها » .

ومن الامبرياليين الآخرين سولسبرى وكرومر وكتشنر وكرزن .

وكانت الطبقات الدنيا فى انجلترا كبيرة التعضيد لحركة الامبريالزم ، فلقد كان الامبرياليون خلال دعايتهم يعلنون أنه لمعالجة البطالة يجب ايجاد أسواق

جديدة ، وقد نادى بذلك تشمبرلن فى ١٨٩٥ .

وفى خطبته التى ألقاها فى ١٨٩٤ يقول :

« أعطنى الطلب الكافى والمزيد من السلع ، وعند ذلك سآخذ على عاتقى أن أعطى مزيداً من العمالة تؤدى إلى انتاج هذه السلع . إن عمال هـذه البلاد لو تفهموا الوضع ... لما تقبلوا مبادىء أولئك الساسة الذين لا يتركون فرصـة تمر دون أن يعرضوا لاحتقارهم وإساءتهم أبناء انجلترا البواسل ، الذين يقومون الآن بخلق ممتلكات (مناطق سيادة) جديدة لبـلدهم ، والذين يفتحون أسواقا جديدة للتجارة البريطانية ، ومجالات جديدة للعمال البريطانيين » .

وكان سسل رودس يرى نفس ذلك الرأى ، وينعى على المعارضـين للفـكرة الاستعمارية ضيق تفكيرهم وضعف وطنيتهم .

وكان من السهل على القائلين بهذه الفـكرة إثارة الرأى العام فى جانب فـكرتهم، فكانت الطبقات العاملة أسرع إلى التأثر بحوادث فاشودة وبورت آرثر وبرقية كروجر أكثر من الطبقات الأخرى حتى الحاكمة منها . فلقد كانت « مظاهر القوة والسيطرة أكثر انطلاقا إلى عقول هذه الطبقة التى كان يعنيها ذلك أكثر مما كان تعنيها معانى الحرية والاستقلال . فما أن نالت الطبقات الفقيرة حق التصويت حتى انقسمت على الأحرار وبدلا من أن تطـالب باصلاح اجتماعى شامل عملت على تأييد المحافظين وعضدت الامبريالزم .

والواقع أن الـكتب التى نشرت خلال هذه الفترة كانت من العوامل المهـمة التى ساعدت على نمو فـكرة الامبريالزم وعلى تأييدها . ومن هذه الـكتب كـتب تشرشل فى كتابه The River War ، وبادن باول Baden Powell

وماـنر Milner وماهان وفيتزباتريك Fitz Patrick ، وغيرهم كثيرا .

وأما كبلنج فلقد كان أثره عظيما وعملت كتبه على ذيوع صيته . وكبلنج هـو الذى أثار الشعور الحماسى الحربى ، وهو الذى أثار الرغبة فى التوسع عند الشعب الانجليزى بقصصه الحربية وأغانيه . ولذا فهـو فى نظر الامبرياليين منقـــذ الامبراطورية .

ولقد تبع كبلنج فى مذهبه الكثيرون من أمثال نيوبلت Newbolt وسونبرن A. Swinburne وهنلى Henley وهنري وطسون Henry Watson وغيرهم .

وكان ظهور ونمو الصحافة الرخيصة الثمن من العوامل التى ساعدت على نمو حركة الامبريالزم - وأهم الصحف فى هذا المضمار Daily Mail التى أنشأها هارمورث Harmworth فى سنة ١٨٩٦ . وكان يعطى الشعب ما يلذه من المعلومات ، لا التقارير البرلمانية ولا المناقشات ولا أخبار القصر . وكان هارمورث نفسه من المعجبين بتشمبرلين ، ومن المجندين لسياسته . ولذا أعلنت هذه الصحيفة عندما أنشئت أنها ستعمل على تأييد السياسة الامبريالية ، وعلى تعضيد كل عمل من شأنه عظمة انجلترا ، وقوة الامبراطورية البريطانية وتفوقها وعظمتها » . ولقد نجحت صحف هارمورث نجاحا مذكورا . ولا ريب أنه كان لذلك النجــاح تأثيره فى الصحافة الأخرى حتى فى التايمز نفسها ، فإنها أصبحت تؤيد فـكرة الامبريالزم (ويمكننا استثناء المانشستر جارديان) .

ولقد تدخلت الصحف الرخيصة فى مناقشة المسائل الدولية بطريقة وبدرجـة فى غير صالح السلام ، واعترف بذلك أكثر من كاتب انجليزى . فـيرى ذلك Wiliam T. Stead أحد كبار الصحفيين فى سنة ١٨٩٨ . وشعـر بذلك لورد

سولسبرى نفسه ، فيقول الأول « لقد أصبح تدخل الصحافة فى المشاكل الدولية مناوئا للسلام والحضارة» .

ويقول سولسبرى Salisbury «لقد غدت سياسة الدول يوجه تيادها فى رسائل المراسلين الصحفيين بقدر ما يوجه فى «مراسلات وزارة الخارجية» :

الداروينية الاجتماعية

كذلك كان لكتابات المؤلفين الاجتماعيين ولنظرية دارون أثر كبير . فمثل هذه العبارات صراع البقـاء struggle for existence ،والبقـاء للاصلح survival of the fittest ونظرية التطور الاجتماعى، وأن الدول الكبيرة تعمل على ابتلاع الدول الصغيرة ،كل هذا له أثره ، فظهر فى كتابات باجوت Bagehot فى Physics and Politics ، وكذلك فى كتابات الاجتماعى النمسوى جمبلوفكس Gumplowics فى كتابه Struggle of Races ،وكذا كتابات الفرنسى فاشيه دولابواج Vacher de Lapoage . هذه الكتابات بينت أن دراسة التطـور مهمة العلوم الاجتماعية أكثر من العلوم البيولوجية . وكذا مباحث العالم الروسى نوفيكوف Novicow وسبنسر Spencer وهكسلى Huxley وبنجامين كد Benjamin Kidd .

وبدأ العالم يسمع بحوث عن Biological View of Forgein Policy تقول بأن الشعوب والدول الضعيفة تموت وتفنى أمام الدول القوية ، أو تخضع لها. وأما القوية فعليها أن تدافع عن نفسها الى النهاية والى الموت أمام نظرائها .

وركزت هـذه الفـكرة فى كـتابات الأستاذ كارل بيرسون Karl Bearson حيث يقول فى مقالته :

« إن التاريخ يطلعنى على طريقة واحدة لا يوجد غيرها ، أدت إلى قيـام حالة حضارية هى الصراع بين الأجناس ، والبقاء للعنصر أو الجنس الأصلح

فى الجسم والعقل » ، «إن اعتماد التقدم على بقاء الجنس الأصلح ، رغم أنها قد تبدو لبعضكم أمراً يدعو إلى التشاؤم الحالك ، تعطى الملامح اللازمة للصراع فى سبيل البقاء ، إنها المصهر الذى يخرج منه المعدن النقى . إنكم قد تتطلعون إلى اليوم الذى يعطى فيه السيف مكانه إلى المحراث ، والذى يكف فيه التجار الأمريكان والانجليز والألمان عن التناحر فى أسواق العالم من أجل المواد الأولية ، من أجل موارد الغذاء ، والذى يقتسم فيه الرجل الأبيض مع الرجل الأسود الأرض فيما بينهم ، كل يفلح نصيبه . ولكن صدقونى ، إن الجنس البشرى سيتوقف عن التطور إذا أتى هذا اليوم . إذ ان يكون هناك ما يوقف تناسل العناصر السفلى ، بينما ان يحكم الاختيار الطبيعى قانون الوراثة الطبيعية الذى لا يكبح جماحه. وستكون النتيجة هى ركود الجنس البشرى» ، «إن طريق التطور تغطيه أشلاء الأمم التى تبيد ، كما نرى فى كل مكان آثار العناصر السفلى بادت ، والضحايا الذين لم يتعرفوا على الطريق الضيقة التى تقود إلى التقدم والكمال . ومع ذلك فإن الشعوب التى بادت ، هى فى حقيقتها الواضحة للعيان ، الدرج الذى رقاه العنصر البشرى صاعدا نحو الحياة الفكرية الراقية والحياة الوطنية الراسخة التى نحياها اليوم »

ولمثل هذه النظريات أثر كبير فى نمو الروح الحربى ، وفى مسألة التفوق العنصرى والمهمات الحضارية devine social mission, race superiority

ولقد ساعدت على نمو فكرة الامبريالية نجاح بروسيا الحربى ، ونجاح سياسة بسمرك ، وأحب الناس ترديد أقوال مولتكه المتشائمة بأن السلام حلم لن يتحقق ، وحلم غير سار .

ولقد اقترن الروح الحربى بالصراع فى سبيل الحياة . ألم يقل رينان Renan

« بأن الحرب شرط من شروط التقدم » .

وعلى ذلك انتشرت فكرة التجنيد الإجبارى وتعالت الأصوات فى تحبيذ حياة الجندى . فيقول لورد ولزلى Wolseley .

« إن كافة المتع الأخرى تبدو باهتة شاحبة أمام السعادة الغامرة التى يحسها المرء وهو يقود رجاله مقتحما صفوف العدو » .

« إن الروح العسكرية السليمة الصحيحة تعطى القوة للشعب . وهى التى تضمن شرف الأمة ومصالحها ، وتؤمن استقلالها وحرياتها ، وتنقى حضارتها من الشوائب وتحميها من الأعداء فى الخارج ، ومن التدهور والانحلال فى الداخل » .

والبعض الآخر يقول :

« إن التغير والحركة لابد أن يتوقفا إذا توقفت الحروب »

[ويقول سدنى لو Sidney Low ساخرا من مؤتمر لهاى :

« من النادر أن نجد أمة فى العالم لاينبع تقديرها لذاتها بصفة أساسية من إنجازاتها المادية ، بينما لا توجد أمة عظيمة تعتقد أن تاريخها يستحق أن يقرأه أبناؤهـا ، إذا حذفت الحروب من هذا التاريخ . ذلك أن الحرب التى يحدوها الحق وتحتمها الضرورة ، لاتزيد فى قسوتها عن أية عملية جراحية »

ونظرية التطور الاجتماعى أدت الى ظهور فكرة تقسيم العالم الى مجموعات كبيرة، وبذا ينقسم العالم الى ثلاث أو أربع شعوب صالحة للبقاء ، وفى هذا المعنى يقول تشمبرلن فى ١٩٠٢ « أن المستقبل للامبراطوريات الكبرى ، ولا أكبر من الامبراطورية البريطانية » . وقبل ذلك بسبع سنوات ١٨٩٥ يقول :

« إنى أعتقد أن العنصر البريطانى هو أعظم العناصر الحاكمة التى شهدها العالم على الإطلاق » .

ولقد كرر ذلك المعنى مرارا ، وكرره غيره من أمثال ملنر فى كتابه [illegible] مصر ،

وكرزن في كتابه عن الشرق الأقصى . ولورد روزبرى اعتقد أن الانجليز بطارقة العالم ، واعتقد أنهم امبرياليون - لا لأنهم أرادوا ذلك - ولكن لقانون عالمى الهى يوجههم الى أداء ذلك الواجب .

فكما يقول وياث Wyath [1] فى كتابه The Ethics of Empire

« إن واجبا محدداً قد عينه القدر لنا - لنا وليس لغيرنا - وهو أن نحمل مشعل النور والحضارة إلى داخل الأماكن المظلمة فى العالم ، وأن نلبس عقول أبناء آسيا وإفريقيا بالقيم الأخلاقية النابعة من أوربا »

وفكرة واجب انجلترا نحو العالم مستندة فى نظر الكثيرين على تفويض ويعتقد فى هذا رودس ، كما يعتقد فيه أمثال ادجرتون Egerton ، إذ يقول :

«إن الشعور بالعناية الالهية التى توجه ،فى خفاء، تطور العنصر الانجلوسكسونى، تطل علينا ،ونحن ندرس التاريخ ،وراء الأخطاء التى يقع فيها الأفراد،وبالعثرات التى يتعرضون لها . فمن خلال تتابع العصور نسمع صوتا يردد . فلتقدموا على العمل المثمر ولتضاعفوا بذلك من خيرات العالم » . [2]

ويظهر أن الأساس الأول لحركة الامبريالزم [3] الانجليزية هو الاقتصاد ومنافسة

---

1 - Langer : Dip. of Imp. P. 93

2 - « « « P. 94

٣ - للمزيد من المعرفة عن حركة الامبريالزم ، يرجع إلى الكتب الآتية :

— Robertson J. M: Patriotism & Empire

— Hobson J. A. The Scientific Basis of Criticism (Pol. Sc. Quar. XVII. Sept, 1902).

— ,, ,, : Imperialism

-- Hobhouse L. : Democracy & Reaction

فرنسا وألمانيا لانجلترا . كل هذا أظهر الانجليز ألا مناص من السيطرة السياسية للمحافظة على الأسواق . ولكن العامل الاقتصادى ليس كل شيء . فظهور طبقة غير مستنيرة ونيلها حق التصويت ، هذا كان له أثره فى نمو الامبريالية ، وظهور صحافة رخيصة تنادى بالنشاط والعمل السياسى له أثره ، وهناك العامل القومى والعامل الدينى .

انجلترا ومصر

الاستعماريون الانجليز ومعهم الملكة والبرنس أف ويلز ، كل هؤلاء كانوا ضد كل فكرة تقول بالوعد بالجلاء عن مصر فى وقت مرسوم . ومسألة السودان لابد أنها استدعت فى نظر الانجليز بقاءهم فى مصر .

على أى حال لقد أدت مسألة مصر الى زوال التفاهم الفرنسى الانجليزى . وزالت بذلك الكتلة الغربيـة التى كانت قد تكونت أمام اتحـاد الأباطرة الثلاثة - وزادت بذلك قوة بسمرك فى أوربا . ولم يكن بسمرك عاملا بأى حال على إزالة التفاهم بين الدولتين الغربيتين ، وان كان قد استفاد منه ، فكما يقول لانجر [1] :

« إن الحظ كان يدعم من مقدرته الشخصية ، فقد كان خصومه يقعون دائماً فى نفس الأخطاء التى كان وقوعهم فيها ضرورياً لنجاح خطته » .

رأى الانجليز الصداقة مع ألمانيا ضرورية ، ولكنهم نسوا أن بسمرك لا يتأثر

---

* — Bérard V. ; British Imperialism & Commercial supremacy.
— Peinisch, P. : World Politics,
— Moon Parker : Imperialism
— Woolf. L. : Economic Emperialism

1 - Langer ; Dip. of Imp. P 282

بمسألة العاطفة فى سياسته الخارجية . ولكن بسمرك لم يعمل على زيادة الإحن بين الدولتين الغربيتين . كما أنه كان عازما على عدم الانتماء ناحية أحد منهما اذا اصطدما . فذلك الاصطدام سيؤدى بطبيعة الحال إلى تقرب انجلترا من ألمانيا وعزلة فرنسا . وكان بسمرك يؤيد السياسة الانجليزية فى مصر، طالما كانت انجلترا تؤيد سياسة ألمانيا الاستعمارية .

على أن بسمرك كان فى أول أمره لا يعضد الإستعمار ، ولم يكن هو الوحيد الذى يعتنق ذلك الرأى ، بل كانت سياسة معظم الدول الاوربية وسياسة مدرسة مانشستر أو Manchester free traders . ويشك البعض فى أن سياسة وزارة جلادستون الثانية كانت تعمل على تفكك الامبراطورية ـ والواقع أن حركة التوسع فى عهد هذه الوزارة كانت نتيجة لظروف أو نتيجة لأعمال رجال الجيش والبحرية الموجودين فى أقطار بعيدة ولا تستطيع حكومتهم أن تسيطر عليهم سيطرة تامة . وكان للانتاج الكبير واتباع سياسة حماية التجارة منذ ١٨٧٠، وتقدم وسائل النقل دعا إلى البحث عن أسواق خارجية فظهرت فى انجلترا من ١٨٦٨ - ١٨٧٢ «حركة التحالف الامبراطورى» The Imperial Federation Movement لمحاربة سياسة جلادستون فى تفكيك الامبراطورية .

وتبع ذلك نمو « معهد الدراسات الملكى » The Royal Colonial Institute ، وتأييد الرأى العام الانجليزى لفكرة الاستعمار .

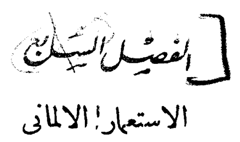
وانضم إلى حزب الامبرياليين ديزريلى . وفى ١٨٧٠ يقول رسكن Ruskin فى محاضرته الافتتاحية فى اكسفورد :

« هذا هو ما يتحتم عليها (انجلترا) أن تقوم به ، وإلا كان مصيرها هو

الهلاك، عليها أن تقيم مستعمرات بأسرع ما تستطيع وإلى أبعد مدى تستطيعه ، وذلك بوضع يدها على كل قطعة مثمرة من الأرض تجدها خالية . وهناك عليها أن تعلم مستعمراتها أن فضيلتهم الأساسية هي الولاء لبلدهم ، وأن هدفهم الأول هو أن يزيدوا من قوة انجلترا في البر والبحر » .

ولكن جلادستون ظل معارضا لكل سياسة استعمارية . وأخذت هذه الأفكار تنتشر في أوربا . فكان السياسيون الفرنسيون في أول الأمر ضد فكرة الاستعمار ، والمستعمرات في نظرهم ليست بكبيرة الفائدة . وكان هناك الخوف من الخطر الألماني ، والاهتمام بالولايتين المفقودتين . وكذلك فرنسا لم تكن قد أحست بزيادة في عدد سكانها أو بزيادة انتاجها بالدرجة التي شعرت بها انجلترا وألمانيا .

وكان على رأس الأمبريالية الاقتصادية بول ليرروى بوليو الذى ألف كتابه في ١٨٧٤ تحت عنوان Les Colonies chez les Peuples modernes وأعاد طبعه في ١٨٨٢ ، وكان له أثره الكبير . فقد كان يعتقد أن مسألة الاستعمار لفرنسا مسألة حياة أو موت . فإذا لم تقم فرنسا بسياسة استعمارية نشيطة فقدت المرتبة الأولى بين الدول . ويؤيده في ذلك ودنجتون وجمبتا . ولكن أعظم الاستعماريين الفرنسيين جول فرى الذى بذل نشاطا استعماريا كبيراً في السنوات ١٨٨١ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٥ ودافع دفاعا مشهوداً عن الاستعمار وفوائده .



الاستعمار الالمانى

لقد اتبعت المانيا سياسة حرية التجارة حتى تمام وحدتها . ومنذ ذلك الوقت أخذت الصناعة والتجارة تتقدمان بسرعة هائلة ، فظهر تجار من برمن وهمبرج على شواطىء افريقية وشواطىء المحيط الهادى. وانتشرت البعثات الدينية الألمانية، واهتم الألمان بالناحية الدينية الى جانب التجارة .

وفى سنة ١٨٨٠ أصبح للألمان شركات لها مصانع فى غرب إفريقية ، وأصبح للبعثات الدينية مئات من المحطات وازداد اهتمام الألمان بجزائر فيجى وساموا وغيرها فى المحيط الهادى .

ولقد ثار فى ألمانيا الطلب بحماية التجارة ، وزاد الاهتمام بتقوية البحرية الألمانية . ووجد ذلك الطلب مؤيدين له بين أعضاء العائلة المالكة ، فكما يقول الأمير البروسى البرت Prince Albert of Prussia :

« لا يوجد ازدهار دون توسع ، ولا يوجد توسع دون وجود سياسة لما وراء البحار، ولاتوجد سياسة لما وراء البحار دون أسطول».

ولقد كان بسمرك مستعدا لاتباع نظام حماية التجارة وتقوية البحرية الألمانية ، لا سيما بالطرادات ، ولكنه كان معارضا لفكرة الاستعمار . فكان يرى أن الأفضل تقوية مركز ألمانيا الداخلى ، وبذل الجهد السياسى فى القارة ، لأن الحاجة للاستعمار ليست ملحة .

ويظهر هذا فى الحديث الذى جرى بينه وبين لويدرتز Lüderitz:

«أن أمة عظيمة مثل ألمانيا لا يمكنها ... أن تستغنى عن المستعمرات.»

ولكن رغم أنه كان يحبذ ، من حيث المبدأ ، حيازة المستعمرات ، إلا أنه كان يتردد فى إتباع مشاريع الاستعمار دون استعداد كاف ، ودون أن تدفعه الأمة نفسها إلى ذلك بصورة محددة .

وكان بسمرك يظن أن الموقف الدولى غير موات فى ذلك الوقت . وربما تحين الفرصة فى مدى تسع أو عشر سنوات .

ولذا من الخطأ أن يقال أن بسمرك لم يكن يفهم قيمة الاستعمار ، بل إنه أخذ على عاتقه حماية التجارة والبعثات الدينية ، بل وسار أكثر من ذلك فعقد معاهدات مع الأمراء المحليين .

ولكن احتلال الانجليز لمصر أوضح لبسمرك ضرورة اتباع سياسة الفتح ، إذا لم يهتم الانجليز بمصالح الألمان . وبدأت حركة قوية فى المانيا تطالب باتباع سياسة استعمارية .

وكان على رأس هذه الحركة فابرى Fabri وهبشليدن Hübbe Schleiden فكتب الأول كتابا تحت عنوان Bedarf Deutschland der Kolonien (1879) درس فيه مشاكل الهجرة والاستعمار وبين حاجة المانيا الى سياسة نشيطة فى هذا المضمار .

وكتب الثانى فى سنة ١٨٨١ Deutsche Kolonisation ، اهتم فيه بالناحية السياسية للاستعمار - هذه الحركة أدت الى نشوء الجمعية الاستعمارية Kolonialv-erein سنة ١٨٨٢ ، وتأسيس صحيفة Kolonialzeitung سنة ١٨٨٤ . وكانت الدعاية للاستعمار والفتح قوية جدا .

واضطر ذلك بسمرك أن يلعب دوراً استعماريا هاما فى السنوات التى بين ١٨٨٣ و ١٨٨٥ . وكانت المانيا - من وجهة نظرها - تعد بحق أحوج دولة إلى

الاستعمار ، فازدياد عدد السكان السريع بها ، وحاجاتها الى الأسواق لجلب المواد الخام وتصريف منتجاتها كان أكثر من حاجة انجلترا وفرنسا اليها.

فرنسا كانت محتاجة الى أسواق لتصدير رؤوس أموالها فحسب، فكانت مسألة الاستعمار بالنسبة لفرنسا مسألة كرامة وطنية National Pride

أما انجلترا فلم تلعب دورا مهما فى الاستعمار خلال هذه السنوات ، وإن كانت مهتمة بتوثيق الصلة ما بين أجزاء الامبراطورية المختلفة .

وكان من العوامل التى شجعت الحركات الاستعمارية حركة الكشوف الجغرافية فى إفريقية وكانت أفريقية حتى سنة ١٨٥٠ القارة المظلمة بحق ، فكشف الرحالة رولفس Rohlfs وفوجل Vogel وبارت Barth ودفيرير Duveyrer وناختيجال Nachtigal الصحراء والسودان . وكشف بيكر Baker وسبيك Speke وجرانت Grant وشفاينفورت Schuveinfurth اقليم البحيرات وكشف ليفنجستون Livingstone نهر الزمبيزى ، واستانلى الكونغو .

وكل من هؤلاء كتب عن الحالة الاقتصادية وعن إمكان استغلال هذه الجهات، فحدث فى أوربا ما يسمى بالحمى الإفريقية Africa fever وأطلق على افريقية اسم الهند الثانية Second India وأرض الميعاد A land of promise . وحتى الثمانينات كانت افريقية مفتوحة أمام الجميع ، جميع الأوربيين، وكان لانجلترا باستثناء مصر وشمال افريقية وجنوبها محطات تجارية على الساحل.

وقد أعلنت الحكومة الألمانية أنها ستساعد المستعمرين الألمان فى أى مكان لم يحتله أوربيون قبلهم ، ولقد وضع الألمان أيديهم على أفريقية الغربية فى عام ١٨٨٤ . وهذه الخطوة لم ترق فى عين انجلترا التى خافت من اتصال الألمان

(البورز)
بالبوير/، فقررت ضم بتشوانا لند اليها فى سنة ١٨٨٥ . ولكن ذلك لم يثن من عزم المانيا ، بل دعاها ذلك الى أن تزيد فى جهودها الاستعمارية فثبتت مركزها فى توجولند والكمرون وافريقية الشرقية الألمانية .

ولقد رأى ليوبولد ملك البلجيك أن يستغل هذه الفرصة ،وأن يقوم بدراسة إمكانية إدخال الحضارة الأوربية فى إفريقية ، وكيفية ذلك . واستقر رأيه على إدخال الحضارة عن طريق دولى .

وبذا انعقد مؤتمر دولى فى بروكسل وتأسست هذه الجمعية The International Association for the Exploration and Civilisation of Central Africa .

وكانت كل مجموعة تمثل دولة ، وكان على كل مجموعة أن تكون لجنة تقوم كل منها بالعمل الذى خصص لها وفقا للمنهج الذى حددته الجمعية . وجعلت اللجنة التنفيذية مركزها بروكسل تحت اشراف ليوبولد .

ولقد نتج عن ذلك إنشاء محطات تجارية ألمانية وفرنسية فى افريقية الوسطى. ولم يتعاون الانجليز فى هذه الحركة تعاونا ظاهرا . وقام بمعظم العمل اللجنة البلجيكية التى اهتمت بالمسائل القومية أكثر من المسائل الدولية مثلها فى ذلك مثل اللجان الأخرى .

والواقع أن المشروع البلجيكى كان غطاء اتخذ منه ملك البلجيك وسيلة لإثارة اهتمام بلجيكا بالاستعمار ، ولكى يأمن معارضة الدول الكبرى لحركة الاستعمار البلجيكية .

ولما كشف ستانلى حوض الكونغو فى ٧٦ - ١٨٧٧ اهتم ملك البلجيك بهذه المسألة وأراد أن يدخله فى خدمته . وكان ستانلى يفضل أن يكون فى خدمة ملك

انجلترا ، ولكنه لم يلق تشجيعا كبيراً من هذه الناحية ، فقبـل العرض الذى عرضه عليه ملك البلجيك ، وتكونت شركة بلجيكية هولنـدية تحت اشراف ليوبولد لتأسيس محطات تجارية والعمل على تسهيل المواصلات بين أجزاء الكونغو. ولقد سمت الشركة البلجيكية نفسها فى سنة ١٨٨٢ International Association of the Congo . ولقد شكت فرنسا فى نيات ليوبولد وأرادت مد نفوذها الى الجزء الشمالى من النهر وأرسلت لذلك الغرض De Brazzia .

وعلى أى حال لقد فتحت مشروعات ليوبولد باب مسألة إفريقيـة ومسألة تقسيمها ، وأثارت اهتمام الدول الكبرى الغربية الى حد كبير ، على أن مسألة الكونغو لم تصبح حقيقة مسألة دولية إلا حينما تدخلت انجلترا .

كان مركز المانيا الدولى قويا فى سنة ١٨٨٣ بتجديد اتفاق الأباطرة الثلاث وبالاتحاد الثلاثى ـ وكان ضرورى للانجليز عطف ألمانيـا ومساعدتها فى المسألة المصرية ـ ولقد حاول بسمرك أن يستفيد من هذا الموقف ويحصل لألمانيـا على بعض المستعمرات [ولقد أخذ بسمرك يفاوض الانجليز فى المسائل الاستعمارية والموقف الاستعمارى الناشىء من احتلال الانجليز لفيجى ، وشجع التجار الألمان ووعدهم بالمساعدة الفعلية .

ولكن الانجليز خشوا أن تفكر ألمانيا تفكيرا جديا فى الاستعمار فبينـوا لبسمرك أن الاستيلاء على الأراضى الواقعة فى غرب إفريقية بين الممتلكات البرتغالية ومستعمرات الرأس اعتداء على حقوق الانجليز . ولقد تساءل بسمرك كيف أعطى الانجليز أنفسهم هذه الحقوق فى اقليم انجرا Angra ، وأعلن أن ذلك الاقليم تحت حماية ألمانيا غير آبه بما تعلنه انجلترا أو ما تعلنه مستعمرة الرأس.

وغضب بسمرك عندما علم أن الانجليز يحاولون عرقلة جهود المانيا الاستعمارية

فتوترت العلاقات الألمانية الانجليزية قليلا . ولقد أرسل الى منستر سفيره فى لندن بأن انجلترا لن تستطيع الاعتماد على صداقة المانيا وحيادها فى حالة اعتداء الروسيا أو فرنسا عليها إلا إذا ضحت قليلا فى سبيل جذب صداقة ألمانيا .

ويقول بسمرك فى هذا الصدد « أن انجلترا فى مقابل ما عرضناه من مساندة أكثر من ذى قبل للسياسة الانجليزية ، تميل فى وضعها الحالى لمراضاتنا ، وذلك بالكف عن وضع العراقيل فى طريق المجهودات المشروعة التى يقوم بها المواطنون الألمان » .

وإذا كان جلادستون وجرانفل مستعدين لتلبية المطالب الألمانية ، فإن تشمبرلن لم يكن ليوافق على ذلك .

فانجلترا كدولة بحرية وامبراطورية عالمية لها ممتلكات فى كل بقاع العالم كانت جارة لكل دولة استعمارية ولكل دولة تريد التوسع ، وكذا اصطدمت بالفرنسيين وبالألمان وبالروس . فكان من الطبيعى أن تتفق كل هذه الدول عليها إذا حاولت انجلترا الوقوف فى سبيل مطامعها الاستعمارية .

وعلى أى حال كانت سياسة تشمبرلن هى التى دفعت بسمرك (رئيس وزراء فرنسا) الى تكوين حلف ضدها ، فلقد كان يشاطره أفكاره الاستعمارية فرى/ لا سيما حينما احتل الانجليز مصر .

ولذا ففرنسا تعارض معارضة شديدة السياسة الانجليزية فى مصر فى سنة ١٨٨٤ . وفى أثناء معالجة الانجليز المسألة المالية (المصرية) تقف فرنسا موقف المعارضة فى المؤتمر الذى عقد فى لندن ، ولم تشترك فيه إلا بعد أن حدد الانجليز موعد جلائهم عن مصر فى سنة ١٨٨٨ . عارضت فرنسا فى ذلك المؤتمر مسألة انقاص سعر الفائدة للديون المصرية وأيدتها المانيا مما دعا إلى فشل المؤتمر .

وبذا عرفت انجلترا أنها لن تستطيع حل المشكلة المالية المصـــرية إلا إذا خففت من معارضتها للتوسع الألمانى والفرنسى . وانتهى الأمر بموافقة انجلترا على المطالب الألمانية بضم انجرا .

ولكن انتصار السياسة الألمانية لم يوقف بسمرك . فلقد حاول عقــد اتفـاق فرنسى ألمـانى يوجه اهتمامه الى المسائل الاستعمارية والمسائل المصرية ، وفكر فى مسألة تقسيم افريقية بصفة عامة . ولقد قبل فرى هذه الفكرة .

وقد صرح بسمرك بخصوص هذا الموضوع بقوله : « إننى لا أريـد الحرب مع انجلترا ولكنى أريدها أن تفهم بأنه إذا اتحدت بحريات الشعوب الأخرى ، فانها توازن البحرية الانجليزية ، وترغمها على الاعتراف بمصالح الدول الأخرى . وكذا يجب أن تعتاد التفكير فى أن اتحادا المانيا فرنسيا ليس من الأمور المستحيلة » .

ولقد عرف بسمرك جيدا أن انجلترا على أى حـــال - حتى إذا لم تتفق فرنسا مع المانيا - محتاجة إلى التأييد الألمانى .

ومما دعا انجلترا إلى التخفيف من فكرة المعارضة هو احتمال تعاون الدول البحرية مع المانيا ، ولذا سيزداد اهتمام انجلترا ببحريتها . ولو أن التحـــالف البحرى بين فرنسا والمانيا قد تم لأصبح موقف انجلترا حرجا للغاية . وكان بسمرك يقدر مركز فرى فى الوزارة الفرنسية ، فهو لا يستطيع أن يذهب بعيدا فى الاتفاق مع المانيا ، فسياسة فرى الاستعمارية لم تكن ترضى فرنسا تمام الرضا . وكان بسمرك يحس بشكوك رئيس وزراء بريطانيا الذى كان يظن أن بسمرك يريد إذلال انجلترا واستعمال فرنسا أداة للوصول إلى هذه الغاية .

---

1 - Grosse. Pol. Desp. No. 738 May 5, 1884.

وكان الساسة الفرنسيون يخشون أن يكون غرض بسمرك أن ينسى الفرنسيون سيدان كما نسوا واترلو . ولكن لم يكن لدى الفرنسيين مانع من أن يستفيدوا من التقارب الفرنسى الألمانى . ولذا وافقوا على أن يفصل فى المسائل الافريقية مؤتمر يعقد فى برلين . ومن جانبه أيد بسمرك الفرنسيين فى موقفهم المعارض لانجلترا فى المسألة المصرية المالية . واضطرت انجلترا فى آخر الأمر إلى قبول المطالب الفرنسية بأن يكون القرض دوليا بضمانة الدول (معاهدة لندن مارس سنة ١٨٨٥) داخل النظام المالى المصرى .

وفى هذه الأثناء أخذ الألمان غرب أفريقية (أفريقية الغربية) والشرقية والكمرون وتوجولند . وأسست فرنسا الكنغو الفرنسية ومحطات على ساحل البحر وفى تنكن .

ولقد انتهى مؤتمر برلين من أعماله فى فبراير سنة ١٨٨٥ وكان التفوق فيه لبسمرك وفرى واستبعدت رغبة انجلترا فى السيطرة على الكنغو ، واعترفت بجمعية ليوبولد الدولية للكنغو . وبذلك قضى تماما على فكرة الانجليز التى ترمى إلى خلق مبدأ منرو انجليزى خاص بافريقيا .

ولكن بسمرك لم يشأ أن يذهب فى تحدى الانجليز إلى أكثر من ذلك . فأرسل ابنه هربرت إلى لندن للاتفاق مع جرانفل على المسائل الاستعمارية ، وتم له ذلك . فلقد خشى أن تفتر فرنسا فى تأييدها للسياسة الاستعمارية الألمانية ، ولم يكن يثق فى بقاء فرى كثيرا فى الوزارة الفرنسية ، كما كان يعرف أن هناك حدودا فى التعاون الفرنسى الالمانى لا يمكن لفرنسا أن تتعداها . وكانت المعارضة للسياسة الفرنسية الاستعمارية تزداد فى فرنسا يوما بعد يوم . ولذا فبسمرك

للاتفاق مع انجلترا . كما كانت انجلترا مضطرة الى الاتفاق مع بسمرك - فالحالة فى السودان كانت سيئة ، ففى أول سنة ١٨٨٥ سقطت الخرطوم وقتل غردون . وفى هذه السنة أيضا دخلت الجيوش الروسية حدود الافغان ، فثارت مسألة آسيا الوسطى مرة أخرى . وكانت انجلترا لاتثق فى سياسة الروسيا وتجد أن ألمانيا تعمل على تشجيع الروسيا على السير فى سياستها وتعمل على وقوع اصطدام بين روسيا وانجلترا .

[بسمرك لم يكن يعمل على اصطدام الدولتين فى الواقع ، ولكنه لم يسهل الأمور للانجليز الذين يثيرون من جانبهم العقبات فى وجه السياسة الاستعمارية الألمانية . وكانت الحرب تنذر بالوقوع فى ربيع سنة ١٨٨٥ بين الروسيا وانجلترا ، وكان الروس يخشون دخول الأسطول الانجليزى البحر الأسود ، فأسرعوا مستنجدين ببسمرك كما أسرع اليه الانجليز كذلك .

ولقد أجاب بسمرك مطالب الروسيا فى تأييده فبعث الى سفيره فى تركيا يطلب اليه أن يسعى لدى السلطان للمحافظة على حياد تركيا ، لأنها لو فتحت المضايق للانجليز وقعت فى حرب مع الروسيا . ولقد جر بسمرك معه فرنسا وإيطاليا والنمسا ، وأسرع الباب العالى الذى كانت ساءته سياسة الانجليز ، فأعلن أنه سيغلق البوغازات ويدافع عنها بالقوة .

ويظهر أن الانجليز حاولوا أن يقنعوا الباب العالى بضرورة فتح البوغازات نظير السماح له باحتلال مصر وقناة السويس ودفع معونة مالية كبيرة له ، وإذا لم يصغ لهذا قطعوا نهائيا الصلة بين مصر وتركيا [1] .

١ - أنظر الوثائق الألمانية ٤ رقم ١٣٧٦

وتأييد بسمرك للروسيا دل على أنه متمسك باتحاد الأباطرة. وبذا تمكن من المحافظة على السلام . وكان يعمل على تحويل اهتمام الروس إلى آسيا حتى لا تتنبه إلى معاكسة النمسا ، فبسمرك دائما يعمل على منع قيام الحرب ، فكان مثله الأعلى السياسى فى ذلك الوقت هو إيجاد حالة تنافس بين انجلترا وفرنسا وبين انجلترا وروسيا حتى يستطيع منع تآلف هذه الدول ضد ألمانيا . (١) .

ولقد استعدت كل من انجلترا وروسيا للحرب ، ولكن الموقف تحسن فى آخر ابريل لأن انجلترا عندما علمت بتماسك دول أوربا أسرعت الى قبول التحكيم فى مسألة الأفغان . ولم يحدث التحكيم فعلا فلقد تنازلت انجلترا بالتدريج عن مطالبها وأمضت الاتفاقية فى سبتمبر ١٨٨٥ فى عهد وزارة سولسبرى .

وأما شك بسمرك فى السياسة الفرنسية فظل باقيا وجعله ينتقل الى جانب انجلترا . ففى أول يونيو سنة ١٨٨٥ يقول لأعضاء الوزارة الالمانية :

« لا نستطيع أن نعتمد على الفرنسيين كحلفاء لنا حتى فى وقت الدفاع . فالعداء بيننا وبينهم قديم وسيظل باقيا . وفى الوقت نفسه نحن لا نرى الى حرب بين فرنسا وانجلترا فهى مضرة بمصالحنا كحرب بين النمسا وروسيا . فإذا وقفنا على الحياد لم نكتسب غير غضب الطرفين علينا . ثم إننا لا نستطيع غير الإنضمام الى جانب الانجليز » . (٢)

وكان بسمرك صادقا فى ظنه فغريسينيه الذى جاء بعد فرى في الوزارة الفرنسية كان يرى أن يتلاشى

1 - Grosse Politik, Reuss to Bismark July 2, 1884

1 - Gr. P. 111 P. 702.

التحالف الفرنسى الألمانى تلاشيا طبيعيا تدريجيا لأنه كان يخشى إثارة انجلترا واغضابها إلى حد العداوة .

وكان مجىء وزارة سولسبرى مسهلا للتقارب الانجليزى الألمانى . وبهذا شاهدت سنة ١٨٨٥ تغيرات واضحة فى الموقف الأوربى . وإذا كان بسمرك يفهم الموقف الدولى جيدا ، فما كان جرانفل يفهم ذلك الموقف ولا محسنا للسياسة، وبذا كانت سنة ١٨٨٥ فترة تفوق انجلترا الغير منازع فى الميدان الاستعمارى .

الفصل الثامن

التنافس فى البلقان

اليونان

اليونانيون غاضبون على الأتراك والبلغاريين والروس والدول ، فقد كانوا غير راضين عن بلغاريا بالذات ، وهم يشكون فى السياسة الروسية التى أوجدتها ، ولقد حاولوا التقرب من النمسا مراراً فى سنتى ١٨٨٠ ، ١٨٨٣ ولكن كالنيكى كان يشك فى قوتهم . ولكن وجد التقارب بين اليونان والنمسا والمانيا ، وإن لم يعقد تحالف .

مشكلة الحدود الإغريقية

وعدت الدول فى مؤتمر برلين بالنظر فى مسألة تعديل الحدود الأغريقية . وكان الاغريق غاضبين لأن هذا الموضوع لم ينظر فى مؤتمر برلين ، ولا عقبة مباشرة ، لاسيما وأن الباب العالى كان حريصاً على ألا تثير الدول هذه المسألة . وكان بعض الدول مثل النمسا تؤيدها المانيا - لاسيما بعد ربيع ١٨٧٩ - معارضة فى وصول اليونان أو سكان الجبل الأسود إلى مطالبهم . ولم تكن وزارة ديزريلى تريد أن تثير مشاكل جديدة للباب العالى ، وإن كان بعض أفراد الوزارة يعطفون على المطالب اليونانية ، ولكن لما جاءت وزارة جلادستون تغير الموقف قليلا ، فما كان جلادستون معضداً للدولة العثمانية ، ولكنه كان معضدا للقوميات

المسيحية البلقانية فى سبيل الخلاص من الحكم العثمانى . وربما كان محبذا لاتفاق انجليزى روسى .

ولقد حقق جلادستون الآمال المعلقة عليه إلى حد ما فطلب من الدولة العثمانية ضرورة تحقيق مطالب سكان الجبل الاسود ، وكذا الاغريق ، وأن تتمتع ولاية مقدونية بالحكم الذاتى . وكذلك طالب الباب العالى بتنفيذ اصلاحاته فى أرمينيـة .

وكانت الروسيا تؤيد المطالب الانجليزية . ولذا اجتمع مؤتمر فى برلين فى ١٦ يونيو ١٨٨٠ للنظر فى المسائل التى تتعلق بالجبل الاسود ، ~~وفتحت الاخيرة ثغرة دولكينو~~ Dulcigno . واجتماع ذلك المؤتمر شجع الاغريق على التحمس لمطالبهم والاستعداد الحربى .

وكان فريق من الرأى العام الفرنسى يؤيد الاغريق فى مطالبهم ، وقامت الحكومة الفرنسية من جانبها بإرسال مواد حربية إلى اليونان ، وفكرت فى ارسال قائد فرنسى يدعى توماسان Thomassin إلى هذه الجهات .

ولما كانت انجلترا والروسيا والدول قد اتفقت على القيام بمظاهرة بحرية لارغام الباب العالى على ترك الجبل الاسود ، كانت فرنسا والروسيا تودان لو قامت الدول بمظاهرة بحرية مثلها لصالح الاغريق . ولكن المؤتمر لم يوافق على الاقتراح . وسرعان ما وجدت فرنسا أن فى اقتراحها بعض التهور الذى ربما أدى إلى حرب أوربية . وكانت فرنسا لاتزال تفزع من فكرة الحرب ، فتتراجع بسرعة وتسقط وزارة فريسنيه وتطرح فرنسا فكرة مساعدة الاغريق مادياً .

وتطرح فكرة التحكيم الأوربي بين الباب العالى واليونان على بساط البحث، وتوافق الدول على ذلك . ويشترط ألا يشترك الترك والاغـريق فى المناقشة، وألا تلجأ الدول إلى تنفيذ رأيها بالقوة . ولقد رفض الباب العالى ذلك المشروع واقترح أن يجتمع مؤتمر استامبول ـ لايشترك الاغريق فيه ـ للنظر فى مسألة الحدود الاغريقية ، ووافقت الدول على ذلك . واجتمع المؤتمر فى مارس سنة ١٨٨١ وفيه أخذ الأغريق معظم تساليا بما فيها لاريسا، وتركت يانينا ومتزوفو. لم تكن هذه الامتيازات مرضية للأغريق ، ولكنهم عرفوا أن الدول لن تساعدهم لنيل مطالبهم .

علاقة النمسا بالبلقان

كانت النمسا تنظر إلى اتفـاق الأباطرة الثلاثة كهدنة فقط . وكان كل من النمسا وروسيا تعمل على تقوية مركزها السياسى والاقتصادى فى البلقان ، وتراقب أعمال الأخرى بعين القلق. ولم تكن أى دولة منها مستعدة لكى تقابل الأخرى فى منتصف الطريق . ولقد أعلنت النمسا احترامها لمعاهدة برلين ، وكانت تكره بطبيعة الحال ضم أجناس صقلبية اليها . ولكن إذا كانت الدول الكبرى قد وجدت مخرجا لسياستها الاستعمارية الاقتصادية فيما وراء البحار ، فلقد وجدت النمسا أن مخرجها الوحيد فى البلقان .

[وكانت سياستها البلقانية ترمى إلى ضم الدول البلقانية اليها ، ففتوحات النمسا كما يقول وزيرها كالنكى «هى بضاعاتها وتجارتها وحضارتها ، ولتحقيقها لامناص من أن يكون للنمسا سكك حديدية فى الصرب وبلغاريا والبوسنة ومقدونيـا ، ولاسيما بالطرق الحديدية العثمانيـة . ويلزم لذلك المهندسون كما يلزم رجال السياسة » .

فالنمسا كانت ترمى إلى السيطرة السياسية والاقتصادية على البلقان .

ح .... رومانيــا

كان من الطبيعى أن تشعر هذه الدوله بالنفوذ النمسوى عقب مؤتمر برلين :

أولا : لسخط رومانيا على الروسيا لانتزاع بسارابيا منها .

وثانياً : لأنها شعرت بضرورة تأييد النمسا لقيام نظام الملكية .

فسياسة الجحود التى اتبعتها روسيا مع رومانيا مهدت السبيل لتفوق النفوذ النمسوى .

رأى الرومانيون أن روسيا الصقلبية قد استخدمتهم وسيلة لبسط نفوذهـا على دول البلقان الصقلبية . ولقد أصبحت رومانيا بعد مؤتمر برلين واقعة بين الروسيا وحليفتها بلغاريا ، فأصبحت بذلك فى خطر عظيم .

ولكن الثقافة الرومانية والعقلية الرومانية مدينة لفرنسا إلى حد كبير لا للنمسا . ثم إن رومانيا لم تكن تنسى مسألة ترانسلفانيا الخاضعة للنمسا ، وكذا العلاقات التجارية بين رومانيا والنمسا لم تكن فى صالح الرومانيين كثيرا .

ولقد حاول الرومانيون بعد مؤتمر برلين التقرب من ألمانيا ، لاسيما وأن الحكم فى رومانيا كان لأسرة الهوهنزلرن الألمانية . ولقد شجع بسمرك الرومانيين بعد سنة ١٨٧٩ حينما قامت الأزمة الروسية الألمانية ، ونصحهم بضرورة حل المشكلة اليهودية ، وكانت من مشاكل هذه الدولة الجديدة . ولكن هذه النصيحة لم ترق لدى الرومانيين . ولم يجدوا أمامهم غير النمسا وذلك بحكم موقع بلادهم الجغرافى . ولذا تنضم رومانيا إلى التحالف النمسوى الألمانى فى ٣٠

أكتوبر سنة ١٨٨٣ فى معاهدة سرية لمدة خمس سنوات . ولقد جددت هذه المعاهدة مرارا وظلت إلى الحرب الكبرى الأولى ، وبالمعاهدتين مع الصرب ورومانيا أصبح مركز النمسا متفوقا فى البلقان .



أصبحت الصرب ملكية فى مارس ١٨٨٢ ورأت ضرورة تأييد النمسا لها فخضعت للنفوذ النمسوى .

ومنذ سنة ١٨٧٨ كانت النمسا تعمل على عقد اتفاق جمركى مع الصرب ، واهتمت بتأكيد علاقاتها الاقتصادية بدرجة أن الأخيرة أصبحت تعتمد إلى حد كبير فى صادراتها ووارداتها على النمسا - وربما كان لميلان ملك الصرب أثر كبير فى توجيه هذه السياسة ، فقد كان حاقدا على الروسيا وبلغاريا ، وكانت النمسا من جانبها مستعدة لبذل المعونة لصربيا طالما ابتعدت الأخيرة عن الروسيا ، وأن أى تقرب بين الروسيا والصرب لاتستطيع النمسا أن تغفل عنه .

ولقد عقدت الصرب معاهدة مع النمسا فى صيف سنة ١٨٨١ وبها تعهدت الأولى بمنع كل الحركات المناوئة للنمسا . وتعهدت النمسا من جانبها تأييد السياسة الصربية،طالما كانت الصرب لاتعقد معاهدات خارجية قبلما تتفاهم مع النمسا . وتم عقد حلف دفاعى فيه تعهدت النمسا بتأييد الصرب إذا أرادت الأخيرة التوسع فى الجنوب .

ولقد أعلن ميلان أنه لايستطيع بعد التضحيات التى قدمها للروسيا فى الحرب الروسية التركية أن يكون مجرد «وال» للروسيا . ولقد عدلت الصرب معاهدتها مع النمسا، تعهدت فيها بألاتعقد معاهدات مخالفة لروح المعاهدة الصربية النمسوية .

الجبل الأسود

أما عن الجبل الأسود فلقد عملت العصبة الألمانية بتشجيع من السلطان على منع سكان الجبل الأسود من الحصول على الممتلكات التى وعدتهم بها معاهدة برلين. كذلك كان الباب العالى غير مخلص فى الرغبة للوصول إلى حل المسألة اليونانية ، مسألة الحدود اليونانية ، ولقد كانت النمسا تؤيدها ألمانيا - لا سيما بعد ربيع ١٨٧٩ - معارضة فى وصول اليونان أو سكان الجبل إلى مطالبهم .

وكان يظن أن الحال ستتغير حينما جاءت وزارة جلادستون الذى كان قد أعلن أنه محبذ لاتفاق روسى انجليزى، وأنه سوف لا يقوم بنصرة الدولة العثمانية، وأنه معضد للقوميات المسيحية البلقانية فى سبيل الخلاص من الحكومة العثمانى . ولقد حقق جلادستون ذلك الظن فطلب من الدول البلقانية ضرورة مساعدة سكان الجبل الأسود لنيل مطالبهم ، وكذا الأغريق، وبجعل ولاية مقدونيا ولاية تتمتع بالحكم الذاتى، ثم مطالبة الباب العالى بتنفيذ الاصلاحات التى كان قد وعد القيام بها فى أرمينية .

ألمانيا والنمسا لم تريدا إظهار أى معارضة وإن كانتا تعملان سرا على عدم تأييد المطالب الإنجليزية إزاء الباب العالى . أما إيطاليا فلم تعارض ، والروسيا تؤيد المطالب الإنجليزية لأن فى هذا تنفيذ لسياستها . ولذا اجتمع مؤتمر برلين ١٦ يونيو ١٨٨٠ واتفق فيه على المسائل التى تتعلق بالجبل الأسود ، فتأخذ الأخيرة ثغر دولكينو Dulcigno نظير تنازلها عن بعض أراضيها التى نص عليها مؤتمر برلين . وكذلك المسائل التى تتعلق بالأغريق .

إجتماع ذلك المؤتمر شجع الأغريق على التحمس لمطالبهم وعلى الاستعداد الحربى . وفى هذه الأثناء ترسل ألمانيا معلمين حربيين للجيش التركى . وتقوم الحكومة

الفرنسية بإرسال مواد حربية إلى الأغريق وتفكر فى إرسال قائد فرنسى يدعى توماسان Thomassin إلى هذه البلاد كما سبق أن ذكرنا .

كذلك اتفقت انجلترا مع الروسيا ومع الدول الأخرى فى المؤتمر على القيام بمظاهرة بحرية فى دولكينو لإرغام الباب العالى على تركه للجبل الأسود . وكانت فرنسا هى والروسيا تودان لو قامت الدول بنفس هذه المظاهرة بالنسبة للأغريق. ولكن المؤتمر لم يوافق على الاقتراح الأخير فى أول الأمر ، وإن كان قد وافق عليه أخيرا نظرا لتذبذب الباب العالى .وسرعان ماتسقط وزارة فريسينيه وتطرح فرنسا فكرة مساعدة الأغريق فى مطالبهم .

تسقط وزارة فريسينية فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٠ وتجد انجلترا نفسها وحيدة ، وتفكر فى تنفيذ البرنامج وحدها وإرغام الباب العالى ، وتقترح حصار أزمير ، ولكن ألمانيا والنمسا وفرنسا ترفض،وتنحل الأزمة بعد موافقة الباب العالى على ترك دولكينو ، واحتلها سكان الجبل الأسود فى أواخر نوفمبر ١٨٨٠ . وبهذا لم تقم المظاهرة البحرية .

السياسة الفرنسية البلقانية

بقيت بعد ذلك مشكلة الحدود الأغريقية . كما سبق أن أشرنا عن طــــريق التحكيم الاوربى . ولكن الباب العالى اقترح اجتماع مؤتمر فى استامبول للنظر فى هذه المسأله ولاتشترك فيه الأغريق، ووافقت الدول على ذلك .

اجتمع المؤتمر فى ٩ مارس سنة ١٨٨١ وبواسطته أخذت الأغريق جزءا من ابيروس ومعظم تساليا بما فيها لاريسا ، ولكنها تركت يانينا ومتزوفو Metzovo لتركيا . لم تكن بلاد الأغريق راضية عن ذلك ، ولكن عليها أن تقبل فهى لايمكنها أن تحصل على أى مساعدة خارجية إذا رفضت حل الدول .

إن من أسباب رفض فرنسا المضى فى تأييد انجلترا إلى النهاية فى مسألتى الجبل الأسود وبلاد الأغريق ليس فقط الخوف من حرب أوربية ، وإنما لتحصل على موافقة ألمانيا فى المسألة التونسية . وكانت فرنسا قد أخذت تفكر فى فرض حمايتها على تونس .وكان بسمرك يريد دون ريب توجيه نظر فرنسا عن ولايتيها المفقودين (الإلزاس واللو إلى الاستعمار . أما الفكرة التى تقول أن بسمرك كان يريد أن يوقع بين فرنسا وإيطاليا وبين فرنسا وانجلترا من أجل حل مسألة تونس فكرة غير صحيحة . على العموم كانت فرنسا تشك فى نيات بسمرك وتخشى إثارة الشعور الايطالى ضدها ، ولكن المنافسة الايطالية وعمل إيطاليا على أخذ تونس قبل الفرنسيين ، دفع الآخرين إلى وضع أيديهم عليها فى عهد وزارة جيل فرى منتهزين فرصة إغارة بعض القبائل التونسية على الحدود الفرنسية سواء أكانت هذه الاغارات حقيقية أو مختلقة .

الأزمة البلقانية (١٨٧٨)

بلغاريا

عرفنا أن الحالة فى البلقان بعد مؤتمر برلين لم تكن مستقرة ، وكانت الروسيا مغيظة من تقسيم بلغاريا ومتألمة من محاولات النمسا وانجلترا اضعاف نفوذها فى البلقان . ولكنها حاولت بالرغم من ذلك الاستفادة من شروط معاهدة برلين التى تقضى باحتلال الروس لبلغاريا أشهرا معدودات . ولقد حاول المندوب الروسى أن يسيطر على كل شىء ، واختار القيصر بموافقة الدول أحد من يمتون إليه بصلة القرابة وهو اسكندر أمير باتنبرج Prince Alexander of Battenberg الألمانى للعرش البلغارى . وبالرغم من إخلاء الروس لبلغاريا إلا أنهم ظلوا يحتلون معظم الوظائف المهمة مؤملين أن يظلوا أصحاب النفوذ الأعلى فى البلاد . وظلت وزارة الحربية فى يد رجل روسى ، وكان القيصر فى حقيقة الأمر هو المسيطر على قوة بلغاريا الحربية .

وأما فى بلغاريا الجنوبية (الروملى الشرقية) التى تركت تحت أشراف الباب العالى ، فلقد عمل المندوب الروسى الذى كان يحكمها على إثارة الشعور ضد الباب العالى ، وعمل على إيجاد نظم متماثلة لنظم بلغاريا الشمالية ، كما عضد الشعور باتحاد القسمين البلغاريين ، أى أنه مهد الطريق لتوحيد بلغاريا .

على العموم لقد ظلت عائلة الباتنبرج تتلقى الأوامر من بطرسبرج . ولقد اهتمت الروسيا بمسألة بلغاريا كمركز لنمو نفوذها فى الشرق الأدنى . ولكن الروس لم يحسنوا فهم عقلية البلغاريين الذين كانوا يعملون على الاستقلال عن كل من تركيا وروسيا . ولذا حقد البلغاريون على الروس احتلالهم لمعظم المناصب

المهمة فى الدولة ، وكان الروس فوق ذلك يسيئون معاملة الفلاحين البلغاريين ، وكانت الدوائر المالية الروسية تعتقد فى سهولة استغلال موارد بلغاريا .

ولقد وقع جزء كبير من المسئولية على باتنبرج ذاته ، فكان يلجأ الى انجلترا إذا اصطدم بالروس . وكانت الملكة فيكتوريا تعطف عليه . وكان فى بلغاريا حزب الارستقراطية يؤيد الروسيا ، والحزب البورجوازى لا يعتمد على روسيا الاتوقراطية . ولقد كان مقتل القيصر اسكندر مسيئا إلى العلاقات الروسية البلغارية لأن القيصر الجديد اسكندر الثالث يميل إلى باتنبرج لم يكن يعطف على آمال البلغاريين . وكان الموظفون الروسيون يعاملون بلغاريا كولاية روسية .

ولقد عمل جيرز الروسى على تجديد التحالف القيصرى بين النمسا والمانيا والروسيا ، ونجح فى ذلك فى ٢٧ مارس ١٨٨٤ .

وأعلن بسمرك أن ليس لألمانيا مصالح فى بلغاريا وأن مصلحتها هى علاقات السلام مع الروسيا . وكان يرى ألا تقحم النمسا نفسها فى مسائل بلغاريا ، وأعلن أن اتحاد القياصرة قام على أساس التفاهم بين الدول الثلاث ، وأن تترك الروسيا تفعل ما تشاء فى بلغاريا . وأن تطلق يد النمسا فى البوسنة والهرسك والصرب ، فقسم بسمرك بذلك البلقان إلى قسمين شرقى وغربى : الأول للروسيا والثانى للنمسا - وإن كان يعرف أن كلا من الدولتين تطمح إلى السيطرة على البلقان كله .

وكان دائما قلقا لاضطراب العلاقات الروسية النمسوية لأن النمسا ربما كانت تطمع فى أن يحل نفوذها محل الروس فى بلغاريا ، ولذا فهو يعمل على ألا يجتمع القيصران الروسى والنمسوى وحدهما ، وعمل على اجتماع القياصرة الثلاثة فى سكيرنيفيث Skierniewice فى سبتمبر ١٨٨٤ فى بولونيا .

لا توجد عندنا تفاصيل لهذه المقابلة ، وإن كان يمكننا أن نقول أن موقف البلقان قد درس ، وخرجت الروسيا من ذلك الاجتماع معتقدة أن النمسا ليست صديقة حقيقية لها كما قال أحد زعماء الحركة الصقلبية :

« ان النمسا ستطوق شبه جزيرة البلقان بالخطوط الحديدية ، وستضرب حول الجبل الأسود نطاقا من الحصون ، وتخضع الصرب والبلغار من الناحية الاقتصادية . وستغرق بلغاريا والصرب ومقدونيا بالارساليات اليسوعية والمؤسسات التعليمية والدعايات الكاثوليكية . وأخيراً بالمستوطنين الالمان - ولن ندرى ما ذا سيكون مصيرنا » .

وكانت الروسيا ترى أنه إذا انضمت البلغاريتان يجب أن يكون ذلك عن طريق الروسيا لا عن طريق باتنبرج .

ولكن الثورة اشتعلت فى الروملى الشرقية (بلغاريا الجنوبية) وقامت حركة الاتحاد فى ١٨٨٥ وطرد الحاكم التركى ، وبذلك انتهكت حرمة معاهدة برلين . وكان باتنبرج خائفا من إثارة غضب القيصر الروسى ، ولكنه اضطر الى قبول التاج بعد تردد .

ولقد أثارت المسألة البلغارية مخاوف الساسة الاوربيين الذين خشوا إثارة المسألة الشرقية من جديد . ولما كانت الملكة فكتوريا تحب باتنبرج ، فكانت ترغب فى الاعتراف بالأمر الواقع. وقال سولسبرى للملكة بأنه سيؤيد السياسة النمسوية.

وأما الروسيا فقد أعلنت سخطها وسحبت ضباطها من الجيش البلغارى ، وطلبت من تركيا أن تطالب بعقد مؤتمر دولى فى الآستانة للنظر فى هذه المسألة .

ولقد نصح الضباط الألمان من أمثال جولتز Goltz السلطان بارسال

جنوده إلى بلغاريا ، ولكن السلطان رفض ذلك الرأى . وأما الصرب فقد استعدت لاحتلال مقدونيا وإعادة التوازن إلى البلقان ، وطلبت من النمسا تعضيدها،وفاتحت اليونان فى أمر المساعدة . وأحست النمسا بضرورة مساعدة الصرب ، ولكن تعقد الموقف جعل النمسا تخشى قيام حرب أوربية . ولذا رأت الصرب إزاء تردد النمسا أن تعلن الحرب على بلغاريا. وكانت الروسيا تود لو تدخل الترك فاحتلوا الروملى الشرقية . انهزمت الصرب فى موقعة سلفنتز Slivnitz ، ولكن السياسة الأوربية لم تسمح للبلغاريين أن يجنوا ثمرة انتصارهم . وأسرعت النمسا بارسال كنيفنهويلر Knevenhüller إلى الملك البلغارى لايقاف الحرب معلنة أنها ستساعد الصرب حربيا إذا لم تقبل بلغاريا الهدنة . وتم ذلك فى ديسمبر ١٨٨٥ .

وكان بسمرك لا يفهم لماذا تقوم النمسا بتأييد الصرب مع مطامعها التوسعية. ولقد ذكر النمسا بضرورة أن تطلع الروسيا على خطتها فى البلقان قبل تنفيذها ، وألح على النمسا بالاتفاق مع الروسيا على تحديد مناطق نفوذهما ، وأنه لا يؤيد سياسة النمسا البلغارية .

وأما فى بلغاريا فلقد اتفق باتنبرج مع الترك على مسألة ضم الروملى على أن تعين الدولة « الأمير البلغارى حاكما عاما على الروملى الشرقية » . وتم ذلك فى ٨ فبراير ١٨٨٦ لمدة خمس سنوات .

ولكن القيصر كان حريصاً على طرد باتنبرج من العرش البلغارى ، وعمل على نشر دعايته ضده فى بلاده ، ونجح فى فصل ضباط الجيش عنه . وقامت مؤامرة انتهت بطرده من بلغاريا .

ولم تكن لدى الثوريين خطة واحدة ، ولذا نجحت حركة ستامبولف

Stambulov ضد الثورة ورجع باتنبرج الى عرشه .

أرسلت الروسيا إليه انذارا وحاول باتنبرج أن ينال عطف القيصر ،ووضع نفسه تحت رحمته ، ولكن القيصر أصر على تنازله عن العرش . ولم يجد باتنبرج مناصا من التنازل . وكان الروس مجمعين على كرهه وابعاده لعدم شكره لجميلهم ولأنه يمثل آراء أعدائهم ، إذ أقدم ذلك الأمير على التخلص من الضباط الروسيين فى ١٨٨٣ وولى وزراء معروفين بكرههم للروس مثل زانكوف Zankoff وكرافيلوف Karaveloff سنة ١٨٨٤ .

وكانت الملكة فكتوريا ترى القيام بعمل ضد الروسيا ، وتحدثت عن عقلية القيصر « الآسيوية المتبربرة » . ولقد كان سولسبرى من نفس الرأى ، ووصف عمل الروس أنه «قرصنة» - وحذرت انجلترا الروس من احتلال بلغاريا لأن معنى ذلك دخول الأسطول الانجليزى البحـــر الأسود ، وحرضت النمساويين بألا يسمحوا للروس باحتلال هذه البلاد .

وأراد القيصر التدخل بأن فرض على بلغـاريا أميرا يرضاه هو ، واختـار البلغاريون أميرا دنمركيا فرفض القيصر .

لم يرض الرأى العـام فى لندن وفى فينـا عن موقف الروسيا إزاء مسألة بلغاريا ، فلقد رشح القيصر الروسى أحد أصدقائه ويدعى دولجوركى Dolgoruki للعرش البلغارى قبل أن يتنازل الاسكندر عن العرش للمرة الثانية .

ولما كان ستامبولف لا يرغب فى إزدياد النفوذ الروسى فقد قرر عقد مجلس وطنى فى ترونوفو Tronovo لتقرير من يحكم البلاد . ولكن الروسيا أعلنت عدم استطاعتها الاعتراف بهذه الخطة ولا بقرارات المجلس . وبالرغم من ذلك فقد

انتخب المجلس أميرا دنمركيا ، ولكنه رفض وقطعت الروسيا علاقاتها السياسية ببلغاريا . هذا المسلك لم يرض انجلترا ولا النمسا الدولتين اللتين حاولتا توحيد مسلكهما . وكان بسمرك معضدا لأى اتفاق يتم بين انجلترا والنمسا على شرط أن تخطو انجلترا الخطوة الأولى .

ولكن الوزير الانجليزى سولسبرى لم يكن مستعداً ليؤيد بالقوة بلغاريا ، وإن كان مستعداً لاستعمال القوة إذا هددت استامبول . وكان بقية أعضاء الوزارة من أمثال راندلف تشرشل أقل منه تحبيذا لتأييد السياسة النمسوية .

من ناحية النمسا لم يكن كالنكى مستعداً لإثارة الحرب مع الروسيا ، وإن كان الرأى العام المجرى وعلى رأسة Tisza يؤيد السياسة التى ترمى الى وقف الروسيا عند حدها ، الأمر الذى اضطر الحكومة إلى أن تعلن أنها لا تسمح بتغيير الحالة الراهنة فى البلقان مما عمل على تكدير العلاقات الروسية النمسوية بدرجة أعلن معها السفير الروسى فى برلين « بأنه من الضرورى لنا أن نعمل على اختفاء النمسا من خريطة أوربا [1] » .

وأصبح مركز بسمرك حرجا للغاية فلقد قال الروس لولا تأييد المانيا لما استطاعت النمسا أن تتحدث بهذه اللغة. وكان بسمرك حريصاً على عدم اصطدام المصالح النمسوية الروسية فى البلقان ، وعلى المحافظة على اتحاد الاباطرة الثلاثة ، ولذا فهو يبين للنمساويين أن المعاهدة الألمانية النمسوية دفاعية محضة ، وأنه لا يحق للنمساويين مقاومة النفوذ الروسى فى بلغاريا .

وفى نفس الوقت أعلن بسمرك أنه سيقف بجانب النمسا إذا هدد مركز

1-Grosse Politik, V Nos 989 ff.

النمسا كقوة عالمية . ولكنه فى نفس الوقت لا يعارض أى خطوة تخطوها الروسيا فى بلغاريا ما عدا الاحتلال . وأنه لا يعارض فى أن تشرف الروسيا على المضايق . ومما دعا بسمرك إلى ارتسام هذه السياسة هو علاقاته السيئة مع فرنسا فى ١٨٨٦ ، ولأنه يعرف أن انتصار الروسيا غير مفيد لألمانيا ، وهو لا يريد فتح باب مشكلة بولونيا ، ولأن فرنسا كانت مستعدة للحرب إذا قامت الحرب بين ألمانيا والروسيا ، فلقد قوى مركز الملكيين فى البرلمان الفرنسى ، وعين بولنجر وزيراً للحربية ، وأعلن فريسنيه أن سياسة فرنسا ستتركز فى أوربا .

ولقد كانت الحالة فى فرنسا مثيرة للقلق حقيقة ، فلقد رأت فرنسا عزلتها السياسية التى بدأت منذ فرنكفورت ، ونتيجة لمسألتى تونس ومصر ، ورأت موقفها المنفرد إزاء الاتفاق الثلاثى . ثم إن انجلترا كانت قد وعدت مراراً بأنها لن تبقى فى مصر بعد استقرار النظام فيها ، ولكن مرت سنوات ولم تنفذ انجلترا وعدها ، ولقد رفضت انجلترا مناقشة فرنسا فى مسألة الجلاء . ثم أن العلاقات الفرنسية الايطالية لم تكن بأسعد حالا ، وخاصة بعد احتلال الفرنسيين لتونس . ولقد حاولت ايطاليا فى عهد كرسبى مهاجمة النفوذ الفرنسى فى سائر أقطار العالم ، وحاولت أن تأخذ تحت رعايتها كل البعثات الكاثوليكية بحجة أنها مركز البابوية .

أصبح درووليد Droulède مؤلف Chants au Soldat رئيسا لحزب الانتقام بعد موت جمبتا ، ولقد كون جمعية الوطنيين League of Patriots فى مايو ١٨٨٢ ، وتعبر عن آرائهم صحيفة Le Drapeau . وكان يعمل جهده للمحافظة على ذكر الهزيمة للإبقاء على روح المطالبة بالثأر . ساح درووليد فى أوربا وعمل على إيجاد وفاق فرنسى روسى ، وكان يعتقد أن كلا من الروسيا

وفرنسا مستعدة للدخول فى حرب مع المانيا . وحاول ديروليد إعداد الرأى العالمى لمجىء بولنجر منقذفرنسا ، وإعداد فرنسا للقيـــام بدورها للأخذ بالثأر [1] .

بولنجر كان جنديا ممتازاً له نشاطه وله جرأته . ولـكنه لم يكن سريعا إلى انتهاز الفرص ، ولا بذى حكم راجح يهتم بالتقرب من الشعب ، ولـكنه لا يعرف كيف يستفيد من حب الشعب . واهتم بولنجر فى أول الأمر بالجيش وإصلاحه ، وانضم إلى جانب كالمنصو فى أول الأمر ضد الملكيين ولعب دوراً هاما فى طرد الأمراء من فرنسا فى يونيو ١٨٨٦ . ولقد تعلق به الشعب الفرنسى أيما تعلق فقابله بحماس عظيم فى عرض ١٤ يوليو فى Longchamps ، ولم يعر رئيس الجمهورية أى انتباه .

وأصبح بولنجر فى فرنسا عظيما بعد ذلك اليوم ، وأصبح رمز أمانى ومطالب الشعب الباريسى ، رمز المطالبة بالثأر والانتقام ، ومحـــرر الالزاس واللورين، ومصدر فزع المانيا وأمل فرنسا ـ لقد أصبح بولنجر Gènèral Revanche .

نشط حزب الوطنيين ، وبدأ نوع من الأدب الحربى ينتشر فى فرنسا فظهر كتاب H. Barthélemy : Avant le Bataille وقد أظهر هذا الكتاب أن الجيش الفرنسى متفوق على الجيش الألمانى . وأعان بعض الـكتاب الآخرين أن

---

١ ــ وهذه هى بعض القصائد الحماسية التى كان يرددها الشعب الفرنسى فى ذلك الوقت

Partout le sang de la France entière
Par le passé, par les morts à venger
Avec le Isar pour Dieu, France, pour la patrie
Mort aux Prussiens, et vive Boulanger

الحرب لا بد واقعة ، وأن النصر سيكون حليف فرنسا [1].

لم ترتح ألمانيا لهـذه الحركة فى فرنسا وزادت تأهيلها الحربى ، فلقـد خشى بسمرك أن تغتر فرنسا فتعلن الحرب ، وكان الجنرال فالدرسى Waldersee (مساعد مولتكه) يرى أن حركة بولنجر ما هى إلا خدعة . ولـكن الملحق الحربى الألمانى فى باريس، مساعد مولتكه ، دائم الاتصال بحكومته مكرراً النذير لها .

وازدادت خطورة المسألة حينما استقال اسكندر باتنبرج من الحكم فى بلغاريا وتطورت المسألة الشرقية ، وأظهرت الروسيا استياءها من سياسة النمسا ، وكانت ترى أن ألمانيا تعضدها . وازداد الأمر خطورة حينما أصبح تحالف فرنسا مع الروسيا أمراً محتمل الوقوع فى خريف سنة ١٨٨٦ وشتائها .

وكان العمل على توثيق الصلات بالروسيا موضع اهتمام كل سياسى فرنسا من جمبتا إلى فرى إلى فرنسنيه ، ولا سيما الأخير الذى لم يفتر عن تأييد سياسة الروسيا البلغارية . ولـكن بالرغم من كل ذلك فالعلاقات بين فرنسا والروسيا لا زالت غير متينة ثم لأن فرنسا استدعت الجنرال Appert سفيرها فى بطرسبرج والذى كان محبوبا لدى القيصر . ثم أن القيصر كان غير ميال إلى الحكم الديمقراطى ، ويرى فى النظام الجمهورى مثال الفوضى والاضطراب .

---

١ ـ على العموم كادت حركة بولنجر تهدد فرنسا بحرب أهلية ، وكان البوليس والجيش فى صف بولنجر ، ولقد كان لهذه الحركة من ناحية أخرى تأثير سيء على العلاقات الفرنسية الروسية لما تبين من فوضى الحكومة والحكم الجمهورى .

ولـكنه بالرغم من ذلك كان هناك تيار فى الروسيا موافق للتيـار الفرنسى . فبصفة عامة كانت الروسيا مستاءه من سياسة بسمرك وغـير راضية عن اتحـاد الأباطرة الثلاثة وكان رأس الفـريق المستاء سابوروف Saburov السفير الروسى فى برلين الذى انضم اليه كاتـكوف Katkov رئيس تحرير أقوى صحيفة روسية وهى Moscow Gazette .

لم يكن جيرز Giers يعضد هـذين الرجلين ، ولا يتفق معهما فى وجهـة نظرهما فيقول جيرز [١] :

« مهما نمت العلاقات بيننا وبين فرنسا ، فانهـا لن تصبح بطبيعتها عملية ، نظراً لتأصل الفوضى فى الجمهورية الفرنسية ... » .

ولم يكن لهذين الرجلين وجهة نظر واحدة إزاء التحالف الفرنسى فكاتكوف لم يكن يرغب فى عقد تحالف مـع فرنسا ، ولـكنه كان يرى العمل على تحسين العلاقات الودية بفرنسا .

فالفريق المستاء فى الروسيـا يرى أن تحتفظ الروسيا لنفسها بحـرية العمل فى شرق أوربا ، ولا يرى أن تعطى المانيا الفرصة لإذلال فرنسا من جديد . ولقد كتب كاتكوف الى القيصر مذكرة مفصلة فى أواخر ١٨٨٦ تتضمن هـذا المعنى . وليس لدينا نصها الكامل ، وإن كان عندنا منها مستخرجات وملحقات .

هـذه الفكرة وجدت تأييداً فى الصحف الأخرى التى ذهبت إلى ضرورة عقد تحالف مع فرنسا ـ وكان ذلك اتجاه الرأى العام . ولم يكن القيصر الروسى يستطيع أن يتجاهل ذلك التيار ، فلقد عبر للسفير الفرنسى الجديد لابولاى Laboulaye

---

1- Lang. All. 468

عن رغبة الروسيا فى توثيق صلاتها بفرنسا ، أنه يرى الحاجة إلى بقاء فرنسا كدولة قوية فى أوروبا .

وكان بسمرك شاعراً بما يدور بين الفرنسيين والروس . وكان يفهم لماذا تساعد فرنسا الروس فى سياستهم البلقانية البلغارية فى الوقت الذى ليست لها مصالح مهمة فى هذه الجهات . ولم تقنعه تأكيدات سفيره فى باريس ، ولا تأكيدات سفير فرنسا فى برلين من أن فرنسا تعمل للسلام . لا سيما وقد ظهرت صحيفة جديدة فى فرنسا وهى La Revache بينما كان بولنجر يحث السير فى اصلاحاته العسكرية وتركيز الجنود على الحدود الشرقية بدرجة أدت الى فزع زملائه ، ولقد شهد أحد المؤرخين الفرنسيين وهو بورجوه بأن استعدادات بولنجر كانت مثيرة للشك فى نيات فرنسا وباعثة للقلق من قيامه بحركة هجومية.

ولو أن أغلبية رجال الحرب الألمان كان يرى أن فرنسا فى استعدادتها منتظرة لهجوم الألمان ، إلا أن فريقا منهم كان يرى أن تقوم ألمانيا بالحرب لتمنع هجوم فرنسا. وبسمرك من ناحية كان يظن أن فريقا من رجال الحكومة ومن الشعب الفرنسى ينتحى ناحية السلام ولكن ما كان يخشاه هو أن تدفع أقلية متطرفة بزعامة بولنجر بفرنسا الى الحرب ، لا سيما إذا سنحت فرصة مناسبة، فتلبد جو العلاقات الألمانية الفرنسية بالغيوم .

ولقد أجاب بسمرك على استعدادات فرنسا بشن قانون حربى جديد (٢٥ نوفمبر ١٨٨٦) وإن كان الجيش الفرنسى بالنسبة لعدد سكان فرنسا أكبر عدداً من الجيش الألمانى بالنسبة لعدد سكان ألمانيا .

لقد تكدرت العلاقات الدولية فى أوائل ١٨٨٧ إلى درجة كان منتظراً معها قيام الحرب ، فلقد ظل بولنجر وزيراً للحربية فى الوزارة الجديدة التى تلت

سقوط فريسنيه ، وإن كان بعض الوزراء المعتدلين يرى ضرورة التخلص من جوليه Gobler هذا الرجل الخطر . ولكن الرجل كان محبوباً من الشعب تؤيده الصحافة الصفراء التى كانت تنذر بالثورة إذا أبعد عن الوزارة .

ولقد شرح بسمرك الموقف الدولى شرحا بديعاً فى خطبته فى البرلمان فى ١١ يناير ١٨٨٧ ، فلقد تناول موقف ألمانيا إزاء الدول المختلفة وأعلن أن الحكومات الأوربية قد تكون راغبة فى السلام ، وربما كانت أغلبيات الشعوب من نفس هذا الرأى ، ولكن ليست الحكومات ولا الأغلبيات وحدها هى التى تسيطر على مسائل السلم والحرب ، فقد تدفع أغلبية صغيرة نشيطة بالشعوب والحكومات إلى الحرب . وأعلن بسمرك أن العلاقات الألمانية النمسوية جيدة ، وأن كلا من الدولتين تحرص على كيان الأخرى كدولة عظمى ، ولكنها لا تدفعها إلى المغامرة أما من حيث العلاقات الروسية الألمانية فتحرص ألمانيا من جانبها على أن تكون حسنة ، وهى أن ألمانيا لا تنتظر أن تقوم الروسيا بعمل عدائى ضدها .

ومصدر الخطر الأكبر هو العلاقات الألمانية الفرنسية فألمانيا من جانبها لن تهاجم فرنسا ، ولقد بذلت وسعها لإرضاء الشعور الفرنسى فى كل شىء ماعدا مسألة الالزاس واللورين ، ومسألة الحدود مسألة دامية دائماً . وربما كانت الحكومة الفرنسية راغبة فى السلام ، ولكن هناك أقلية تريد اشعال « نار الثأر المقدسة» ، هذه الاقلية قد تدفع بالشعب الفرنسى إلى الحرب فى الفرصة المناسبة بالرغم من الشعور بأن ألمانيا ممتازة فى الناحية الحربية .

ولقد قامت قيامة الصحف الألمانية على بولنجر ومنها البوست . وحل بسمرك البرلمان ووافق البرلمان الجديد على مشروع بسمرك الحربى فى مارس ١٨٨٧ . ونظر الألمان الى قوتهم الحربية فى ١٨٨٧ كقوة دفاعية لازمة لحفظ

السلام ، كما نظر الانجليز الى بحريتهم .

فى الجانب الفرنسى كان بولنجر وأنصاره يرون اتحاداً فرنسيا روسيا حاولوا التأثير على وزير الخارجية فلورن Flourens . وكان السفير الفرنسى فى روسيا لابوراى Labouraye مستعداً لتنفيذ كل ما يطلب منه . ولقد سأل مرة جيرز Giers ما ذا تفعل الروسيا لو هاجمت المانيا فرنسا . وبالرغم من ذلك كانت الحكومة الفرنسية عاملة على السلام . ولكن لما اشتدت الأزمة حاول كل من الفريقين السعى فى طلب الانصار . فاتجهت ألمانيا صوب انجلترا وأرسلت تعاليم الى هاتزفلدت Hatzfeldt السفير الالمانى فى لندن باقناع انجلترا بالانضمام إلى ألمانيا . ولو أن سولسبرى كان يعطف على وجهة النظر الإلمانية إلا أنه أبدى شكه فى موقف البرلمـــان الانجليزى . ووجد بسمرك على أى حال أنه يستطيع الاعتماد على حياد انجلترا وإن كان لا يستطيع الاعتماد على تأييدها ، وما عليه إلا أن يعتمد على حلفائه القدامى وعلى قوته .

وأما فرنسا فلم تلق التأييد الكافى من الروسيا ، فلقـــد حاولت الحكومة الفرنسية أن تحرز تأييد الروسيا فى حالة ما إذا طلبت ألمانيا وقف التسلح الفرنسى فرفضت الروسيا أن تتحمل أى تبعة . وكانت فرنسا ترى ألا تشغل الروسيا نفسها فى مشاكل جنوب شرقى أوربا حتى إذا ما توترت العلاقات الدولية فى غرب أوربا تجعل الروسيا فى استطاعتها بذل المجهود السياسى والحربى . ولقد حاول بولنجر أن يكتب بنفسه للقيصر فهدد فلورن بالاستقالة وثبط بولنجر عن عزمه .

وأما فى الروسيا فلقد مل القيصر وسابوروف وكاتكوف اتحاد القياصرة الثلاثة وملوا صداقة النمسا . ووجدوا أن العطف على فرنسا وتوثيق العلاقات

معها من صالح الروسيا . وكان هنـاك فريق آخر لا يرى ذلك الرأى ، وعلى رأسه جيرز ، وشوالوف يرى ضرورة المحافظة على صداقة ألمـانيا ، وود النمسا إذا اتفقت مع الروسيا بشأن المسألة البلغارية .

ولقد جاء شوالوف إلى ألمـانيا ليعرف موقفها إزاء بلغاريا ، فوجد برلـين تعطف على وجهـة النظر الروسية إزاء اسكندر باتنبرج . ولذا كان شوالوف مستعداً لعرض مشروع معاهدة مع برلين تعطى ألمـانيا حرية العمل فى الغرب ، فلا تتدخل الروسيا إذا ما هاجمت ألمانيا فرنسا أو فرنسا ألمـــانيا أو فرضت غرامة كبيرة على فرنسا . وكل ما تطلبه الروسيا ألا تقوم ألمـانيا بعمل يعرقل سياسة الروسيا فى المضايق الأمر الوحيد الذى يهتم له القيصر ـ وتعترف الدولتان بمركز النمسا كدولة عظمى ولا يصح للدولتين الاعتداء عليهـا ، ورحب بسمرك بهذه الاقتراحات ، ولـكن القيصر الروسى لم يرحب بها . وظهر لبسمرك أنه لا يمكنه الاعتماد على صداقة الروسيا ، ولذا فهو يهتم بتجديد التحالف الثلاثى . وكان بسمرك قبل ذلك هو والنمسا لا يعيران اهتماما كبيراً لتأييد المصالح الايطالية فى البحر المتوسط . ولقد رفض فعـلا مساعدة ايطـاليا فى مراكش ضد فرنسا فى ١٨٨٤ . ولم يظهر رضاءه عن سياسة ايطاليا الاستعمارية التى أدت الى احتـلال مصوع فى ١٨٨٥ .

الفصل التاسع

بسمرك ومعاهدات الضمان الأوربية

فى صيف عام ١٨٨٥ كان كل من بسمرك وكلنكى قد قررا أنه لا يمكن الاعتماد على ايطاليا كعامل مهم فى أى اتحاد . وكانت ايطاليا نفسها مستاءة من أنها لم تستفد شيئاً كبيرا من تحالفها مع الدول الوسطى ، ولهذا نجدها تؤيد السياسة الانجليزية وتؤيدها انجلترا فى سياستها الاستعمارية . ولذلك فايطاليا إذا ماجددت التحالف فيكون على أسس جديدة تتعهد فيها الدولتان بتأييد السياسة الاستعمارية الايطالية والمحافظة على مصالح ايطاليا البلقانية . وكانت هذه خطة روبلان Robilant الذى حل محل منشينى فى وزارة الخارجية .

وفى أول الأمر رفض بسمرك وكلنكى هذه الاقتراحات . ولكن تحسن العلاقات الفرنسية الروسية دعا بسمرك الى تغيير موقفه ، فأصغى الى مقترحات ايطاليا ، وكانت ترى ضرورة المحافظة على كيانها بمنع الفرنسيين من احتلال طرابلس ورعاية المصالح البلقانية لايطاليا إذاما اتفقت الروسيا والنمسا على توزيع مناطق النفوذ فى البلقان .

وكان كلنكى ميالا بطبيعته لعدم اجابة مطالب ايطاليا ، ولكن خطورة الموقف الدولى جملته يصغى لهذه المطالب ، ووجد من الحكمة أن يقوم بتأييد

ايطاليا سياسيـا فحسب ، ولـكن موقف بسمرك وتصريحه لكلنـكى بأن المانيـا لاتستطيع أن تقف موقف الحياد إزاء حرب فرنسية ايطالية ، وأنها لاتستطيع أن تسمح بهزيمة ايطاليا ، هذا عدل من موقف كلنـكى . ولقـد وضـع روبلان مشروع معاهدة فى أواخر سنة ١٨٨٦ تعترف فيه الدول الثلاث بضرورة المحافظة على الحالة الراهنة وكذلك على سواحل بحر الادرياتى وجزره، وكذا الأرخبيل. وإذا حاولت دولة ثالثة الاعتداء على هذه الحالة أو عملت على تغييرها تدخلت النمسا وايطاليا ، وفى ذلك الوقت يتعين على ألمانيا تأييدها . وعلى الدولتـين أن يتفقا فيما بينهما على البلاد التى تحتلها كل منهما فى حالة قيام الحرب. وطلب روبلان أن تعطى لايطاليا حرية العمل فى المسألة المصرية وفى مسألة الخطة التى تسير عليها مع انجلترا . ولقد أشار روبلان الى مسائل البحر الأبيض ، فأعلن للدولتـين أن ايطاليا تعتبر تقدم فرنسا فى طرابلس ومراكش كمسألة موجهة الى وجود ايطاليا.

" A wound inflicted on the national integrity "

واذا فهو يطلب من حلفائه لا المساعدة المسلحة لمنع اعتداء فرنسا على طرابلس أو مراكش ، ولكن ما تطلبه ايطاليا هو أنه فى حالة دخولها الحرب فعلا ضد فرنسا إذا تدخلت الأخيرة فى طرابلس أو مراكش أو حينما تطلب ايطاليا بتعويض ويرفض هذا الطلب فتدخل الحرب . فى هـذه الحـالة تنتظر ايطاليـا دخول حلفائها معها (١) .

ولقد قبل بسمرك اقتراحات ايطاليا وحض النمسا على قبولها . وكان روبلان

(١) Gr. Pol. IX No. 836

يفكر فى مشروع اتفاق مع انجلترا وكان بسمرك عظيم التأييد لذلك المشروع ، إذا كان يرى فى الاتحاد الايطالى عاملا على توثيق الصلة ما بين انجلترا والدول الوسطى ، ثم فى نفس الوقت مساعدا آمال ايطاليا الاستعمارية .

ولكن النمسا ما كانت تريد النضال مع فرنسا لتحقيق آمال ايطاليا فهى واجدة نفسها معطية ايطاليا وليست آخذة منها شيئاً . ولقد اضطر ذلك الموقف بسمرك بأن يبين للنمسا بأنه لو تركت ايطاليا وحدها لربما تكون حلف فرنسى روسى ايطالى ضد المانيا والنمسا مما يعرض حياة النمسا للمخاطر . وأنه إذا أصرت النمسا على موقفها فأنه لا يستطيع مساعدتها ضد روسيا ، وهدد بعقد معاهدة منفصلة مع ايطاليا . وقد كان بسمرك حريصا على ترك شرق البلقان للروسيا . ولقد حاولت النمسا تعديل المقترحات الايطالية ، ولكن رفض ذلك التعديل بسمرك وروبلان ، ولكن هذا لم يؤثر فى موقف النمسا ورفضت المقترحات الايطالية .

وكان على بسمرك أن يجد حلا لذلك ، فاقترح تجديد تحالف سنة ١٨٨٢ ، كما هو وعقد معاهدة ايطالية المانية تتعهد فيها المانيا بتأييد السياسة الايطالية فى البحر المتوسط ، ومعاهدة ايطالية نمسوية تنظر فى مسائل البلقان . ولقد قبلت النمسا وايطاليا هذا الاقتراح ، وأمضيت المعاهدات فى برلين فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٧ ، وجعلت المعاهدة القديمة لمدة خمس سنوات (الى ٣٠ مايو ١٨٩٢) :

وأهم نص فى المعاهدة النمسوية الايطالية المحافظة على الحالة الراهنة فى الشرق ، وإذا لم يمكن المحافظة على الحالة الراهنة نتيجة لعمل من جانب الدولتين أو نتيجة لتدخل دولة ثالثة كان للدولتين حق المطالبة بالتعويض .

وفى المعاهدة الالمانية الايطالية أخذت ايطاليا لنفسها حق حرية العمل

فى المسألة المصرية [١] .

وتعتبر هذه المعاهدة انتصاراً لروبلان الذى عرف كيف يستفيد من تعقد الموقف الدولى ، فرفع من قيمة ايطاليا ومن مركزها فى البحر المتوسط وفى البلقان . على أى حال أصبح للتحالف صبغة هجومية واعترف بحق ايطاليا فى تأسيس امبراطورية استعمارية . كما اعترف بحقهـــا فى نيس وكورسيكا وتونس كضمانات فى حالة حرب ناجحة مع فرنسا . كذلك اعترف بحق ايطاليا فى تعويض أرضى فى حالة قيام حرب المانية فرنسية . ولقد قبل بسمرك اعطاء كل هـــذه الامتيازات لايطاليا لأنه كما يقول إذا أرادت دولة التخلص من شرط معاهدة لن تجد صعوبة كبيرة فى تفسيره التفسير الملائم . ويلاحظ أن المادتين الأخيرتين فى المعاهدة غامضتان.

وقبيل امضاء المعاهدة الألمانية الايطالية أمضيت اتفاقية . First Mediter Agreement بين ايطاليا وانجلترا .

وهنا يجدر أن نلاحظ أن انجلترا حاولت مرارا عقد اتفاقيـة مع النمسا . ولكن كلنكى كان يشك فى نيات انجلترا ، وكان بسمرك دائم التحذير له بألا يقع فى حبالها فيدافع عن مصالح لا تهم النمسا . وخاصـة أن خطب لورد راندلف تشرسل تطلب دائما أن تكون النمسا هى البادئة فى تنفيذ الخطط ، وأن تقـــوم المانيا بتأييد النمسا . ولما لم يكن منتظرا عقد اتفاق نمسوى انجليزى كان بسمرك يعضد فكرة عقد اتفاق ايطالى انجليزى لتقوية مركز ايطاليـا فى البحر المتوسط أمام فرنسا . لا سيما وأن العلاقات الفرنسية الانجليزية ليست جيـدة

---

(١) نص Pribram 2 ص ١٠٤ .

وذلك للنزاع الذي كان قائما فى مدغشقر والهند الصينية وفى مصر بصفة خاصة . ثم إن انجلترا ما كانت ترمق بعين الرضا حركة بولنجر فى فرنسا .

ولقد وضح فريسنيه مركز فرنسا إزاء مركز الانجليز فى مصر فى قوله فى ٢٧ نوفبر ١٨٨٦ :

« إن من يصبح سيدا فى مصر ، فهو الى حد كبير ، سيد البحر المتوسط . فن المؤكد أنه إذا ما وطدت دولة كبرى وجودها فى مصر بصفة نهائية ، فإن هـذا يعد ضربة خطيرة لنفوذ فرنسا ولن تقبل فرنسا فكرة انتقال مصر نهائيـا الى أيدى دولة أوربية كبرى » [١] .

ولقد ازدادت مضايقة الفرنسيين فى مصر لانجلترا فى أوائل سنـة ١٨٨٩ الى حد أن كتب سولسبرى الى ليونز يود لو قامت حرب فرنسية المانية .

ولقد كانت الظروف مهيأة لدراسة مشروع اتحاد من دول البحر المتوسط ، ولا سيما بعد استقالة تشرشل فى ديسمبر ١٨٨٦ من الوزارة ، فازداد التقـارب بين ألمانيا وانجلترا وخاصة إزاء المسائل التركية والمصرية . وكان بسمـرك يرى أن يوضح للانجليز خطورة الروس على المضايق . وذلك لتأييد السياسة النمسوية ضد روسيا . ولذا فى ١٧ يناير ١٨٨٧ يطلب سولسبرى من السفير الايطـالى تبادل الآراء فى توثيق أواصر الصداقة بين انجلترا وايطاليا . ثم هـــو يريد أن تعرف مدى مصالح ايطاليا فى البحر المتوسط وفى الشرق الأدنى . ولقـد رحبت ايطاليا بالفكرة الانجليزية وأجاب روبلان بمذكرة تناولت أربع مسائل :

أولا : المحافظة على الحالة السياسية الراهنة فى البحر المتوسط (٢٦ ينـاير

1 - Lenger : Alli. P. 396 , 397

١٨٨٧) والأرخبيل والبحر الأسود ومنع أى دولة ثالثة من إحداث تغيير يؤثر فى مصالح الدولتين .

ثانياً : وإذا كان ضرورياً تغيير الحالة الموجودة فتتفق الدولتان على ما يجب اتخاذه .

ثالثاً : تؤيد ايطاليا بريطانيا فى مصر نظير تأييد انجلترا للسياسة الايطالية فى ليبيا وطرابلس .

رابعاً : إذا قامت الحرب فى البحر المتوسط تقوم كل دولة بمساعدة الأخرى ضد فرنسا [1] .

ولقد وجدت انجلترا من مصلحتها عدم انهيار النمسا والاتفاق مع ايطاليا ولكن انجلترا كانت لا تفكر فى حرب مع فرنسا ـ وإن كانت موافقة على بقية المذكرة .

ولقد أعلنت الحكومتان بسمرك بالمفاوضات ، وعمل هو من جانبه على إنجاحها بأن أكد لانجلترا ضرورة اهتمامها بالمسائل الاوربية ، فألمانيا لا يمكنها أن تؤيد سياسة انجلترا فى مصر ولا تقف ضد مطامع الروس فى الشرق إلا إذا تأكدت من اهتمام انجلترا بمسائل القارة وبتأييد المعاهدات التى تعقدها . والنمسا وحدها لا يمكنها الوقوف أمام الروسيا ولكن اتفاق انجلترا مع ايطاليا من شأنه تقوية مركز الدولتين [2] وقوتهما البحرية تستطيع منع فرنسا من القيام بأى عمل معاد للدولتين وكذا الروسيا . وبذا يظل التوازن الدولى قائما .

---

١ ـ خطابات الملكة فيكتوريا ١ ص ٢٤٦ .

2 - G. P. Nos. 283, 286.

وبين سوالسبرى للسفير الالمانى فى لندن هتزفلت بأن انجلترا لن تقـوم بمساعدة ايطاليا إذا قامت الأخيرة بحرب هجومية أو بحرب دفاعية لمنع فرنسا من القيام بحرب هجومية .

ولم يكن روبلان متحمسا لفكرة اتفاق دفاعى هجومى ضد فرنسا ولذا لم يكن ليعارض الفكرة الانجليزية ، وأكد سوالسبرى أيضا أنه لايقصد بالتحالف مع ايطاليا اتفاق ضد النمسا .

وتبودلت مذكرات بين الدولتين فى ١٢ فبراير سنة ١٨٨٧ ، ويلاحظ أن المذكرتين متشابهتان . وتقول المذكرة الايطالية بصفة عامة بأن تتعهد الدولتان الانجليزية والايطالية بالتعاون المشترك فيما بينهما فى البحر المتوسط إذا ما نشب بين إحداهما ودولة ثالثة نزاع أو خلاف .

وجاء الرد الانجليزى معبرا عن رغبة الحكومة الانجليزية فى التعاون مع ايطاليا فى المسائل التى تهم الدولتين .

ولهذا النص قيمته فإنه يعطى الحكومة الانجليزية الحرية الكاملة فى التصرف، ولقد قبلت انجلترا هذا الاتفاق حتى لاتبقى فى عزلة[1] .

والغرض من اتفاقية البحر المتوسط الايطالية الانجليزية وقف تقـدم الفرنسيين فى طرابلس ومراكش ، وتكوين جبهة متحدة مع مصر ، وكانت هذه الاتفاقية حلقة اتصال بين انجلترا والاتفاق الثلاثى .

ولقد اهتم بسمرك بتشجيع التحالف ، ولقد ساعده هذا التحالف على تجديد التحالف الثلاثى . وكذلك أصبح له بعض إشراف على السياسة الانجليزية التى

1 - Langer : all. P. 400-401.

انتقلت فعلا إلى الجانب المضاد لفرنسا . وقوى هذا من مركز حليفته النمسا، كما قوى من مركزه إزاء كل من الروسيا وفرنسا . وخففت انجلترا بعض العبء الذى كان ملقى على ألمانيا لحماية ايطاليا .

وقد أرسلت انجلترا بالاتفاقية إلى فينا لم تعترض عليها وعبرت عن رغبتها فى عقد اتفاق مع انجلترا تضمن النمسا فيه المساعدة المادية الانجليزية . ولكن سولسبرى أجاب على ذلك بأنه لا يستطيع عقد ذلك الحلف دون موافقة البرلمان . ثم هناك مسألة ، إذا كان على انجلترا أن تساعد النمسا ضد الروسيا فيجب أن يكون لدى انجلترا المقدرة على الدخول فى المضايق ، وهذا يقتضى حتما عقد اتفاقية مع تركيا . ولكن انجلترا طلبت من النمسا أن تنضم الى اتفاقية البحر المتوسط ، فقبل ذلك كلنكى بتعديلات تضمن مصالح انجلترا فى الشرق ، وقبل سولسبرى هذه التعديلات فى اتفاقية ٢٤ مارس ١٨٨٧ .

ولقد وافقت انجلترا على ذلك مضيفة بأنه إذا تغيرت الحالة الراهنة فى المناطق التى تهم النمسا فى الارخبيل ، فى هذه الحالة تعمل الدولتان على منع سيطرة أى دولة معتدية على مصالحهما (١) .

وفى أثناء المفاوضات لانضمام النمسا الى اتحاد البحر المتوسط تقدمت أسبانيا باتفاق إلى ايطاليا ، ولكن روبلان كان غير مرتاح إلى مطامع اسبانيا فى مراكش . وفى سبتمبر ١٨٨٦ عبرت اسبانيا عن رغبتها فى الانضمام الى التحالف الثلاثى . فأحال بسمرك طلب الحكومة الاسبانية إلى روما . وفى ١١ مارس ١٨٨٧ وضعت روما مشروعا لانضمام أسبانيا ، ولكن بسمرك رفض المشروع

- Pribram 1. P. 99

لأنه كان يعتقد أن الحالة فى أسبانيا غير مستقرة ، ونصح باتفاقية بين روما ومدريد كانت على شكل مذكرات تبودلت فى ٤ مايو ١٨٨٧ . وأعلنت اسبانيا أنها لن تنضم إلى جانب أى دولة تقوم بعمل غير ودى إزاء ألمانيا أو النمسا ، وتعهدت ايطاليا بنفس العهد . ووافقت ألمانيا والنمسا على الاتفاقية الاسبانية الايطالية ، وكذا انجلترا .

وكان مرمى كل هذه الاتفاقات المحافظة على الحالة الراهنة فى البحر المتوسط ، ومنع فرنسا من القيام بأى مغامرة فى أوربا وفى البحر المتوسط .

تم تجديد التحالف الثلاثى فى ٢٠ فبراير ١٨٨٧ . وفى ذلك التاريخ كتبت صحيفة Nord الروسية مقالا ذكرت فيه أن الروسيا سترقب الحوادث على الراين باهتمام وأن مصلحتها تحتم عليها ألا تقف موقف الحياد كما حدث فى ١٨٧٠ عند وقوع الحرب الألمانية الفرنسية، وأن الروسيا لن تسمح بأن تصبح فرنسا دولة ضعيفة .

وكان هذا متفقا مع السياسة التى كان ينادى بها كتكوف . ولكنه فى ذلك الوقت تسربت أخبار عن اتفاقات البحر المتوسط والتحالف الثلاثى إلى فرنسا وروسيا . وإن كانت هذه الاتفاقات لم تعلن بعد . وقد عمل ذلك على التقريب ما بين فرنسا وروسيا . وقامت الصحافة الروسية ، وكانت صقلبية النزعة تحبذ اتفاق الدولتين وتشيد بذكر بولنجر ، وهاج حماس الفرنسيين لبولنجر بدرجة اضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن ترسل فردنند دى لسبس إلى برلين ليشرح موقفها . ولقد بين له بسمرك أنه يتوقع قلاقل وأحداث طالما كان بولنجر فى الحكم .

وفى أثناء ذلك وقع حادث Schnaebele على الحدود الألمانية الفرنسية ،

هذا الحادث تافه فى حد ذاته . ولكن بولنجر ركز الجنود الفرنسية على الحدود وأظهر الاستعداد للحرب ، ودعا ذلك إلى رجوع السفير الفرنسى هربت Herbette إلى باريس لينصح حكومته بالتخلص من بولنجر ، وفعلا سقطت وزارة جبليه Goblet فى ١٦ مايو وحلت محلها وزارة روفييه Rouvier ولم يدخل بولنجر ضمن أعضائها ، وبذا انتهت المدة البولنجرية الأولى .

ولقد سر سقوط بولنجر بسمرك ورأى فى ذلك أكبر ضمان للسلم . ولكنه لم يكن واثقاً من الروسيا فعمل على استصلاحها وعمل على ترجيه نظر الروسيا إلى الشرق ، وإلى الجهات التى تحتاج فيها إلى تأييد ألمانيا . وكان قبل ذلك قد عمل على تأييد مركز الانجليز فى الدولة العثمانية ، وفى مصر . ولذا فهو يرفض طلب الترك بالانضمام إلى التحالف الثلاثى . فكان يرمى من وراء ذلك إلى إفهام الروس بأنهم إذا رغبوا فى التقدم فى البلقان سيصطدمون بدول اتفاقية البحر المتوسط ، ولهذا فهم محتاجون الى تأييد ألمانيا .

وفى أثناء ذلك يحدث تغيير فى وجهة النظر الروسية ، فلقد أغضب القيصر جرأة كتكوف وضعف العنصر المرسكفى . وزاد نفوذ جيرز Giers الذى كان لا يعتقد فى فكرة تحالف فرنسى روسى ، الفكرة التى كانت منتشرة فى موسكو وبين صفوف الجيش . فما كان جيرز بصقلبى النزعة وما كان مؤمناً بنظرية كتكوف ،وما كان معتقداً فى أن بسمرك يفكر فى غزو فرنسا ، وكان عاملا لذلك على تجديد اتحاد الاباطرة الثلاثة ، ولكن مسألة النمسا كانت عقبة كأداء فى سبيل اتفاق روسى ألمانى . فالقيصر الروسى لا يرى تجديد عقد التحالف مع النمسا ، ولكنه لا يجد مانعاً من محاولة السلام مع ألمانيا . فأرسل شوالوف إلى برلين بعد أن عرضت فكرة الاتفاق على الممثل الألمانى فى بطرسبرج ووجدت

ترحيباً لديه . وكانت تعليمات شوالوف تشتمل على النقاط التالية :

١ - ضمان السلام اللازم لنمو قوى روسيا الحربية والبحرية والمالية ولحماية الروسيا من المخالفات الأوربية .

٢ - العمل على بقاء الحالة الراهنة فى البلقان والاعتراف بتفوق النفوذ الروسى فى بلغاريا .

٣ - غلق المضايق .

وكل ذلك عن طريق التأييد الألمانى .

ولقد قامت صعوبات ، فبسمرك لم يكن مستعداً لإخراج النمسا من التحالف . وعلى أى حال بدأت المفاوضات فى ١١ مايو ١٨٨٧ وانتهت فى ١٨ من نفس ذلك الشهر ، واتفقت الدولتان على ما يلى :

أولا : إذا دخلت إحدى الدولتين فى حرب مع دولة ثالثة ترعى الدولة الأخرى الحياد المشبع بالعطف . وبذا أطلقت الحرية للروسيا فى الشرق ولألمانيا فى الغرب .

ثانياً : تعترف ألمانيا بالحقوق التاريخية للروسيا فى البلقان ، وبحق الروس فى تفوق نفوذهم فى بلغاريا .

ثالثاً : تتعهد الدولتان بالعمل على حفظ الحالة الراهنة فى البلقان .

رابعاً : وتتعهد الدولتان بفرض رغبتهما على تركيا بضرورة غلق المضايق فى وجه أعدائهما .

ولقد أعلن بسمرك للحكومة الروسية أنه مستعد لأن يرى الروسيا فى المضايق

وفى استامبول « مفتاح منزلها » ، وأن يعطى الروسيا موثقا مكتوبا سريا يوضع فى بروتوكول خاص .

ولم يوافق بسمرك على الشرط الاول إلا بعد أن أعطت الروسيا موثقا بمحافظتها على علاقات الصداقة مع النمسا . ولقد قرأ بسمرك للسفير الروسى شروط التحالف الالمانى النمسوى . فعرف الروس لأول مرة هذه الشروط . ولقد وضع بسمرك تحفظا للشرط الاول وهو أنه لا يسرى على حرب ضد النمسا أو فرنسا إذا قامت إحداهما بمهاجمة أحد الطرفين المتعاقدين . ولقد تعهد بسمرك بتأييد السياسة الروسية فى البلقان وعدم تأييد رجوع الباتنبرج .

وأمضيت هذه المعاهدة فى ١٨ مايو ، ومدتها ثلاث سنوات ، على أن تكون سرية ، وأطلق عليها اسم Reinsurance treaty ، وعرفت هذه المعاهدة فى ١٨٩٦ .

ويتهم بسمرك فى أنه خان النمسا فى هذه المعاهدة . ولكن الحقيقة غير ذلك، فلقد صرح بأنه غير ميال لتأييد سياسة النمسا البلقانية أو الدخول فى حرب من أجلها . ولقد كان عقد هذه المعاهدة وفاقا لرغبته فى تقسيم البلقان إلى منطقتى نفوذ شرقية فى بلغاريا والآستانة والمضايق لروسيا وغربية للنمسا .

ولربما قيل أن هذه المعاهدة تشجع الروسيا لتزيد نفوذها فى الشرق بينما اتفاقية البحر المتوسط تعمل على تقوية انجلترا لوضع حد لمطامع الروسيا فى هذه الجهات .

ولقد كان بسمرك يفضل أن تكون هذه المعاهدة ومعاهدة ١٨٧٩ مع النمسا علنيتين ، ولكن الدولتين رفضتا ذلك .

وبامضاء هـذه المعاهدة ، معاهدة الضمان ، أتم بسمرك سياسة الاحلاف his system of alliances ، وبذا ضمن سلامة المـانيا نظرياً على الأقل : فخطر الحرب لم يقل كثيراً عن ذى قبل . فلو أن كتكوف قد مات ، ولو أن بولنجر طرد من الحكم ، ولكن استمر الهياج فى الدولتين ضد المانيا .

ففى باريس أيدت الصحافـة بولنجر وقام الوطنيون المتطرفون بمظـاهرات عدائية لألمانيا . ولما ودع بولنجر باريس لاستلام وظيفته الجديدة إزدحمت الجموع لتوديعه فى محطة Gare de Lyon . ولقـــد نشأ الحزب البولنجى وتزعزع مركز الحكومة حينما علم بأن أحد كبار الضباط يتجر بنشان اللجيون دونور ، واتهم أحـد أقرباء رئيس الجمهورية ولسن M. Wilson فى ذلك ، فأدى ذلك إلى سقوط الحكومة واعتزال جريفى فى ٢ سبتمبر وقدم فرى نفسه لرياسة الجمهورية يؤيده الجمهوريون المعتدلون ولكن الملكيين والمتطرفين نظموا معارضة قـوية ففشل وانتخب مكانه كارنو Sidi Carnot وقامت مؤامرة لاغتيال فرى وفشلت . وقام ديرولد بتمهيد الطريق لبولنجر ، فـزار روسيا فى ١٨٨٧ للاشتراك فى جنازة كتكوف ، ورحبت به الدوائر العسكرية وبعض كبار رجال القيصر من أمثال تولستوى وقسطنطين وبوبيدونوستزف Pobiedonostsev وابروتشف Obruchev وغيرهم . واحتج على ذلك بسمرك واضطر جيرز أن يعلن للحكومة الألمانية أن القيصر لا يفكر فى اتحـاد مع فرنسا بالرغم من أنه يقول :

«إن الفرنسيين يجرون خلفه وفى أيديهم العطر ملتمسين منه أن يمنحهم شرف تدليك ظهره . »

ولكن بسمرك كان يعرف أنه طالما كانت الروسيا اتوقراطية فإن مسائل الحرب والسلام تتعـلق بالقيصر . وكان يؤمن بأن القيصر مستمسك بعهده ،

ولكنه كان يعرف أنه ربما جرف تيار الرأى العام القيصر أمامه كما جرفه سابقاً إلى الحرب مع تركيا . ولقد أمل بسمرك فى تخفيف عداوة الرأى العام لألمانيا عن طريق تأييد الروسيا فى سياستها البلغارية .

ولكن حدث أن اختار البرلمان البلغارى فردنند ساكس كوبرج ، وكان ضابطا فى الجيش الهنغارى ، وكان ذلك متضارباً مع مطالب الروسيا ، الروسيا التى كانت ترغب فى ترشيح أمير روسى للعرش البلغارى . ولقد حاول فردنند استرضاء الروسيا وفشل ، وأعلن القيصر أنه لا يعترف بأعمال البرلمان البلغارى . وبذا عارض فى ترشيحه . ولكن فرنسيس يوسف أذن لفردنند بقبول العرش ، ولم تعترف به الدول الكبرى وتجاهلته الروسيا ، بل وتمادت فى سياستها ورشحت أميرا روسيا وأيدها بسمرك . ولكنه رفض أن يتقدم هو لعزل فردنند .

وعمل بسمرك على عدم معارضة السياسة الروسية فى بلغاريا ، وأيد اتحـــاد دول البحر المتوسط ليضع مطامع الروسيا عند حد ، ولكى يمنع تحالف فرنسا مع الروسيا . ووجد فى المسألة المصرية السبيل الى ذلك .

وكانت انجلترا قد أرسلت بعثة السير هنرى درمندولف Sir H. Dr. Wolff الى الآستانة بشأن مسألة بقاء الجنود الانجليزية فى مصر ، ووصل الطرفان إلى شروط . ولكن ثار ثائر الفرنسيين لأن الاتفاقية لم تحدد تاريخا فعليا لجلاء الانجليز عن مصر . وأسرعت الروسيا إلى تأييد فرنسا ، التجأت الدولتان إلى تهديد الباب العالى ، وأبلغتاه بأنه إذا وافق على شروط ولف « أصبحت فى حل من احتلال أجزاء من الدولة ... وقد تفعل ذلك فرنسا فى سوريا وروسيا فى أرمنيا » .

ولذا لم يمض الباب العالى الاتفاقية .

وكان سولسبرى يحـاول إرضاء فرنسا بذلك ، ولكنها كانت محـاولة قضى عليها الفرنسيون أنفسهم - وقد سر السفير الانجليزى الوصول إلى هذه النتيجة ، واقترح متهكمـا أن يمنح السفيران الفرنسى والروسى أرقى النيـاشين الانجليزية Grand Cross of the Battle للخدمة التى أدواها لانجلترا .

على أن للمسألة جانب آخر ، وهو تأييـــد السياسة الروسية للجمهورية الفرنسية فرنسا أيدت سياسة روسيا البلغارية ، واتخـذت الروسيا من المسألة المصرية وسيلة للضغط على انجلترا لكى توافق على سياسة الروس البلغارية .

ولقد حاول الفرنسيون ضم الألمان إلى جانبهم ولكنهم لم يفلحوا . فلقـد أعلنت الحكومة الألمـانية للسفير الفرنسى أن حركة بولنجـر أضاعت ثقتهـا فى الشعب الفرنسى .

ولذا فهو والنمسا يؤيدان مقترحات ولف ، وأيد سولسبرى حينما قرر عدم إثارة ذلك الموضوع من جديد .

لقد كان سولسبرى ينظر بقلق إلى قيام تحالف فرنسى روسى ، ويفضل عـلى ذلك قيام حرب ألمانية فرنسية ، ولكنه كان يفهم أيضاً أن الألمان لا يخوضون غمار حرب لصالح انجلترا - ولذا فهو يحاول الوصول إلى اتفاق مع الروسيا . ويتصل بالسفير الألمانى هاتزفلدت Hatzfeldt مبينا له أن العدو المشترك لكل من انجلترا وألمانيا ليس الروسيا دائماً وإنما فرنسا . ولقد قال راندلف تشرشل أن مصالح انجلترا فى المضايق لا تستدعى حربا مع الروسيا . وهنا نسأل هل كانت انجلترا تنوى تسوية مصالحها مع روسيا على حساب تركيـا وتدرء بذلك خطر ما يحدث من تحالف الروسيا مع فرنسا ؟ وهل هذا من سولسبرى يتفق مع تصريحه للتشرشل فى اكتوبر ١٨٨٦ وبأنه يعتبر ضياع القسطنطينية إنهيار للحزب وضربة شديدة

لبريطانيا . ولهذا فهو شديد الرغبة فى تأجيل تقــدم الروس نحو المضايق بمختلف السبل ».

ولقد صرح بسمرك لانجلترا أنــه يؤيد فكرة قيام اتفاق روسى انجليزى . ولكنه أضاف إلى ذلك أنه سيؤيد سياسة النمسا فى الصرب والروسيا فى بلغاريا وانجلترا فى مصر وايطاليا فى الحبشة . وبذا يسود السلام فى أوربا عن طريق عزل فرنسا التى ترمى إلى الحرب كما بين هو . وقال فوق ذلك أنه يحبذ لو ضم الى هذه الاتفاقية النمسا وايطاليا .

ولما اشتط الرأى العام الروسى فى عدوانه على ألمانيا عمل بسمرك بطبيعة الحال على توكيد علاقاته بالنمسا - وفى هذه الأثناء حل كرسبى محل دبرتس فى الوزارة واحتفظ لنفسه بوزارة الخارجية ، وكانت له سياسة خارجية نشيطة ويرمى إلى الاستفادة من الاتفاق الثلاثى . وكان يرى أن فرنسا قد وقفت موقفا عــدائيا فى المسأله الرومانية وفى المسائل الاقتصادية، وفى تأسيس مستعمرات ايطالية فى البحر الأحمر، فقد رفضت فرنسا عقد معاهدة بحرية مع ايطاليا، وكان يعتقد فى فرنسا عدوا عنيداً لايطاليا .

وكان لكرسبى سياسية توسعية فى البحر المتوسط ويعمل على توثيق العلاقات مع انجلترا ، ولهذا فهو يؤيد انجلترا تأييداً صريحا فى بعثة درمندولف وفى بلغاريا، وأراد الذهاب إلى أبعد من ذلك ، فأقترح عقد معاهدة حربية مع انجلترا إذا حاولت الروسيا تنفيذ رغباتها فى بلغاريا بالقوة .

ولقد قابل كرسبى بسمرك وأبان له بسمرك أن ألمانيا فشلت فى محاولاتها لكسب الروسيا . وأبان كرسبى بأن ايطاليا لن تسمح لروسيا بأخذ الآستانة لأنه بذلك تصبح الروسيا كما يرى سيدة البحر المتوسط .

وكانت سياسة ايطاليا منع الروسيا أو تركيا من القيام بأى حركة تؤدى إلى قيام حرب أوربية . وكانت سياسة بسمرك تأييد الصلات بين ايطاليا والنمسا وانجلترا ـ وإعلام تركيا بذلك الاتفاق الذى يعمل على صيانة الحالة كما هى فى البلقان .

وكان سولسبرى يعمل على معرفة مدى اهتمام ألمانيا بذلك المشروع، فقدكان يخشى إثارة شكوك فرنسا . ولقد أعلن بسمرك فى خطاب له إلى سولسبرى ـ ويعد ذلك الخطاب من أعظم الوثائق السياسية ـ « إن المانيا لن ترضى بزوال النمسا كدولة كبرى ، كما لا تسمح لفرنسا بغزو الأراضى الايطالية أو الانجليزية. وأن المانيا لن تعلن الحرب إلا محافظة على سلامة أراضيها [1] » . ولقد أطلع بسمرك سولسبرى على نصوص المعاهدة الألمانية النمسوية ١٨٧٩ . ولقد تم فعلا تبادل المذكرات بين انجلترا والنمسا وايطاليا فى لندن فى ١٢ ديسمبر وفى ١٦ منه ولقد تناولت هذه المذكرات النقاط التالية :

(١) العمل على المحافظة على السلام وعدم القيام بسياسة اعتدائية .

(٢) المحافظة على الحالة الراهنة فى الشرق على أساس المعاهدات المبرمة .

(٣) المحافظة على استقلال تركيا،والمحافظةعلى حرية المضايق بحيث لاتستطيع تركيا التنازل عن مصالحها وامتيازاتها وسلطتها فى بلغاريا أو آسيا الصغرى . وإذا قامت تركيا بما يخالف ذلك تحتل الدول من أجزائها ما ترى احتلاله ، والاتفاقية سرية ووقعت فى ١٢ ديسمبر ١٨٨٧ .

وبذا تمت اتفاقية البحر المتوسط الثانية وتسمى Near Eastern or

---

1 - Gr. Pol IV N.9 p.30

Understanding or Eastern Triplice، ومرماها الأساسى ضد الروسيا ومنعها من التأثير على تركيا أو الاستيلاء على بلغاريا أو التدخل فى أمورها .

وما يوجه إلى هذه الاتفاقية من نقد أنها لم تعين خطة للعمل إذا ما قامت ظروف تستلزم العمل بسرعة . فكان على هذه الدول الدخول فى مفاوضات قد تكون طويلة قبل القيام بعمل حاسم . وربما لم توضع خطة لأن سولسبرى كان يخشى أن يثير البرلمان مشاكل للحكومة . ثم من ناحية النمسا فهى لم ترغب فى وضع خطة حاسمة . ويظهر أن المرمى كان ضد الدول الأخرى حتى تقوم بعمل عدائى ونجحت الدول فى الوصول إلى ذلك الغرض .

وفى هذه الأثناء كان الشعور القومى الروسى على أشده ضد ألمانيا ، بينما كانت فرنسا تسن القوانين لتقوية جيشها . وحرمت الروسيا على الألمان امتلاك الأراضى على مناطق حدودها . وأجاب بسمرك على ذلك بأن أعلن بأنه لا يثق فى مقدرة الروسيا فأخذت تسوء حالتها المالية، وزاد الرأى العام الروسى فى هياجه على المانيا . فلم يتحرج بسمرك عن أن يعلن للسفير الروسى «لقد أرغمتمونا الى توثيق صلاتنا بفينا وفى السنة الماضية بروما . وسنوثق فى هذه السنة علاقاتنا بالآستانة وأخيراً ستثير الصين عليكم[1]».

وكان ضباط الجيش الألمانى الكبار من أمثال فالدرزيه يرون أنه لا يمكن

١- ويرى لانجر فى ص ٤٤٣ أن الخطابات التى احتفظ بها القيصر ضد المانيا بشأن المسألة البلغارية مزيفة .

الثقة فى الروسيا ويجب الابتعاد عنها. ويجدر بالمانيا أن تنضم صراحة إلى انجلترا والنمسا وايطاليا . فتتمكن المانيا بواسطة ذلك من الوقوف فى وجه فرنسا والروسيا إذا قامت هاتان الدولتان بأى إعتداء . ولقد كتب فلدرزيه مذكرة عضدها ملتكه بين فيها أن الروسيا تمد المدة للحرب ولمهاجمة النمسا وأن من حسن السياسة أن تسارع المانيا إلى مهاجمة الروسيا .

ولكن بسمرك وجد أن الضباط الألمان يبالغون فى مخاوفهم ، وفى نفس الوقت حث النمسا على إتخاذ أهبتها للحرب ، وإن كان بين لها أنه لا يستطيع نصرها أبدا فى حالة قيامها بحرب هجومية طالما كان وزيراً . كما بين لها أيضاً ضرورة توثيق علاقاتها بانجلترا وايطاليا قبل أن تقوم الحرب . وقامت محادثات بين رجال الحرب الألمان والنمساويين ، وبين رجال الحرب الألمان والايطاليين فى أواخر ١٨٨٧ . ولو أن بسمرك كان يشك دائماً فى قيمة المساعدة الايطالية . وقد اشترك فى المحادثات الأخيرة الضباط النمسويون .

وبدأت الروسيا تشعر بخطر مركزها حينما زار جانب من الأسطول الانجليزى ايطاليا والنمسا وتبودلت خطب تستعرض وحدة مصالح هذه الدول . فلقد بين سولسبرى وكرسبى وكلنكى وحدة هذه المصالح ، فبدأ جيرز يتقهقر . ولم يعر القيصر اقتراحات فرنسا وتشرشل بتقارب انجليزى روسى أهمية كبيرة لأن زيارة راندولف تشرشل لم يكن يرضى عنها سولسبرى رئيس الحكومة . وحينما نشر بسمرك المعاهدة الألمانية النمسوية فى ٣ فبراير ١٨٨٨ أخذ الرأى العام الروسى نفسه فى التقهقر . حقيقة أن بسمرك كان قد بعث بها إلى الحكومة الروسية ، ولكن الرأى العام الروسى ما كان يعرف شيئا عنها . فعرف الرأى العام

الروسى أن حربا مع النمسا معناها حرب مع المانيا .

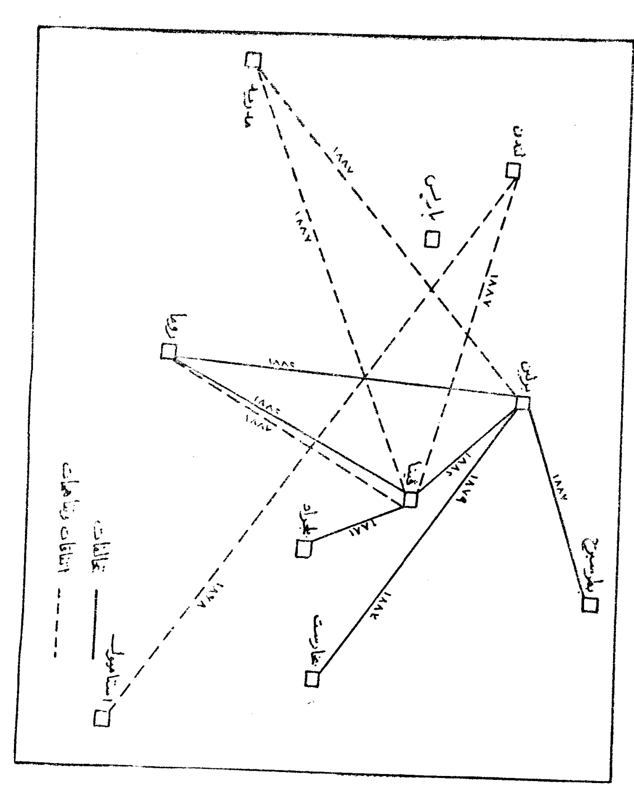
وخطبة بسمرك فى ٦ فبراير فيها استصلاح للروسيا ولكن فيها أيضا اظهار لقوة المانيا وثقتها بنفسها .

وانتهزت الروسيا هذه الفرصة فطلبت مساعدته فى المسألة البلغارية فأسرع لتأييدها، ولكن لما وجدت أن انجلترا وايطاليا والنمسا غير مستعدات لخلعه وقفت عند حد اعلان فردناند كمغتصب للعرش البلغارى .

كانت الحرب منذرة بالوقوع فى ١٨٨٧ لولا كياسة ساسة أوربا فى ذلك الوقت الذين حاولوا جهدهم المحافظة على السلام بالرغم من الشعور القومى المتحضر الثائر . ولكن هذه المحاولات ما كانت تنجح لولا سيطرة بسمرك فى ذلك الوقت على مجرى السياسة الاوربية ، فلقد كان ذلك الرجل يؤيد السياسة الصحيحة التى تقوم على قوة الجيش . ولقد جعل ألمانيا أقوى قوة أوربية ولكنه لم يستغل قوته للاعتداء . وبسمرك كان يريد جعل المعاهدات علنية وصريحة لو أنه وجد تأييداً من ساسة أوربا المعاصرين له .

ويمكن تفسير سياسته إذا عرفنا الخطر الذى كان يهدد المانيا فى جهتين، والتحالف الذى يهدد بالقيام بين فرنسا والروسيا . وخطر المسألة كان فى اختلاف وجهتى النظر النمساوية والروسية . ولقد حذر بسمرك من أن معاهدة الضمان مع الروسيا قد تشجعها لإثارة النمسا ، ولذا كانت اتفاقية البحر المتوسط فاستطاع بذلك أن يحافظ على السلام الاوربى .

وكان لأعضاء معاهدة التحالف الثلاثى أثر بليغ فى العلاقات الفرنسية الايطالية ـ فلقد عرفنا جهود فرنسا فى اثارة المسألة الرومانية ـ وكانت سياسة



خريطة للمعاهدات الأوربية

فرنسا الاقتصادية من العوامل المهمة فى اثارة حقد ايطاليا على جارتها اللاتينيات ، بجانب المسائل السياسية . وفى ربيع سنة ١٨٨٨ بدأت حرب جمركية عنيفة بين الدولتين . وقطعت فرنسا المفاوضات الاقتصادية مع ايطاليا حينما تأكدت بامضاء ايطاليا للميثاق الحربى مع المانيا . فلقد قال المفاوض الفرنسى لزميله الايطالى « طالما اشتركت ايطاليا فى الاتحاد الثلاثى لا يمكن لفرنسا عقد معاهدة تجارية مع ايطاليا [1] » .

1 - Langer All. P. 474

الفصل العاشر

أوربا بعد سقوط بسمرك

فى عهد فردريك كان على بسمرك تدريب الأمير على الحكم لانه كان قليل التجربة وليست له معرفة بشئون السياسة الخارجية . وكان تعليم فلهلم حربيا صرفا ، ولكنه كان طموحا وكان نشيطا . وكان الانجليز يظنون أن ميوله روسية محضة ، ولكنه شفى من هذه الميول ، فلقد أيقن بعداوة الروسيا لالمانيا وأخذ يشك فى سياسة بسمرك التى ترمى الى استصلاح الروسيا . وكان متأثراً بآراء الجنرال فالدرزيه ، ويرى ضرورة الوقوف بجانب النمسا إذا هاجمتها الروسيا .

كان بسمرك يريد شغل الروسيا فى مسائل البلقان ويظن أن استيلاءها على الآستانة سيضعف من قوتها ويحول ذهنها عن الحدود الألمانية والحدود النمسوية وكان يود أن تقوم حرب بين تركيا وروسيا .

وكانت سياسة سولسبرى فى ذلك الوقت ترمى الى توطيد دعائم الصداقة مع ألمانيا . ولقد جاءت زيارة الملكة فيكتوريا لبرلين فى ١٨٨٨ مقوية لمركز بسمرك ، فلقد تناقش معها فى السياسة الأوربية ، وأقنعها بوجهة نظره ، وطلب اليها أن تقف انجلترا فى جانب ألمانيا إذا هاجمت الروسيا النمسا ، فوافقت على ذلك ، وأعلنت له أن سولسبرى يشاطرها ذلك الرأى .

ولما جاء القيصر فلهلم عمل بسمرك وسولسبرى على أن تكون العلاقات بين البلدين بمنأى عن الفتور بين العائلتين الحاكمتين ، وكانت تود لو عقد سولسبرى

اجتماعات مع بسمرك وكرسبي ، ولكن سولسبرى لم يكن يعتقد أن عزلة انجلترا فى ذلك الوقت خطيرة . فكما كتب للملكة فى ٥ أغسطس سنة ١٨٨٨ يقول[1] : «إن التحالف مع النمسا يغطى نقطة الضعف فى مركز بريطانيا . وليس هناك دولة أجنبية فى مركز من القوة يسمح لها بتهديد مركز بريطانيا ، فيما عدا الروسيا التى تهدد القسطنطينية .»

« وإذا ما وافقت النمسا على وجهة نظر الروسيا فى احتلال البوسفور فإن مركز بريطانيا سيصبح صعبا ، لأنها ستجد نفسها مضطرة للدفاع عن الدولة العثمانية بمفردها ، لا سيما وأن فى إمكان الروسيا الحصول على موافقة ايطاليا وألمانيا فى مقابل موافقتها على تصرفها بإزاء فرنسا . ولكن إذا ما ثبتت النمسا على موافقتها فستضطر كل من ألمانيا وايطاليا على مجاراتها . أما بالنسبة لبريطانيا فإن أهم ما يشغلها الآن هو معرفة نوايا النمسا التى لن تكون محببة على أى حال . فاذا صحت وجهة النظر هذه فليس هناك مايقاق بال بريطانيا من اجتماع الاباطرة أو الوزراء . وستظل فرنسا أكبر خطر يهدد بريطانيا . ولكن سيبقى هذا الخطر خامدا طالما ظلت علاقة فرنسا بجارتيها الشرقيتين متوترة . ولكن إذا حدث أن أصبحت فرنسا على علاقة ودية بهما فسيرتفع عدد قوات الجيش (الانجليزى) والبحرية بسرعة كبيرة » .

ولكن روسيا كانت حريصة على ألا تفصم علاقاتها بالمانيا حتى لاتعطى ألمانيا للنمسا حرية العمل فى البلقان وفى بلغاريا خاصة . وكان افتتاح السكة الحديدية من فينا الى استامبول عملا خطيرا فى نظر الروسيا . وكان بسمرك من جانبه مستعدا لأن يعطى الروسيا حرية العمل فى كل المناطق التى ليس لألمانيا فيها مصالح حيوية فى آسيا ؛ فى المضايق ، وفى الآستانة ذاتها .

على العموم كانت سياسة بسمرك دائما ايجاد توازن بين الروسيا وانجلترا . وبعد عام ١٨٨٨ كان ميالا فى سياسته صوب انجلترا. ولكنه لم يفقد أبداً اهتمامه بالمسألة الروسية والعمل على تحسين علاقاته معها . ولقد قام الخلاف بينه وبين القيصر على مسائل السياسة الخارجية ، فلقد كان بسمرك معارضا لرحلة القيصر الى الآستانة وأثينا ، لأن هذا العمل سيزيد فى ضغينة الروس . ولقد زار القيصر الروسى برلين وعمل بسمرك على طرد مخاوفه .

وقد كان قلق الدوائر العسكرية فى برلين من موقف الروسيا من دواعى النزاع بين بسمرك والقيصر .

ومما عمل على سقوط بسمرك اتفاق هلشتين مع فالدرزيه وكان كل منهما لا يوافق على سياسة بسمرك الروسية .

سقوط بسمرك (التقارب الفرنسي الروسي)

ترجع أهمية سنة ١٨٩٠ فى التاريخ الأوربى الى أنها سنة فاصلة فى الفترة ما بين ١٨٧٠ ، ١٩١٤ . هى السنة التى تخلى فيها بسمرك عن إدارة أمور السياسة الأوربية . ولقد صعقت أوربا لسقوطه لأنها كانت تلجأ اليه فى مدلهمات أمورها ، ولأنها أصبحت الآن تخشى المستقبل . ولقد أعلن سولسبرى أن سقوط بسمرك «مصيبة هائلة» ، فلقد ظل النظام الذى أوجده بسمرك حيا طيلة المدة الى قضيها فى الحكم ، فلقد ربط الدول بمعاهدات . وكان ذلك النظام يرمى الى السلام ولكن لم يفهمه إلا القليل فى داخل ألمانيا وخارجها . وكانت سياسة بسمرك لا تروق رجال الحرب فى برلين وفينا الذين كانوا يرون أن تقوم ألمانيا بحرب دفاعية طالما أنها متفوقة، وساد هذا الشعور كل من بطرسبرج وباريس ، وكان رجال الحرب يرومون القيام بالحرب .

لقد كانت برلين مركز السياسة الدولية الاوربية، وكان على المستشار الالمانى ألا يميل كثيرا الى فريق دون فريق حتى لا يثور ثائر الفريق الآخر، فتقـــوم الحرب. كان على صلة بكل من الروسيا والنمسا وانجلترا وايطاليا ، وكان عليه أن يقسم عطفه وتأييده على الجميع .

كان بسمرك دعامة السلام الأوربى ، وكان هو كل شىء فى السياسة الخارجية الالمانية ، فالريشستاج لم يكن له نفوذ كبير عليها ، وما كان يهتم بالوسائل التى يؤثر بها على الرأى العام لتنفيذ سياسته ، ولقد سار فى سياسة التسلح ولم يحاول وقفها ، ولم يكن يؤيد السياسة الاستعمارية تأييدا تاما واتبع سياسة الحماية. وكانت سياسته تخفيف الضغط على الحدود الالمانية بتوجيه نظر الدول الى الاستعمار.

لقد كان معنى سقوط بسمرك تغيير السياسة الخارجية الألمانية . فلقد رفض القيصر ومشيروه تجديد معاهدة الضمان مع الروسيا . بينما كانت هذه المعاهدة الحجر الأساسى فى علاقة بسمرك بهذه الدولة . وكانت سياسة ذلك الرجل بناء التحالف الثلاثى وتجديده وحفظ العلاقات الودية مع الروسيا ، والعمل على كسب صداقة انجلترا ، وإبقاء فرنسا فى عزلة سياسية حتى لا تفكر جديا فى حرب مع ألمانيا . ولو أنه تركت لبسمرك الحرية التامة لإشراك فرنسا فى نظامه الأوربى . ولكن سياسة التقارب وتأييد فرنسا فى سياستها الاستعمارية لم تفلح .

وعدم تجديد معاهدة الضمان أعطى الروسيا حرية فى العمل ما كانت تسعى اليها فى ذلك الوقت، فالسياسة الالمانية دعت الى أن تغير السياسة الروسية خطتها، ودعت الى أن تنهج انجلترا منهجا آخر فى سياستها نحو القارة الأوربية . ودعا الموقف الجديد المعقد الى نمو حركة الامبريالزم ، والى ايجاد موازنة للاتحـــاد الثلاثى .

فى أول الأمر لم يقم القيصر الالمانى بسياسة مغايرة لسياسة بسمرك، وكان مضطربا قلقا . ولكنه كان أيضا متأثراً بخوف هواشتين وحقده على بسمرك وكل شىء يتصل بسياسته ، لا نستطيع اتهام هلشتين بعدم المقدرة ولا بعدم حبه لوطنه، ولكن كان أكثر ميلا لاتباع العاطفة لا للانصات لعقله .

ما كان قيصر ألمانيا يريد فصم علاقاته بالقيصر الروسى ، ولذا فقد أعلن أن مغادرة بسمرك الحكم ليس معناه تغيير السياسة الألمانية . ولكنه هـو وكابريفى رفضا تجديد معاهدة الضمان مع الروسيا ، كما رفضا إعطاء الروسيا أى وعد مكتوب لبقاء ألمانيا على سياستها القديمة نحو الروسيا . ولقد بذل جيرز Gièrs جهده لتجديد معاهدة الضمان حتى بعد حذف موادها السرية . ولقد رأت ألمانيا أنه حتى بعد حذف المواد السرية ستكون المعاهدة مغايرة لمصالح انجلترا والنمسا .

وكانت معاهدة الضمان ينتهى مفعولها فى ١٨ يونية ١٨٩٠ .

ولكن القيصر بدأ عمله السياسى بالاتفاق مع انجلترا على بعض المسائل الافريقية نظير تنازل انجلترا عن جزيرة هليجولند ، وعقد معاهدة بين ألمانيا وانجلترا قوبلت بالارتياح فى البلدين ، وكسبت انجلترا أراضى شاسعة فى افريقية، ووضع حد للتنافس الذى أخذت تزداد شدته بين المملكتين . وكان لذلك الاتفاق وقع سىء فى الروسيا ، وشعرت بعزلتها حقيقة، فقد عرفت أن ألمانيا تريد أن تستبدل بالتحالف الروسى التحالف الانجليزى . وكان هذا من العوامل التى دعت الروسيا الى البحث عن حلفاء لها، ولذا تتعارن الروسيا مع فرنسا فى المسألة المصرية. وإن كان التحالف مع فرنسا يكرهه القيصر كما يكرهه جيرز - لقد كافح كل من الرجلين ضد ذلك التحالف فى أزمة سنة ١٨٨٧ ، وكانا يخشيان أن تستعمل فرنسا هذا التحالف فى أغراض

عدائية لاسترجاع الألزاس واللورين وكانا يخشيان أيضا أن تتبع فرنسا سياسة ودية إزاء انجلترا فى مسائل الشرق الأدنى . ولذا فالقيصر الروسى يؤجل مسألة التحالف مع فرنسا حتى يزور القيصر الألمانى الروسيا . وتمت الزيارة فى نارفا Narva ولكن لم يكن للزيارة قيمة سياسية كبيرة .

لقد حاولت المانيا تقوية التحالف الثلاثى وتأييد النمسا ، بل وأطلعت النمسا على معاهدة الضمان التى عقدها بسمرك مع الروسيا ، وأيدت نهائيا وجهة النظر النمسويه فى البلقان .

أما فرنسا فلقد أخذت بعد سقوط بسمرك تلعب دورا ايجابيا فى السياسة الاوربية ، فحاولت إبعاد ايطاليا من التحالف الثلاثى ومن عصبه أمم البحر المتوسط ، وتدخلت فى أمور الفاتيكان وضد مصالح ايطاليا الاستعمارية،وأعلنت حربا جمركية عوانا عليها . ثم فجأة قبضت على عدد كبير من الثوار الروس فى باريس مما أحدث رد فعل هائل فى بطرسبرج ، وشكر القيصر الحكومةالفرنسية . واتحدت الدولتان فى خلق المشاكل للانجليز فى مصر ، واحتجتا معا على المعاهدة الانجليزية الألمانية ، هذه المعاهدة التى تعطى الانجليز الحق فى فرض حماية على زنزبار .

وتمادى الفرنسيون فى الضغط على ايطاليا ، وأسرعوا فى بناء استحكامات بزرتا ، وبينوا رغبتهم فى تغيير المركز الدولى لتونس ،مما جعل كرسبى يطلب نجدة الألمان والانجليز ، ولكن مساعيه ذهبت عبثا . وعملت فرنسا على توطيد علاقاتها مع الفاتيكان . وسعت البابوية فى توثيق الصلة ما بين الملكية الروسية والجمهورية الفرنسية .

[أما ألمانيا فعملت على تقوية علاقاتها بايطاليا وفرنسا ، ولكن سقوط كرسبى

أدى الى أن تعمل المانيا بسرعة على جس النبض فى فرنسا ، فأرسل القيصر أمه لزيارة فرنسا ، ولكن هذه الزيارة بينت للقيصر أن فرنسا لايمكن استصلاحها. وشعر الروس بأن ألمانيا تعمل على وضعهم فى عزلة سياسية .

ولقــــد قررت فرنسا ارسال أسطولا فرنسيًا الى الروسيا بالرغم من أن جيرز لم يكن يود الاسراع فى عقد معاهدة روسية فرنسية حــــتى يتأكد من موقف ألمانيا .

ولقد ظهرت حاجة المانيا الى تجديد التحالف الثلاثى بعد سقوط كرسبى الذى كانت تعتمد عليه اعتمادا كليا ، ولأن روديني الوزير الايطالى الجديد كان كثير الحيطة فى أعماله ، وكان جانب من الرأى العام الايطالى يرى ضرورة تحســين العلاقات مع فرنسا ، وتخفيض التسلح والخروج من التحالف الثلاثى الذى لم تستفد منه ايطاليا شيئا . ولكن مركز ايطاليا لم يكن بالسهل ، فلقد عمل روديني على قيام مفاوضات مع فرنسا فعلا . ولكن هذه الدولة طلبت ضمانات بشأن موقف ايطاليا من الاتحاد الثلاثى ، الأمر الذى لا يستطيع معه أى سياسى ايطالى تنفيذه. فيعود روديني إلى مفاوضات مع المانيا لتجديد التحالف الثلاثى، فلقد ظهر له أن فرنسا لاتريد اسقاط انجلترا أيضا .

ولقد بدأت المفاوضات فعلا فى أبريل وتمت بسهولة لرغبة الدول الثلاث فى تحسين مركزها . ولم يطلب روديني أى ضمان من النمسا ، ولكنه طلب من ألمانيا تأييد السياسة الايطالية فى غرب البحر المتوسط ،مما أثار بعض الصعوبات،وأمضى التحالف فى ٦ مايو ، ووافقت عليه الدولتان فى ١٧ منه ١٨٩١ .

وكان روديني يرغب فى توثيق الصلات بين انجلترا وايطاليـــا زيـادة عما تنص عليه معاهدة البحر المتوسط . أى أن انجلترا تقوم بالدفاع عن السواحل

الايطالية إذا هاجمتها فرنسا . ولقد وعدت ألمانيا والنمسا ، كبريني وكالنكي بمساعدة ايطاليا فى ذلك السبيل .

وكان سولسبرى من ناحيته قلقا من موقف الروسيا وفرنسا إزاء السياسة الانجليزية فى مصر ، فعمل على توثيق علاقاته بالنمسا وايطاليا ، فزار أسطول انجليزى ثغرى فيوم والبندقية ، وقوبل مقابلة منقطعة النظير . وقامت فعلا محادثات بينه وبين وزير الخارجية الألمانية مارشال Marshall أظهرت اتفاق آراء الدولتين . وكان لذلك وقع سيء فى كل من فرنسا والروسيا . لا سيما بعد أن أعلنت الحكومة الانجليزية فى البرلمان عدم وجود اتفاق بينها وبين ايطاليا منذ سنة ١٨٨٧ . ودارت الاشاعات فى العواصم الأوربية بأن انجلترا انضمت إلى الاتفاق الثلاثى .

وكان الرد الطبيعى على ذلك التقارب ما بين فرنسا والروسيا، وأظهرت فرنسا أنها لا تستطيع إقراض الروسيا إلا إذا عملت الأخيرة على زيادة التقارب منها . وكانت الروسيا فى أشد الحاجة الى معاونة فرنسا المالية لتنظيم ماليتها، ولتكميل سككها الحديدية . وكان الرأى العام الروسى والصحافة الروسية وعلى رأسها تاتيشتشف Tatishchev مؤيدة للتحالف فبدأت المفاوضات .

وزار الأسطول الفرنسى كرنستاد وقوبل قبولا مشهودا وعزفت المارسييز فى كل مكان ذهب اليه الفرنسيون . وكانت هذه الزيارة مقدمة لمفاوضات خطيرة الشأن .

وكانت رغبات فرنسا تقضى بعمل الحكومتين على تحقيق السلام فى أوربا . وتعمل الدولتان على منع التحالف الثلاثى من الاعتداء على السلام الأوربى. ووجد الفرنسيون أن يكون التحالف موجها ضد ألمانيا ، بينما كان جيرز يرى أن يكون

التحالف عاما ، ليست فيه نصوص حربيـــة . فما كان جيرز يرى إذاً تقييد حرية الروسيا فى العمل . ولكن تأكيدات موهرنهيم Mohrenheim السفير الروسى فى باريس طمأنت جيرز وزير خارجية روسيا وأرسل بمعاهدة التحالف فى خطاب له الى السفير فى باريس (أغسطس ١٨٩١) فقبلتها الحكومة الفرنسية توا . ولكنها أصرت على ضرورة القيام بمحادثات فيما يجب عمله من الناحية الحربيـة فى حالة الاعتداء الحربى على الدولتين .

وكان جيرز يرى أن فرنسا قد قامت برشوة سفيره لتحمسه الشديد فى عقد التحالف ، ولذا تباطأ فى قبول فكرة المحادثات الحربية .

وفى هذه الاثناء تقبل فرنسا دعوة انجلترا لزيارة الأسطول الفرنسى بورتسموث، فقد كان سولسبرى يرى تحسين علاقته بفرنسا . هذا أثار مخاوف الروسيا من أن تفقد فرنسا . ولكن جيرز لم يكن مطمئن البال تماما فيقوم بزيارة معظم العواصم الأوربية الكبرى ، ومنها برلين . ويحاول التقليل من أهمية زيارة الأسطول الفرنسى لكرنستاد ، ولكن زيارته لبرلين لم تلق أى نجاح ، وزادت العلاقات الألمانية الروسية تحرجا ، فكانت الروسيا تخشى هجوما ألمانيا . وكان الموقف فى بلغاريا لا يزال حرجا للغاية ورفضت ألمانيا رفضا باتا تقديم أى معونة مالية للروسيا التى كانت تقاسى فى ذلك الوقت مجاعة من أكبر المجاعات التى عرفتها . ثم إن ألمانيا بدأت تعامل البولونيين معاملة خاصة .

وفى نفس الوقت كانت فرنسا تعمل على ربط الروسيا من الناحية الحربية ، ولكن سقوط فريسنيه قلل من ثقة الروسيا لحين ، لأن القيصر ما كان مغرما بالوجوه الجديدة . ولكن وزارة لوبه احتفظت بريبو Ribot وفريسنيه .

وفى ٨ مارس ١٨٩٢ تقدمت الحكومة الروسية بمشروع الاتفاقية مع فرنسا للقيصر ، وكان فى تلك الفترة

متحمسا للتحالف مع فرنسا أكثر ممن حوله ـ وكان يود لو قضى على [1] مركز ألمانيا الأوربى بالتحالف الفرنسى . بينما كان مشيروه يرون الخطر فى عقد معاهدة مع دولة حكومتها غير مستقرة ، ولا يرون مصلحة الروسيا فى القضاء على ألمانيا فى الوقت الذى تحس الروسيا فيه بأنها منهكة بالمجاعات والأزمات المالية ،وسوء وسائل النقل . وأشاروا على القيصر بزيارة زميله فى كيل. ولكن هذه الزيارة لم تكن بأنفع من الزيارة الأولى .

ووجد الفرنسيون وضع الروس المترددين أمام أمر واقع ، فنشرت صحيفة الفيجارو فى ١٤ يوليو مقالا قالت فيه أنه إذا كان الروس لايستطيعون قبول الحالة فى فرنسا فليست حالة الروسيا بأحسن منها من النواحى المالية والحربية .لقد مضى عهد الوعود الأفلاطونية وليست ثمة قيمة لعقد يربط الدولتين . لقد انتهى وقت الخطوبة [لم يبق إلا الزواج كمسألة لامفر منها بين العائلات التى تحترم نفسها .

وبدأت المفاوضات بفضل بعض رجال الحرب الروسيين من أمثال الجنرال ابروتشف Abruchev الذين كانوا يؤيدون وجهة النظر الفرنسية. وقر الرأى أخيرا على اتفاق حربى بين الدولتين يضمن مصالحها .

اتفقت الدولتان على أن تساعد كل منهما الأخرى حربيا إذا اعتدت دولة من التحالف الثلاثى على إحداهما، وأن يتناقش أركان حرب الدولتين فى وقت السلم، وألا تعقد فرنسا أى معاهدة منفردة مع دول التحالف الثلاثى ، وأن تكون المعاهدة سرية ، ولقد أمضاها القيصر بصفة مبدئية على أن يدرس مشروع الاتحاد فـيما بعد .

والمعاهدة اتفاق حربى واتحاد فى نفس الوقت. وكان موقف الانجليز العدائى بإزاء تقدم الروس فى آسيا الوسطى جعل التقارب بين روسيا وفرنسا أمرا مقضيا .

1 - Langer ; Dip. P. 32.

ولكن سقوط سولسبرى ومجىء جلادستون جعل ألمانيا مضطرة إلى تحسين علاقاتها بالروسيا ، وبذا رجعت مرة ثانية إلى سياسة بسمرك القديمة ، ولكن عقب ذلك حرب جمركية بين البلدين ،فلم تعد مياه الصداقة إلى مجاريها . ثم تلى ذلك موافقة البرلمان الألمانى على مشروع قانون حربى يزيد قوة الجيش الألمانى ٨٠,٠٠٠ رجل، فثارت مخاوف الروسيا من جديد وأسرعت فى زيادة قواتها فى بولونيا .

ولقد كادت الحرب تقع بين فرنسا وانجلترا من أجل سيام،لولا أن فرنسا اعترفت بسيام كدولة حاجزة بين الممتلكات الفرنسية والممتلكات الانجليزية.

كان روزبرى من أكبر رجال الاستعمار الانجليزى ، وكان معجبا بسياسة سولسبرى ، ولكن زملاءه فى الوزارة ما كان يسمحون بتنفيذ مشاريعه الأمر الذى دعا إلى فقد دول التحالف الثلاثى لثقتها فى انجلترا .

ولكى تثير فرنسا مخاوف انجلترا طلبت من الروسيا أن تبعث بأسطولها لزور طولون ـ لاسيما وأن الأسطول الفرنسى كان يفوق الأسطول الانجليزى فى ذلك البحر فى عدد سفنه وحمولته . وكان للزيارة أثر رنان فى أوربا للحماسة الهائلة والاحتفالات التى قامت فى فرنسا .

ووافق القيصر نهائيا على الأمور الحربية فى ٢٧ ديسمبر ، وأجابت فرنسا فى ٤ يناير ١٨٨٩ . وبذا أصبح الاتحاد حقيقة ، ووضع حد لسيادة ألمانيا فى أوربا .

ولقد كانت انجلترا أول من شعر بما سيكون لذلك الاتحاد من نتائج خطيرة، ورغم أن الاتحاد كان سريا إلا أن زيارة طولون كانت قد أعطت الدول فكرة عنه.

ويصف دفرين شعور الفرنسيين نحو انجلترا فى ذلك الوقت بقوله :

« إنى أخشى أن أصف شعور الشعب الفرنسى على مختلف طبقاته نحونا بالكره الشديد الذى لا يمكن تخفيفه ... وانى أعتقد بأنه إذا كانت الحرب شيئا لا مفر منه، فالحرب مع انجلترا ستكون مألوفة، وستعتبر أقل خطورة من حرب منفردة مع ألمانيا » (١) .

لقد ظن الانجليز ان الفرنسيين وضعوا أسطولهم فى سبيل خدمة المصالح الروسية . ولذا ثار رجال البحرية والتجارة يؤيدهم روزبرى يطلبون بتقوية البحرية الانجليزية . ولكن جلادستون وهاركورت لم يستحسنا الفكرة،وحدث انقسام فى الوزارة استقال معه جلادستون وخلفه روزبرى.

وخشيت ايطاليا عواقب الاتفاق الجديد ، وكذا النمسا ، وحاولت الدولتان توثيق علاقتها بانجلترا ، فوعد روزبرى وعداً عاما بأن انجلترا (ألمانيا) لن تسمح بهزيمة ايطاليا،ولكنه لم يعد بأكثر من هذا . ولقد حاول كلنكى/أن يعرف موقف ألمانيا فى حاله هجوم الروس على الآستانة ، فقال القيصر حينئذ تقتسم الروسيا والنمسا البلقان. غير أن انجلترا أعلنت أن سياستها العمل على المحافظة على الحالة الراهنة فى المضايق ، على شرط أن تجد المساعدة من الاتحاد الثلاثى، فيقول روزبرى للسفير النمسوى فى ٣١ يناير ١٨٩٤ :

« أوكد لك بأننى مصمم تماما على الحفاظ على الوضع الراهن فى مسألة المضايق، وأننى لن أتراجع أمام خطر ادخال انجلترا فى حرب مع الروسيا . ولكننى أقول بكل صراحة أنه إذا انضمت فرنسا الى جانب الروسيا ، فيصبح دفاع انجلترا عن القسطنطينية ضد دولتين كبيرتين أمرا مستحيلا . على أى حال فاننا لن نسمح

1 Langer; Dip, 1. p.49

لأسطولنا فى البحر المتوسط بأن يتعرض لكارثة بأن نزج به بين الأسطولين الروسى والفرنسى . وفى مثل تلك الحالة فإننا سنحتاج إلى معونة التحالف الثلاثى لإعاقة فرنسا ». (١)

ولكن ألمانيا لم تكن ترى الدخول فى حرب لمسألة المضايق وحدها . والمانيا بعد مسألة سيام تشك فى نيات انجلترا ، وترى أنه إذا أثارت الروسيا مشكلة المضايق تطلب دول التحالف الثلاثى تعويضا . ثم إن ألمانيا فى ذلك الوقت كانت قد عقدت معاهدة جمركية مع الروسيا .

فألمانيا إذاً قررت الرجوع الى سياسة بسمرك بمحاولة التقرب من الروسيا . وعدم الاهتمام بمشاكل الشرق الأدنى إلا فيما يخص النمسا وايطاليا . ثم إن الألمان أصبحوا على يقين من تردد السياسة الانجليزية . ولم يكونوا ليأبهوا كثيرا حتى لدخول الروس استامبول . ولو أن أنجلترا رغبت حقيقة فى الانضمام الى التحالف الثلاثى لكان الأمر مختلفا تماما .

وأما الروس من جانبهم فما كان يهمهم استرجاع فرنسا للألزاس واللورين . وربما لم ينشأ الاتفاق الروسى الفرنسى لو أن الإلمان لم يرفضوا تجديد معاهدة الضمان . وأن حقد القيصر (الروسى) على ألمانيا وعدم ثقته فى فلهلم هو الذى جعله يتقرب من فرنسا .

وأما فى فرنسا فكانت هناك طائفة تكره الروس وترى الاتفاق مع انجلترا وعلى رأسها كلمنصو وجورس ، ولكن نفوذ الأول كان قد ضعف بعد مسألة بنما . وإذا كان الانجليز قد أخلوا مصر قبل ١٨٨٣ لربما لم يقم تحالف فرنسى روسى . كان ذلك الاتفاق اتفاقا دفاعيا موجها ضد ألمانيا ولم يقرب يوم الانتقام ،

---

1 - Langer, Franco - Russian Alliace p. 376 - 9.

فقد تبين للفرنسيين أن الروس لا يؤيدونهم فى سياسة اعتدائية . ولكن الساسه الفرنسيين أشعروا الشعب الفرنسى بأن يوم الفصل قد حان حتى يجعلوا التحالف مقبولا لدى الرأى العام .

ولقد رحب الفرنسيون بذلك التحالف لأن معناه انتهاء عزلة فرنسا .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الروسيا لم يكن لها سياسة واحدة ، فهناك سياسة خاصة بالقيصر ، وإلى جانبها سياسة أخرى لرجال الحرب ، ثم سياسة ثالثة لجيرز وزير الخارجية .

مسألة الدولة العثمانية

مسألة أرمينية فيها ظهر اتفاق ثلاثى وقتى بين فرنسا وانجلترا والروسيا . وربما ظهر للعيان أن انجلترا غدرت بالاتفاق الثلاثى وانضمت الى الوفاق الثنائى . وليس من الغريب أن الروسيا كانت تؤيد الترك ضد الارمنيين لانها نفسها كانت تحكم جانبا من الارمنيين .

وعلى العموم كان تدخل الدول فاشلا تماما . ولذا لما ثارت مشكلة أرمينية فى ١٨٩٥ أراد سولسبرى تعاون الروسيا على أن تضم اليها ممتلكات تركيا فى أرمينية نظير اعترافها بمركز انجلترا الخاص فى مصر ونظير تعويض فرنسا فى سوريا . ولكن الروسيا رفضت نظرا لإنشغالها بمسائل الشرق الأقصى .

ولقد كان سولسبرى مستعدا للذهاب الى أبعد من هذا فلربما سمح للروس بالآستانة والبوسفور إذا اتفقت على ذلك الدول الكبرى ، لأن سولسبرى كان يعتقد فى قرب سقوط الدولة العثمانية . ولكن المانيا رفضت الكلام فى هذا الموضوع . وكان سولسبرى يعتقد فى القيصر الالمانى « أكبر أعداء انجلترا »

ومن الغريب ان المانيا وقفت موقف الحامى لتركيا، بينما كان سولسبرى يعمل على سقوطها وتقسيمها . وكانت ايطاليا والنمسا تعملان على تأييد وجهة النظر الانجليزيه . وحاولت الروسيا جر فرنسا الى جانبها فلم تفلح فى التحالف الفرنسى الروسى . كان مشروع سولسبرى حينما تولى تقسيم الدولة يسمح للروسيا بأخذ ما تريد ، وتستولى النمسا على غرب البلقان ، وتأخذ ايطاليا طرابلس أو مراكش ، وتأخذ فرنسا سوريا أو مراكش ، وتأخذ انجلترا مصر والعراق . وفشل مشروعه لرفض الروسيا الاشتراك، ولأنها تعتقد أن الدول الاخرى لن تشترك . وكانت فرنسا تؤيد فكرة المحافظة على الدولة ، بينما النمسا تؤيد الحالة الراهنة .

مسألة الشرق الاقصى

تكون اتفاق بشأنها بين المانيا وفرنسا وروسيا فى ١٨٩٥ ضد اليابان فى حربها مع الصين . أهمية هذا الحادث فى أنها أثارت مشكلة الشرق الأقصى كمشكلة دولية هامة . قبل ١٨٩٤ كانت مصالح الدول الاوربية فى الصين تجارية ، وكانت الدول ميالة الى العمل مجتمعة ضد الدولة الصينية . ولكن سياسة اقتسام الصين قد بدأت من ناحية انجلترا وروسيا وفرنسا .

بدأ النزاع بشأن كوريا بين الصين واليابان ، واهتمت الروسيا بالمسألة الكورية نظرا لتدخلها فى أمور الصين ، لاسيما بعد حرب القرم - ولم يكن من المستطاع اتفاق الدول الثلاث على مسألة كوريا .

وكان بناء سكة حديد سيبريا من العوامل المهمة المؤثرة فى تاريخ الشرق الأقصى ، فازدادت أهمية كوريا والمحيط الهادى للروسيا .

وكان انتصار اليابان على الصين له دوى فى الشرق الأقصى وفى أوربا ، وقد كانت أوربا ترى أن الصين ستكون الغالبة لمواردها الكثيرة .وخافت الدول تفكك الصين ، وانضمت انجلترا الى جانب اليابان واعترفت بمركزها الجديد . واهتمت الروسيا بالحالة الجديدة ،واتفقت مع انجلترا وفرنسا على ضرورة استقلال كوريا. واهتم الألمان لمصالحهم التجارية .وكان مبدأهم عدم تفكك الامبراطورية الصينية، وكانوا يرغبون فى الاستيلاء على قواعد فى المحيط الهادى ويرمون الى استبعاد أى اتفاق بين انجلترا وروسيا بشأن مسائل الشرق الأقصى.

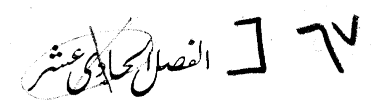
ولذا فهذه الدول تطلب من اليابان ألا تستولى على أراض من الصين لأن ذلك يستدعى تدخل انجلترا وفرنسا وألمانيا .

وكان تدخل ألمانيا إلى جانب الروسيا مظهرا من مظاهر الرجوع الى سياسة بسمرك القديمة ـ فلقد كان القيصر لايثق فى انجلترا ، وكان لايرى إعطاء فرنسا والروسيا فرصة للتعاون الوثيق فى الصين . وكانت انجلترا لاتثق فى الصين،ولذا لم تتدخل - ولم يكن لاتحاد الدول الثلاث قيمة كبيرة ، فلم تكن واحدة منها تهتم بمنع اليابان من التدخل فى أمور الصين . ولكن هذه الدول ظنت أنها ستنال امتيازات فى الصين نظير مساعدتها. ووجدت ألمانيا أخيرا أن الروس لم يشكروا جميلها نظير مساعدتها لهم .

وإذا نظرنا الى السنوات ١٨٩٣ - ١٨٩٥ لوجدنا أن رجال سياسة الجيل القديم قد انتهوا ، فلقد ترك كابريفى الوزارة فى نوفمبر ١٨٩٤ ، ومات جيرز وخلفه لوبانوف Lobanov وحل محل ، كلنكى ، كونت جولتشفسكى Goluchowski ، وحل محل روزبرى الحر وزارة الاتحاديين المحافظين Coservative Unionist بزعامة سولسبرى . وأشرف على السياسة الفرنسية

الخارجية هانوتو ، وبدأت المسائل الافريقية والآسيوية تلعب دورا هاما فى السياسة الدولية ، ونشأ الوفاق الثنائى فرجع التوازن الدولى ، ولم تكن فرنسا أو الروسيا تريد تحدى المانيا أو الاتفاق الثلاثى .

وشعرت انجلترا بعزلتها ، وقد حاول روزبرى وكمبرلى استصلاح الروسيا فأبت المصالحة ، وحاولت الحصول على تأييد دول الاتحاد الثلاثى فى مسائل الشرق الادنى ، ولكنها فشلت لان ألمانيا كانت خائفة من روزبرى ، ولذا عضدت مطالب الروسيا وفرنسا الاستعمارية .



التنافس الاستعماري في افريقيا

التطاحن على النيل

زاد شهوة الانجليز الامبريالية احتلالهم لمصر والثورة في السودان وقتل جوردون . ولا يوجد شك في أن جلادستون كان يود لو استطاع إخلاء مصر . وكان سولسبري يود حل المسألة المصرية ، ولكن في سنة ١٨٩٢ . وبعد مجيء روزبري انتهى الأمل في الجلاء .

ولقد عمل احتلال الانجليز لمصر على الإساءة إلى علاقاتهم مع الباب العالي ومع فرنسا . ولكن كان من حسن حظ انجلترا أنها كانت تستطيع الاعتماد على تأييد ألمانيا في هذه المسألة . ولقد جعل بسمرك من المسألة المصرية وسيلة لربط انجلترا بالتآلف الثلاثي . ولقد أتبع كابريفي ومارسل هذه السياسة . ولكن التنافر بدأ بين الدولتين منذ ١٨٩٣ ، وازداد تقرب الألمان في ١٨٩٤ من روسيا وفرنسا . ولقد احتجت ألمانيا وفرنسا على المعاهدة التي عقدتها انجلترا مع ولاية الكنغو . (هذه المعاهدة في ١٢ مايو ١٨٩٤ مهمة لأنها ستؤدي إلى مسألة فاشودة . وبها يستولي ملك البلجيك مدى الحياة على الأراضي الواقعة غرب بحر الجبل).

باتفاقية الكنغو بين فرنسا والبلجيك أصبح الطريق مفتوحا أمامها بين الكنغو والنيل ، وفشلت انجلترا في وقف الفرنسيين ، وأدت السياسة الانجليزية إلى زيادة التقارب بين فرنسا وألمانيا ـ وكان الألمان قد شعروا بأن روزبري ليس بصديق لهم .

مسالة جنوب افريقيا

هذه مسألة كان لها أثر كبير فى العلاقات الدولية . وأساسها الخلاف القديم بين الانجليز والهولنديين فى جنوب أفريقية . النزاع بين الفكرة الامبريالية البريطانية والآمال الجمهورية . نشأت من المشاكل الاقتصادية التى ظهرت فى جنوب افريقية نتيجة لاكتشاف مناجم الذهب العظيمة فى الترنسفال والضغط الاستعمارى الألمانى فى أفريقية . (١)

بعد انتصار البورز فى Majubla Hill فى ١٨٨١ اعترفت وزارة جلادستون باستقلالهم على شرط ألا يعقدوا معاهدات مع دول أخرى قبل موافقة الحكومة البريطانية . وكان لإنجلترا مركز قوى فى الترنسفال .

وفى سنة ١٨٨٤ ظهرت ألمانيا كدولة مستعمرة فى جنوب افريقية ، فخاف ساسة مستعمرة الرأس من أمثال رودس Rhodes من أن تتفق ألمانيا مع دولة الترنسفال ، وبهذا لاتستطيع انجلترا التوسع من ناحية الشمال . وفعلا دارت إشاعات فى ألمانيا عن عقد معاهدة مع البورز .

وفى سنة ١٨٨٤ طلب رودس كعضو فى وزارة جنوب افريقية ضم الأقاليم التى ستصبح مستعمرة الكاب Cape Colony وناتال Natal وولاية الأورنج الحرة The Orange River Free State وجمهورية جنوب افريقية The South African Republic (الترنسفال) .

وكان هناك اتحاد جمركى بين المستعمرات الانجليزية والترنسفال . وكانت

1 - E. A. Walker : Ahist. of Soutr. New York 1928.

ناتال ومستعمرة الرأس تعتمدان على التجارة مع الداخل. ولذا وقفت المستعمرتان الانجليزيتان منافستين للمستعمرتين الهولنديتين .

وقامت كذلك محاولات لوضع نظام جمركى عام تسافرين لكل الولايات ولكنها فشلت . ولقد حاول الرئيس كروجر تقوية استقلال الترنسفال السياسى عن طريق الاستقلال الاقتصادى . وكان يعمل على الوصول إلى الساحل . ولكن الانجليز أسرعوا فاستولوا على توجولند Togoland ، وبذا فشلت مساعيه لسوء حالة الترنسفال المالية .

ولقد زاد من قيمة الترنسفال إكتشاف الذهب بكميات وافرة حول جوهانزبرج. كان رودس قد أثرى ثراء عظيما وكان يرغب فى التوسع فكون شركة أفريقية الجنوبية الانجليزية British South Africa Company فى خريف ١٨٨٩ للتوسع فى شمال الترنسفال وغرب المستعمرات البرتغالية . كان غرضه التوسع فيما يسمى روديسيا ، وإجبار الولاية الهولندية المستقلة إلى الموافقة على اتحاد سياسى أو اقتصادى مع الولايات الانجليزية . وكان هناك الاعتقاد أن بين كروجر والألمان اتفاق ، وأن للألمان مطامع فى المستعمرات البرتغالية فى شرق أفريقية . وأن للالمان مطامع اقتصادية فى الاتجار مع الترنسفال . وكان من أصحاب هذا الاعتقاد تشمبرلين وروزبرى .

والحقيقة أن الألمان كانوا منتشرين بكثرة فى الترنسفال، وكانوا عنصرا نشطا، وكان كروجر يفضلهم على غيرهم . ولقد زادت تجارة ألمانيا مع الترنسفال خمسة أضعاف ما كانت عليه وذلك فيما بين سنتى ١٨٩٤ ، ١٨٩٩ - وقيل أن الألمان يؤيدون كروجر فى مشاريعه السياسية . ولقد زاد المسألة خطورة خطبة كروجر فى ٢٧ يناير ١٨٩٥ التى يعظم فيها الدور الذى قام به الألمان فى نمو الجمهورية الهولندية،

وذلك بمناسبة مولد القيصر الألمانى،فاضطرت وزارة الخارجية الانجليزية إلى أن تحذر برلين من عواقب التدخل فى مسائل جنوب أفريقية ، وأجاب مارشال أن ألمانيا لاتهتم إلا بالمحافظة على الحالة الراهنة وعلى مصالحها الاقتصادية. وأنه إذا أصبح البورز أعداء انجلترا فلا بد لألمانيا فى ذلك ، وإنما سبب ذلك خطب رودس وسياسته العدائية .

وثارت المشكلة العنصرية فى الترنسفال بشكل واضح بين البورز والأجانب ، ولقد زاد عدد الآخرين بدرجة هددت مصالح الاولين . فحاول البورز المحافظة على مصالحهم ، وحاول الأجانب مثل ذلك مكونين Nation Union ، وانضم اليه الرأسماليون الانجليز من أمثال رودس وفيليبس ومرماهم خلق المتاعب لكروجر ، بل وطرده من الحكم وتغيير نظم الحكم فى الترنسفال لصالحهم .

ومن ربيع ١٨٩٥ اتخذت الاجراءات لايقاد نار الثورة فى جوهانزبرج، ووضعت قوة على الحدود لغزو البلاد . وأخذ رودس وزملاءه على عاتقهم نفقات ذلك . وفى أثناء ذلك تسقط وزارة روزبرى التى كانت تعطف على آمال رودس. ولكن انتخابات ١٨٩٥ كانت انتصارا للامبرياليين، وأصبح مركز تشمبرلن قويا وتعاون مع سولسبرى لمدة ست سنوات ، مع أنه كان وزيراً للمستعمرات وذلك لاهتمامه بالمسائل الامبريالية .

لم يكن تشمبرلن يعتقد كثيراً فى رودس ولكنه كان يؤمن بالامبريالية. فهو عالم بمؤامرة رودس ولكنه مناصر للحركة الرودسية. ولم يحاول كروجر عرقلة التجارة مع مستعمرة الرأس. ويرسل تشمبرلن شبه انذار بالحرب فينسحب كروجر. ولقد زاد الاهتمام بالترنسفال فى انجلترا لكشف مناجم الذهب الكبيرة والفرص الكثيرة التى تفتحت للإثراء . ولما حدثت أزمة نتيجة لزيادة شراء أسهم شركات

الذهب ظن أن السبب فى ذلك راجع الى كروجر لا الى رودس وزملائه .

وعلى أى حال لم يعمل الانذار الذى وجهته الحكومة الانجليزية على تحسين العلاقات بين كروجر وانجلترا . وأصبح من الصعب حسم النزاع بينهما .

وعندما غادر سفير انجلترا فى برلين السير ادوارد مالت Sir Edward Malet برلين قابل مارشال فى اكتوبر وأعلن له أن مسألة الترنسفال « هى النقطة السوداء » فى العلاقات الانجليزية الألمانية ، لأن الألمان يؤيدون كروجر مما قد يؤدى الى تحرج الأمور ، فتحداه الوزير الألمانى أن يثبت ما يقول ، وأعلن له أن ألمانيا لن تسمح بأن تقع الترنسفال فريسة لمشاريع رودس . واعتبر القيصر الألمانى حديث مالت كتهديد لألمانيا فازدادت العلاقات بين ألمانيا وانجلترا سوءا (١) . فقد أعلن القيصر للملحق الحربى أن سياسة انجلترا فى أرمينية مغضبة للدول القارية، وأن انجلترا لن تستطيع الاستفادة من وجود جبهتين فى أوربا فإنه ربما عملت ألمانيا على تأييد مطالب الروسيا وفرنسا على حساب انجلترا ، وأن انجلترا يجب أن تفكر فى الانضمام الى التحالف الثلاثى أو الوفاق الثنائى . ولما وصل إلى لندن مضمون الحديث أنكر سولسبرى أنه بعث إلى مالت بمثل هذه التعليمات أو أن يتكلم بمثل هذه اللهجة . وعلى أى حال لا يوجد فى الوثائق الألمانية ما يثبت أن الحكومة الألمانية عضدت كروجر لكى يعارض السياسة الانجليزية . وإذا كان كروجر قد عارض السياسة الانجليزية فلم يكن هذا نتيجة لتأثير ألمانى عليه .

ولكن هذا لا يمنع أن القيصر كان متتبعا مسألة الترنسفال باهتمام كبير ، فلقد أصيب بحالة عصبية شديدة قريبة من الهستريا حينما علم بإغارة الانجليز على الحدود ، وربما خطر فى (١) ذهنه أن يساعد البورز مساعدة فعلية لولا تدخل

1 - G. P. XI. No 2578 and 2579.

1 - Langer. Dip. P. 235

هوهنلوه ومرشال وهلشتين ، وأخيرا وافق على اقتراح وزير المستعمرات كايزر Kayser على ارسال تلغراف تهنئة لكروجر على نجاحه فى صد المغيرين هذا نصه:

« أعبر لك وللأهالى عن خالص تهانى لنجاحك - دون طلب مساعدة الدول الصديقة - وذلك بفضل اعمالك النشيطة ضد العصابات المسلحة التى غزت بلادك لكونهم عبثوا بالأمن ، ولإعادتك السلام والحفاظ على استقلال بلادك ضد الهجمات الخارجية ». (٢)

وربما كانت ألمانيا تساعد الجمهورية الهولندية لو طلبت الأخيرة الحياد .
وكان مرشال ذاته موافقا على صيغة التلغراف ، فهو يريد توجيه ضربة لانجلترا .

ولو أن الحكومة الانجليزية أعلنت أنها غير موافقة على الاغارة على الحدود الهولندية ، ولكن الرأى العام الانجليزى كان مؤيدا لها . ولقد ذهل الرأى العام الانجليزى حينما علم بالفشل الذى أصاب الإغارة ، وحينما عرف ببرقية كروجر - فأعلنت « التيمز » أن هذا العمل غير ودى لانجلترا . وأعلنت المورننج بوست أن انجلترا لن تستطيع نسيان هذه البرقية فستذكرها فى سياستها الخارجية المقبلة، واعتبرت الديلى تلغراف البرقية صفعة لانجلترا وثارت صحيفة Saturday Review ساخطة مهددة وأطلقت على القيصر الألمانى اسم Drill-Sergeant Autocrat وتحدث الناس عن البرقية كإهانة متعمدة، وكسرت نوافذ الحوانيت الألمانية وقوطعوا فى المنتديات ووصل خطاب تهديد للسفير ذاته. ودارت الاشاعات بأن ألمانيا تريد انزال جنود فى الترنسفال، واتهمت بأنها تؤازر البورز، وامتلأت الصحف بالتحدث عن الدسائس الألمانية . واعتقدت بعض الدوائر الحكومية

---

2 - G. P. XI No 2610

بأن المانيا تريد ضم الترنسفال ـ وأعلنت الصحف أن بريطانيا لن ترهب لكى تنضم الى التحالف الثلاثى .

والواقع أن البرقية لم تكن سيئة كما تصورها الرأى العام الانجليزى . وربما كان ذلك الغضب مضافا الى غضب الانجليز من رسالة رئيس الولايات المتحدة الى انجلترا فى مسألة فنزويلا كبيرا على نفوس الانجليز . فكان الانجليز يريدون منفذا للتعبير عن غضبهم ووجدوا ذلك فى رسالة القيصر الالمانى . وكان الانجليز ينتظرون من المانيا أن تؤيد سياستهم لا أن تفعل ذلك .

لقد وجد الانجليز أنفسهم فى حالة عزلة سياسية فأرادوا القيام بعمل ضد دولة ليست لها إلا بحرية صغيرة ، لا سيما وأن ألمانيا أصبحت منافسا تجـاريا خطيرا ، فأعلنت الصحف الانجليزية أن عدو انجلترا الحقيقى هو المانيا، وثارت مسألة المنافسة التجارية .

والواقع أنه منذ الوقت الذى نشر فيه ولهامسون Wilhamson كتابه British Industries and Foreign Competition ، كانت هناك محاولات لإظهار المنافسة الألمانية وأثر فقدان الأسواق الداخلية والخارجية ، فعملت برقية كروجر على زيادة العداء .

فمن هذه الكتابات :

« إن دولة تجارية عملاقة قد أخذت فى الظهور لتهدد رخاءنا ولتنازعنا تجارة العالم » .

وكتب وليمز فى New Review عام ١٨٩٦ يقول :

« نحن غرماء تجاريون ملتحمون فى هذه اللحظة فى صراع حياة أو موت فى

سبيل السيطرة على أسواق العالم » .

وخطب لورد روزبرى فى ابسوم Epsom فى ٢٤ يوليو ١٨٩٦ يقول :

« هناك غريم رهيب يزحف علينا كما يزحف البحر على أجزاء الشاطىء أعنى بذلك المانيا » .

ولقد بحث روس[1] Ross هذا الموضوع بحثا قيما من الزاوية البيولوجية .

وزاد خوف الانجليز من الألمان لمشابهة الألمان لهم فى الخلق والنشاط والتجارة والصناعة .

كانت المنافسة المقبلة خطيرة ، وكان لا بد من ذهاب أحدهما ، وكان الانجليز مصرين على أن تذهب المنافسة الالمانية . ونشرت مثل هذه العبارات :

« من بين الأمم الأوربية نجد المانيا أكثر مشابهة لانجلترا فى الصفات الاجتماعية ، فى التفكير الدينى والعلمى ، وفى العواطف والاستعدادات . وإن الألمان يضارعون الانجليز فى التجارة والصناعة واستغلال الأجناس الآخرين . فلو محى غدا من الوجود كل الألمان ، لما تبقت تجارة انجليزية ، أو أهداف انجليزية دون أن تتسع بشكل فورى . فهنا نجد صراع الأجناس فى سبيل المستقبل هنا أمتان ناميتان تضغط كل منها على الأخرى ، كل رجل منها فى مواجهة الآخر ، فى كل مكان فى العالم . ولابد أن تذهب واحدة منها ، وستذهب واحدة منها .

ولقد انتهت المقاله بالعبارة « ألمانيا يجب أن تدمر » "Germania est delenda"

أما فى ألمانيا فلقد قوبلت البرقية باغتباط تام . وزاد حب الشعب للقيصر

1 - Ross I. S. Hoffmsn : Great Britain and German Trade Rivalry 1875-1914 (Philadelphia 1933)

وشكرت الجمعية الاستعمارية والجامعة الألمانية القيصر .

ويظهر أن كروجر حاول الاستفادة من الموقف لكى يعلن استقلال الترنسفال التام . وكان القيصر يريد أن يستمر فى خطته، ولكن مشيريه أشاروا عليه بالاعتدال ووقفت برلين عند هذا الحد . وكان هلشتين نفسه ضد البرقية .

ولم يكن مرمى الألمان الأساسى هو تقوية مركزهم فى الترنسفال أو تقوية مركز الترنسفال ، وإنما إرهاب الانجليز لينضموا الى الاتحاد الثلاثى ، واعتمد القيصر فى هذا الموقف على تأييد الروسيا وفرنسا .

وكانت فرنسا تؤيد الترنسفال فقالت « الطان » لسان الحكومة الفرنسية بأن إغارة جيمزن « قرصنة برية » و « تشرد مقصود » . وأعلنت « الربلك » بأن « كل أوربا يلزم أن تتدخل لصالح البوزر » . ولكن هل معنى ذلك أن فرنسا ستدخل إلى جانب المانيا . ماكان الانجليز يظنون ذلك . ففى نظر الانجليز أن فرنسا يهمها أن يقوم الألمان بالنيابة عنها فى تأديب الانجليز .

والواقع أن محاولات مرشال مع السفير الفرنسى هربت Herbette لم تنتج شيئاً . وعرف مارشال وهلشتين أن تعاون فرنسا مع المانيا ضد انجلترا مستحيل فى هذه المسألة . ولم تكن المحاولات مع الروسيا بأكثر نفعاً . فلقد أظهر نيكولاس القيصر الروسى استياءه من السياسة الانجليزية فى جنوب افريقية ، ولكنه لم يعد يعمل شيء . وبذا لم يقو الألمان مركزهم بالتدخل فى مسألة الترنسفال . ولم يكن موقف ايطاليا والنمسا بأقوى ، فقد خافت النمسا من أن تترك ايطاليا إلى جانب فرنسا والروسيا . واضطر السفير الالمانى فى روما إلى استعمال لغة قوية لمنع الايطاليين من ترك التحالف .

وأما الحكومة الانجليزية فقد تذرعت بالثبات ،ولو أنها قابلت البرقية بغضب

كبير . ورأت الملكة أن البرقية . غير ودية وتخطت كل حد ، وكذا ولى العهد .
ورأى تشمبرلن أن تبعث الحكومة الانجليزية برسالة شديدة اللهجة إلى برلين .
ولكن سولسبرى حافظ على هدوئه ، وأرسل قوة بحرية إلى جنوب إفريقية لمنع
كروجر من أن يسيء استغلال انتصاره . ثم أخذ فى إعداد قوة بحرية ليستعملها
فى أى جهة يشاء . وفسر ذلك فى أوربا بأنه تهديد لألمانيا .

ورأى القيصر فى ذلك الوقت بأن يتقدم الى البرلمان بمشروع لزيادة البحرية
الألمانية . ولكن مشيريه لم ينصحوا بذلك حتى لا يكون معنى ذلك تحــدى
انجلترا . وشعر القيصر بحقيقة الموقف بعد أن عرف تخاذل فرنسا والروسيا .
وكان سولسبرى يعرف جيدا غرض ألمانيا ، ونـاقش الساسة الانجـليز
ميزات التحالف مع ألمانيا ، وأخيراً فضلوا العزلة حتى لا تقحم انجلترا نفسها
فى مشاكل لا تهمها . فلقد طلب هتزفلت (ألمانيا) من سولسبرى أن تعقد انجلترا تحالفا
سريا مع ألمانيا يمضيه سولسبرى وبعض زملائه ، ولكن رفض الوزير الانجليزى
- حتى ولو كان سولسبرى يقبــل مشروع هتزفلت - إلا أن الرأى العام
الانجليزى فى ذلك الوقت ما كان مستعدا لقبول تحالف مع ألمانيا . وفعلا نجد
انجلترا تسوى بعض مشاكلها مع فرنسا فى مسألة سيـام والكونغو وتونس .
ونجد الرأى العام الانجليزى يميل ناحية فرنسا . فلقد شعر الانجليز بأهميـة
الاتفاق بالرغم من الاحتكاك الذى حدث فى هـذه المسائل . وكان فريـق من
الرأى العام يميل الى اتفاق مع الروسيا حتى لو أرادت الروسيا أخذ استامبـول
وأرمينية . وهذا الفريق كان يرى أن الموقـف الودى الذى وقفتـه انجلترا إزاء
الاتحاد الثلاثى قد باء بخيبة الأمل [1] .

---

(١) أنظر :
Ninetunth Cent , Fortnightly Rev. National, Rev. Satulday Rev.

ولقد قلقت وزارة الخارجية الالمانية (١٨٩٦) من نشاط السفير الفرنسى فى برلين ، ومن الخطوات التى تخطوها انجلترا نحو الروسيا [١] .

لقد أخذ القيصر درسا ، ولذا سيحاول اصلاح العلاقات الانجليزية الألمانية وستكون المسألة المصرية مرة أخرى هى الوسيلة .

(١) لشمبرلين والسفير الروسى . خطبة بلفور فى ٣ فبراير ١٨٩٦

المسألة المصرية السودانية

وفى أثناء أزمة جنوب افريقية حاولت كل من المانيا وانجلترا سبر موقف الروسيا وفرنسا. ولعبت المسألة المصرية دوراً هاماً . ولو أن المانيا وافقت على السياسة الفرنسية فى مصر لربما تم التقارب .

ولكن ألمانيا لم تكن تعمل على معارضة انجلترا نهائيا فى ميدان حيوى لها ، فسياسة ألمانيا ترمى إلى جر انجلترا إلى التحالف الثلاثى . ولكن هذه السياسة أدت بطريقة غير مباشرة إلى إساءة علاقاتها بدول التحالف الثلاثى ، وكاد ذلك التحالف يتزعزع لولا هزيمة ايطاليا فى عدوة .

كان لعدوة أثر واضح فى الوقوف فى وجه الامبريالزم الايطالى ، ولكن آثارها العامة ليست بذات نتائج كبيرة . وإن كانت سياسة ايطاليا الحبشية كما يقول لانجر جزء من سياستها المصرية والنيلية .

لقد قضى تعاون فرنسا والمانيا على المعاهدة التى عقدتها انجلترا مع ليوبولد ملك البلجيك ، وأحدث ذلك دويا فى لنـــدن . فالانجليز أبوا إلا العمل على الوصول إلى اتفاق مع فرنسا لفشل مشروع إقامة دولة حاجزة فى الكنغو ، ولفشل المحاولات التى بذلت لمنع تقدم الفرنسيين إلى النيل من ناحية الغرب .

وقامت مفاوضات بين دفرين السفير الانجليزى فى باريس وهانوتو دخلت فيها مسألة مصر وحدودها . ولربما قبل الانجليز فى هذه المفاوضات أن تحد مصر بالخرطوم ، وأن تكون حدود المنطقة الانجليزية فاشودة ، وأن تترك المنطقة ما بين الخرطوم وفاشودة حرة لتنافس الدولتين [1] . ولكن قبول كل

1 - Langer; Dip. vol. I P. 260

هذه الشروط فى هذه المفاوضات كان أمراً مستحيلا ، فقطعت فى ١٨٩٥ . وربما فكر الانجليز فى جعل حدود مصر من الجنوب ممتدة إلى سنار وفاشودة .

وكان غرض الفرنسيين التوسع فى غرب أفريقية والوصول إلى السودان وأخذ الانجليز من الخلف وإرغامهم على احترام وعودهم بإخلاء مصر . لقد أعلن ذلك دوبرازا de Brazza حاكم الكنغو الفرنسية وديلونكليه Deloncle فى البرلمان الفرنسى ، وكان لذلك وقع سىء فى انجلترا . ولم يقتصر الفرنسيون على الكلام ، بل أخذوا ينفذون سياستهم فى هذه الأجزاء وفى الحبشة .

ولقد تساءلت التيمز ما موقف انجلترا إزاء أعمال فرنسا - وكذا ثارت الاستجوابات فى البرلمان الانجليزى وأشارت إلى أن الاحتفاظ بأعالى النيل يجب أن تعيره السياسة الانجليزية الخارجية أهمية خاصة ، مما اضطر وكيل الوزارة إلى أن يستخدم لهجة شديدة إزاء فرنسا [1] . بل ذهب إلى أن أى خطوة من فرنسا ضد انجلترا فى هذه الأجزاء يجب أن تعتبرها انجلترا عملا عدائياً ، وذلك فى خطبته فى ٨ مارس ١٨٩٥ .

وكان لهذا وقع سىء فى فرنسا واحتج السفير الفرنسى دى كورسل فى لندن ، فمناطق النفوذ لكل من الدولتين لم تحدد بعد وإن كل منهما قد ادعى بحقوق لا يستطيع الآخر الاعتراف بها ، فانجلترا قالت بأحقيتها وأحقية مصر لكل حوض النيل . ومن ناحية أخرى هذه مسألة تهم مصر ، وكان الرأى العام فيها قلقا مناديا باسترجاع السودان .

وكانت كل من الدولتين تستعد للتوسع ، ففرنسا تحاول ذلك من جهة بحر

١ - المصدر السابق ص ٢٦٥ .

الغزال والحبشة ، وتعمل على إرسال بعثة. وفعلا جاء مارشاند الى باريس لحث حكومته على اتخاذ خطة حاسمة ، وإزداد نشاط الحكومة الفرنسية بتولى فور Foure رياسة الجمهورية وباتفاق فرنسا مع ملك البلجيك .

ولقد سافر ملك البلجيك إلى لندن فى أواخر ١٨٩٥ يطلب تأييدها لكى ينال من الخديو منحه السودان من الخرطوم الى فكتوريا نيانزا . ولقد رفض سولسبرى ذلك الطلب ، فطلب ليوبولد من انجلترا أن تنضم الى فرنسا وأن تخلى مصر وأن يمنحه الخديو السودان ، وتنال انجلترا حرية العمل فى الصين وإذا انهارت الدولة العثمانية تضع انجلترا أقدامها فى مصر ثانية.

وقد كان تعليق الملكة على اقتراحات ليوبولد ، بأن ملك البلجيك قد فقد توازنه العقلى ، وأن مقترحاته لا يقبلها العقل [١] » .

ثم جاءت رسالة كليفلند وبرقية كروجر . وانتشرت الإشاعة فى أواخر ١٨٩٥ بأن المصريين يعدون حملة لاسترجاع السودان إلى حدود دنقلة . وأعلن كورسل أن فرنسا لن تستطيع الموافقة على ذلك ، لأن معنى ذلك قبول مركز الانجليز فى مصر .

يظهر أن سولسبرى كان ميالا حينما أثار موضوع مصر إلى إرضاء شعور فرنسا بأن يستشيرها فى المسائل المصرية ، وإن كان كرومر يخشى اعطاءها أى امتياز أو استشارتها إلا على الأقل إذا وافقت فرنسا على أن تعطى انجلترا حريتها فى إدارة الشئون المالية [٢] .

---

١ — المصدر السابق ص ٢٦٥

٢ — كتاب كرومر الى سولسبرى ٢٩ فبراير ١٨٩٦ (٢٥٦-٢٠٧) Zetland

وكان غرض سولسبرى من هذه المناقشات مد الأمل أمام كورسل حتى ينتهى شهرا يناير وفبراير، ولكى لا يأخذ الفرنسيون موقفاً عدائياً بصفة نهائية. ومن المشكوك فيه أنه كان يرغب حقيقة فى منح فرنسا أى امتيازات فى مصر. كان مرماه فى الواقع تأجيل المسألة حتى تستعد لها انجلترا استعداداً تاماً.

ولكن لم يتح للانجليز اختيار الوقت المناسب لهم فقد قلبت موقعة عدوة الموقف فى افريقية. كان الانجليز قد اعترفوا بأن الحبشه منطقة نفوذ لايطاليا. ولكن الفرنسيين ساعدوا سراً منليك ملك الحبشة بالذخائر. ورفضت انجلترا استعمال نفوذها ضد الحبشة، ولم تؤيد ايطاليا تأييدا تاما ورأى الايطاليون أن الموقف غير لائق إزاءهم، حتى لقد قال[1] وزير الخارجية الايطالية: «إن البريطانيين لا عمل لهم سوى أن يركلونا».

وأعلنت فرنسا أنها ستعارض بالقوة إذا حاول الايطاليون أخذ هرر قبل أن يتفق معها الايطاليون بشأنها، وأن فرنسا لن تقبل اتفاقا مع ايطاليا ما دامت ايطاليا عضواً فى الاتحاد الثلاثى[2]. وأصبح موقف ايطاليا خطرا إلى درجة أيأست كرسبى الذى اضطر أن يتساءل ما قيمة التحالف الثلاثى إذا لم يقم بتأييد أعضائه. ولقد نصح الألمان مراراً الايطاليين بعدم التوغل فى الحبشة، وفى هذه الأثناء يزداد موقف ايطاليا فى الحبشة سوءا. وجاءت موقعة عدوة وهزيمة الايطاليين أمام الأحباش وسقط كرسبى، وهاج الشعور الايطالى فى روما ونابلى سخطا على سياسة كرسبى الاستبدادية.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧

وجاء روديني في ١٠ مارس وكان غير موافق على الاستعمار في الحبشة ، وكان الملك الايطالي يرغب في إعادة الحملة. ولكن ذلك كان من الصعوبة بمكان. ولقد عقد الصلح بتنازل ايطاليا عن مطالبها في الحبشة في ١٠ أكتوبر ١٨٩٦ .

كانت عدوة مؤثرة في الاتفاق الثلاثي . فلقد استاء الايطاليون من الإهمال الذي وجدوه من حلفائهم . ثم ثارت مسألة تجـــديد التحالف ، وطالب الايطاليون بضرورة تأييد النمسا لهم في مطالبهم في شرق البحر المتوسط ، وتأييد المانيا لهم في غربه . بينما كان النمسويون حانقين على محاولات المانيا لاستصلاح الروسيا .

وكان القيصر الألماني قد ندم على إرسال برقية كروجر ، وأعلن عقب وصول أخبار عدوة بأن التحالف الثلاثي ليس عدائياً لانجلترا . وأن عدوة انجلترا هي الروسيا ، وأن فرنسا قد ألقت بنفسها في أحضان الروسيا ، وأن مصر مهددة بالخطر ، وأن الجيش الفرنسي قد وضع لخدمة مصالح الروسيا . وأن سياسة المانيا ان تسمح بتفوق العنصر الصقلبي في أوربا . وأن المانيا وانجلترا تربطهما وشائج القرابة والدين البروتستنتي والمصالح . وحاول القيصر تفسير موقف المانيا في مسألة جنوب أفريقية - وأشار إلى أن فرنسا تحارب ايطاليا في كل مكان حتى الحبشة - ولكن هذه اللهجة لم ترق مرشال ولا هلشتين . وعلى أي حال طلب القيصر مساعدة الانجليز لايطاليا .

وعلى ذلك يرسل سولسبري إلى هتزفلد يبلغه بأن الجيوش المصرية ستسير صوب السودان . هل كان الغرض من ذلك الثأر لجوردون أو لاتمام العمل الإنساني في السودان ، أو لمساعدة الايطاليين ، أو لأن تشمبرلن حض سولسبري على عدم الاهتمام بالاتفاق مع فرنسا إزاء مسائل مصر والنيل ؟

وعلى أى حال كان سولسبرى يعتقد بضرورة إعادة فتح حوض النيل ، وكان يخشى من محاولات فرنسا والبلجيك . وعملت سوء حال الايطاليين على إسراع الحكومة الانجليزية باتخاذ موقف حاسم ، لا سيما وأن كسلا التى كانت تهم الانجليز والايطاليين على السواء كانت مهددة بالسقوط فى يد الدراويش ، وصمم الانجليز نهائيا على « الذهاب الى دنقلة » كما يقولون . وكان ضروريا لانجلترا أن تعتمد على صداقة المانيا لأنه كما يقول[1] السير سسل اسبرنج رايس Sir Cecil Spring Rice الملحق بسفارة برلين :

«إن المانيا ، قد وضعت ذيلنا بين فكيها ، عن طريق المسألة المصرية ، وفى مقدروها أن تعضه كلما قمنا بعمل على غير هواها ».

وكان ضرورياً الاعتماد على صداقة المانيا لأن انجلترا ستدفع تكاليف الحملة الحربية من المالية المصرية . ولأن فرنسا والروسيا ستعارضان فى ذلك ، ولذا يعلن سولسبرى للسفير الألمانى « أنه يرغب فى بقاء الصداقة مع المانيا كما كانت فى الماضى[2] » .

ووافقت ألمانيا وايطاليا والنمسا على أن تدفع مصر نصف مليون جنيه للحملة. ولكن الروسيا رفضت الموافقة لشكها فى سياسة انجلترا .

وكان استعداد انجلترا للحملة مثيراً للاستياء فى فرنسا ، وخاصة استياء كورسل الذى كان يفاوض سولسبرى لحل المسألة المصرية كلها . وحذر رئيس وزراء فرنسا بورجوBourgeois فى صحيفة Temps انجلترا من عواقب عملها.

---

١ — المصدر السابق ص ٢٨٧ .

2- Grosse Politik XI No. 2779

وأثر الروس على برتيلوت Berthelot وزير الخارجية فأعلن فى مجلس النواب أن مشروع دنقلة « اعتدائى صرف » ، وأنه يحتمل أن ترفض فرنسا الموافقة على الناحية المالية للمشروع .

ولكن انجلترا نالت أغلبية الأصوات ، واتفق الفرنسيون والروس سويا ، وعرض الأمر على المحاكم المختلطة فحكمت فى صالح الفرنسيين والروس . فى ذلك الوقت كانت انجلترا قد استعدت وأقرضت مصر نصف مليون جنيه ، وبهذا أصبح لها حق خاص فى الحملة .

وحاولت فرنسا (هانوتو) إثارة الباب العالى لكى يطلب من انجلترا تعيين موعد للجلاء عن مصر ولكى يرسل جنودا إلى سواكن.

(روسيا)
ولوبانوف/ولو أنه كان منهمكا فى مسائل الشرق الأقصى ، إلا أنه أصر على مراقبة أعمال الانجليز فى الشرق الأدنى . فكان يريد فرنسا أن توافق على وصول الروس إلى البحر المتوسط ولكن هانوتو كان محتاطا فى سياسته .

كانت الدول تطالب بالإشراف على القناة لأهميتها - وباتفاقية ١٨٨٨ التى أعطت الدول بعض الإشراف - ولكن لوجود انجلترا فى مصر كان لها نفوذ كبير ، كان لوبانوف يريد وضع حد لهذه الحالة لأهمية القناة للمواصلات الروسية مع الشرق الأقصى ، لا سيما قبل الانتهاء من سكة حديد سيبيريا . ولقد أظهر لوبانوف اهتمامه بالحبشة وربما فكر فى أخذ قاعدة للروسيا فى البحر الأحمر . وكان يفكر فى طلب عقد مؤتمر للنظر فى مسألة قناة السويس وجعلها دولية الصبغة تماما . وكان يمكنه الاعتماد على تأييد فرنسا ، ولكن كان ضروريا تأييد ألمانيا . ولذا كان فتح باب المفاوضات مع هذه الدول مشيرا إلى أن الروسيا

تضمن موقف فرنسا . ولقد حاول الفرنسيون التقرب من الالمان عن طريق باريس ، ولكن موقف المانيا لم يتغير ، فلقد كان جواب المانيا أن مسألة الترنسفال أثبتت أن فرنسا تفكر فى الانتقام وأنه لا يمكن الاعتماد عليها (١) .

وأوضحت المانيا للانجليز محاولات الروس . ولكن بالرغم من ذلك حاول الانجليز الاتفاق مع الفرنسيين والروس ، وأرسلوا بعثة خاصة إلى بطرسبرج لم تنتج شيئاً . وكذا فشلت المحاولات مع الفرنسيين . وكان من حظ انجلترا موت لوبانوف فجأة ، وكان معروفا بعدائه لانجلترا . وزار القيصر الصغير الملكة فى Balmoral وحاول سولسبرى إستغلال الموقف وأعلن أنه مستعد لتعديل اتفاقية ١٨٨٨ على شرط ترك مسألة الجلاء ، ولكن القيصر كان محتاطا . وفشلت محاولات سولسبرى لخوف الروس من المطامع الانجليزية فى الشرق الأدنى ، ثم لاتفاق الروس مع الفرنسيين . وكانت مطامع الروس من ناحية أخرى مركزة فى الشرق الأقصى ، ويهمهم المحافظة على الحالة الموجودة فيما يختص بالدولة العثمانية .

ولكن مسألة عدوة وحملة دنقلة غيرت الموقف الدولى فى أوربا ، فلقد عرف الانجليز أن مصلحتهم فى مساعدة ايطاليا وعدم الاستمرار فى المحادثات التى بدأت عقب برقية كروجر . واضطرت فرنسا إلى الوقوف موقفاً عدائياً لانجلترا لكى لا تضايق الروسيا . ولكن يظهر أن الفرنسيين كانوا فى ذلك الوقت مستائين من التحالف الروسى الذى لم يفدهم كثيراً ، وربما عرضهم

1 - G. p. No. XI. Nos 2728, 46, 2837-44

لحرب مع بريطانيا . ولذا فإنه بالرغم من زيارة القيصر لفرنسا فلقــد أعلن الفرنسيون ضرورة مساعدة الروسيا لفرنسا فى استرداد الالزاس واللورين ، لأن المحافظـة على السلم الموجود إنما هو سلم لألمانيا . ولكن الروس ما كانوا يعضدون الفرنسيين فى حرب انتقامية .وكان ينصحون الفرنسيين دائماً بالاعتدال والحذر ، بل والعمل على إيجاد علاقات طيبة مع المانيا .

وأثر تحسن العلاقات بـين انجلترا والمـانيا فى توثيق الصلات بـين أعضاء التحالف الثلاثى . وأعلن رودينى رغبته فى الاستمرار فى التحالف على شرط أن يبين أن التحالف ليس موجهاً لانجلترا ، فرفضت ألمـــانيا ذلك على أساس أنه لاداعى له ولا يعقل كما بينت ألمـانيا وجود تحالف انجليزى روسى أو تحـالف انجليزى فرنسى .

[ولو أن ذلك التحالف الثلاثى بقى إلا أنه لم يصبح ذلك التحالف المعروف فى عهد بسمرك وكرسبى . والقيصر ما زال غير واثق فى سياسة انجلترا . ولو أن الألمان لم يستمعوا إلى اقتراح لوبانوف فى مسألة القناة إلا أنهم ظلوا على علاقات طيبة معهم . وقابل نيكولاس القيصر الألمـــانى فى سيليزيا ودمستات وزار لوبانوف فينا .

ولقد كان الايطاليون أشد عضو تحمسا للاتفاق الثلاثى ، فإن موقف فرنسا والروسيا إبان الأزمة الحبشية كان مؤلما ، ولكن ظهر لهـا أن الحرب الجمركية بينها وبين فرنسا سببت تضعضعها الاقتصادى .ولذا فهى مضطرة إلى عقد معاهدة جمركية مع فرنسا . ثم إن الفرنسيين من جانبهم أحبوا استصلاح إيطاليا لا سيما إزاء حقوق الايطاليين فى تونس ، فعقدت معاهدة فى ١٨٩٦ اعترفت فيها ايطاليا بالحماية الفرنسية على تونس .

فترى إذن أن المسائل غير الاوربية هى التى أدت إلى تغيير الموقف الاوربى، فمسألة دنقلة وسعت الخلاف بين انجلترا من جانب وفرنسا والروسيا من الجانب الآخر . واضطرت الانجليز إلى الميل ناحية الاتحاد الثلاثى ، ولكن أنهت علاقة الود القديمة وظهر أن عامل المصلحة لا عامل العاطفة هو المتغلب .

مسالة فاشودة

لقد قرر الانجليز ارسال حملة الى دنقلة لمساعدة الايطاليين ولسبق الفرنسيين الى أعالى النيل .

كانت فرنسا قد حاولت إقناع الانجليز بالجلاء عن مصر ، ولما فشلت فى ذلك حاولت إقرار المسألة المصرية بالتدخل فى أعالى النيل ، وقررت إرسال بعثة مارشاند . وكان غرض فرنسا كما يقول الجنرال مانجان Mangin أحد الذين صاحبوا مارشاند ، ولإبعاد كل عذر يقول به الانجليز لاحتلال مصر ولوضع حد لأحلام الانجليز فى ربط مصر بالرأس وبممتلكاتهم فى شرق إفريقية بغربها . وكان البلجيكيون يساعدون الفرنسيين . ولقد حاول الفرنسيون الاتصال بالدراويش فى السودان وتوثيق علاقاتهم بهم ، كما حاولوا الاتصال بالحبشة . وكان الانجليز يراقبون حركات الفرنسيين بعين القلق .

وقبل قيام الانجليز بحركة اتمام استرجاع السودان (وذلك بعد أم درمان) انعقد مجلس وزرائهم فى لندن مرارا ، وحضر جلساته كرومر ، وفى هذه الجلسات قرر أن يخفق العلم المصرى والانجليزى فى السودان ، وأن تقبل مصر مشورة انجلترا فيما يتعلق بأمور السودان ، وتقرر أن يسير كتشنر فى حملات الى النيل الأزرق والى فاشودة ، وأن يحاول ألا يصطدم بملك الحبش .

لقد أثار انتصار الانجليز فى أم درمان حماسهم الى درجة منقطعة النظير — وفى أثناء ذلك تأتى الى انجلترا أخبار حملة فى القارة المظلمة تعمل على حرمانهم ثمرة انتصارهم فيثور ثائرة الرأى العام الانجليزى على فرنسا ، وهاجم فرنسا هجوما عنيفا ، وأطلق على بعثة مارشاند المغيرين غير النظاميين ، Irregular Marauders

واعتبرت الصحافة الانجليزية عمل فرنسا عملا عدائيا . وقالت بطرد بعثة مارشاند ولو أدى ذلك الى الحرب . ولم يقبل سولسبرى المفاوضة مع الفرنسيين قبل أن تسحب بعثة مارشاند .

أما من ناحية فرنسا فلقد كان وزير خارجيتها هانوتو مصرا على احـــترام حقوق الخديو والسلطان فى افريقية والسودان ، وكان مؤيداً للسياسة الاستعمارية الفرنسية ولحملة مارشاند . ولقد أعلن الفرنسيون أن لهم حقوقا فى السودان كحقوق الايطاليين على سواحل البحر الأحمر وحقوق الانجليز فى أرغندة . ولقد أقام مارشاند الحكم الفرنسى فى بحر الغزال ، وأعلن الانجليز حقوق مصر وحقوقهم فى هذه المنطقة معتمدين على أن مصر كانت تملك هذه الاجزاء ثم أخذها الدراويش ، ثم قضى الانجليز والمصريون على الدراويش فرجعت هـذه الأقطـار الى مصر وانجلترا .

ولجأ الفرنسيون الى هذه السياسة نتيجة ليأسهم من إرغام انجلترا على إخلاء مصر فى عهـد وزارة جلادستون فى ١٨٩٢ ، ولذا أرسلوا أولا Monteil ثم مارشاند لتأسيس مستعمرة على النيل حول فاشودة . ولوجود الأحباش فى شرق هذه المنطقة موالين للفرنسيين ينتهى أمل بريطانيا فى فتح طريق القـاهرة مدينـة الرأس . وكانوا يفكرون فى التهديد بحجز مياه السوباط وإرغام الانجـليز على المفاوضة وإعادة النظر فى المسألة المصرية . ويرجع فشل الخطة الفرنسية الى تقاعس الحبشة عن نصرة الفرنسيين . إذ لما وصل مارشاند الى فاشـودة أرسل باراتييـه Baratier ثم مانجان Mangin للبحث عن أنصاره الأحباش فلم يجدهم فى الوقت المناسب ـ وكانت انجلترا قد علمت بخطة فرنسا ، ولم تعدم تحذيرات صموئيل بيكر ومونكريف وجراى بخطر وجود أى دولة قوية على النيل على مصر . وبذا

قرر الانجليز استرجاع السودان جميعه . فلما تم إخضاع الدراويش، قرر الانجليز استمرار السير جنوبا .

ورأت انجلترا ألا تسلم بأى مطلب للفرنسيين فى النيل . وكان من السهل أن يطرد كتشنر مارشاند بالقوة (١) ، ولكن كان معنى ذلك حربا بين فرنسا وانجلترا . وعملت قوة انجلترا البحرية على احترام مركزها ، فلقد كان أسطولها فى ذلك الوقت أقوى من أساطيل أوربا مجتمعة . ولقد قامت البحرية الانجليزية بمراقبة الثغور الفرنسية ووضع أسطول كبير للمراقبة ما بين مالطة وجبل طارق . وكان الاسطول الانجليزى مستعدا لحصار طولون وانزال جنود فى بيزرته . وأرسلت قوة بحرية للمحافظة على قناة السويس .

لم تكن فرنسا مستعدة للحرب وتعرف خطورة الموقف ، فلقد كانت لهجة الصحف البريطانية متوعدة . وكان الرأى العام مستعدا للحرب لكى تنتهى المشاكل بين الدولتين ، وكان من بين أعضاء الحكومة البريطانية من يقولون بضرورة « حرب وقائية » .

وفى ٢٨ أكتوبر طلبت الوزارة تركيز الأسطول فثار فزع فرنسا، وكانت سياسة دلكاسيه اكتساب الوقت حتى تتم فرنسا استعداداتها البحرية وتتصل بروسيا . ولذا طلب من الانجليز الانتظار حتى يأتيه تقرير مارشاند . وفى أثناء ذلك أخذ الفرنسيون يحصنون سواحلهم وثغورهم ، وألغيت أجازات البحرية وأعد أسطول البحر المتوسط .

---

١ ـ جرت مفاوضات بين كتشنر ومارشاند وكانت وديه للغاية وانتهت بأن طلب الفرنسيين وسكى بالصودا .

وتفاوض دلكاسيه مع الساسة الروس منهم دوفيت de Witte وزير المالية، والجنرال كروتبكن Kuropatkin وزير الحرب وكانا فى باريس، فوجد دلكاسيه أن التحالف ليس قويا كما كان يظن . وفى ١٨٩٨ أعلن القيصر الروسى منشوره للسلام دون أخذ رأى فرنسا . وكانت الروسيا فى شك من ثبات الحالة فى فرنسا بسبب قضية دريفوس . فكان هناك السؤال ، هل يمكن لوزارة فرنسا القيــام بعمل كبير مع وجود كلمنصو وجورس فى صف المعــارضة للتحالف الروسى الفرنسى . بل لقد أعلنت الصحافة الروسية سخطها على عدم وجود استقرار فى الأمور الداخلية فى فرنسا . ولقد بينت الحكومة الروسية أنها مستعدة لمساعدة فرنسا والقيام بتعهداتها ، ولكن إعداد الجيش الروسى للحرب يحتاج إلى وقت طويل ، وأن تجمد المياه الروسية سيعرقل حركة الاسطول ، فخــير لفرنسا بأن تسلم بمطالب انجلترا ، لا سيما وأن مسألة فاشودة ليست مسألة حيوية ، وأن الروسيا قد تساعد فرنسا فى المستقبل فى فتح باب المسألة المصرية من جديد . ولقد تذمرت الصحافة الفرنسية من موقف الروسيا وبينت أن فرنسا أيدت الروسيا فى الصين وفى الحرب الصينية اليـابانية ، وأن العمل الوحيد الذى استطاعت روسيا القيام به إرسال بعض البرقيات الى رئيس الجمهورية الفرنسية وبعض نياشين لمسيــو هــانوتو .

فهمت فرنسا إذن ضعف موقفها وقوة انجلترا على مواجهة الموقف ، ولم يكن غير التسليم فسقطت وزارة بريسون Brisson ، وجاءت وزارة ديبوى Dupuy فى ٢٩ أكتوبر . وفى ٣ نوفمبر قررت فرنسا إخلاء فاشودة .

ولكن إخلاء الفرنسيين فاشودة لم يكن معناه نهاية الأزمة الدولية ، فطالب الفرنسيين لازالت باقية فى بحر الغزال ، ومسألة تحديد الحدود بين السودان

ومستعمرات فرنسا لم تحل بعد ؛ وانجلترا لا زالت سائرة فى استعداداتها الحربية والبحرية ، وألقى سفير انجلترا فى باريس سير ادموند مونسون Sir Edmund Monson خطبة يندد فيها بسياسة فرنسا الخارجية فيقول ، « إن السياسة القائمة على « شك الدبابيس » رغم أنها قد تتيح متعة مؤقتة بالنسبة لوزارة قصيرة الأمد ، إلا أنها ستؤدى بالضرورة إلى ضيق مستمر عبر (القنال الانجليزى) لابد أن تجده أية دولة معتزة بقوتها أمرا غير محتمل » .

وظنت فرنسا أن لندن هى التى أوحت للسفير بخطبته ، وظنت باريس أن الانجليز سيقومون بحرب عدائية . وساد ذلك الظن فى العواصم الأوربية . وكان غرض الانجليز من استعداداتهم تعزيز المعاهدة التى عقدوها مع مصر بشأن السودان ، وهى اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ المشهورة .

ورأى الفرنسيون أنهم لا يستطيعون الاعتماد على الروسيا فى مناوأة انجلترا ، واختلف الرأى فى فرنسا فقال فريق بعقد تحالف مع انجلترا وتسوية المسائل المعلقة ، وبذا يتكون حلف ثلاثى من فرنسا وروسيا وانجلترا . ومن هذا الفريق رجال الأعمال ، لأن انجلترا فى نظرهم أكبر عميل لفرنسا ، وعلى رأسه لانسان Lanessan العالم الاجتماعى الذى تقلد وزارة البحرية حيناوكونت دى شودوردى Conte de Chaudordy وديستورنيل دو كونستان D'estournelles de Constant وريبو Ribot وبول كامبون . وكان دلكاسيه من أنصار ذلك الفريق ، وعلى هذا أرسل كامبون سفيرا الى لندن .

وهناك فريق آخر ينادى بتسوية العلاقات مع المانيا وعلى رأسه كاسانيال Cassagnal وروشفور Roschfort وموراً Maurras يعتقد أن انجلترا هى المحركة لمسألة دريفوس لاضعاف فرنسا ، وكتب كاسيناك يقول « إذا كانت

المانيا موضع الحقد ، فلقد كان ذلك لزمن مضى ، ونستطيع محو ذلك الحقـد ، ولكن حقد انجلترا لن يزول ، فانجلترا هى عدوة الماضى والغد والمستقبل[1].

وحبذت الروسيا رأى ذلك الفريق الذى أيدته بعض الصحف الفرنسية ، وقام الرأى الذى يقول باتحاد أوربا سياسيا واقتصاديا لردع انجلترا : ولكن الروسيا بدأت تخشى زيادة التقارب بين فرنسا والمانيا ، فعملت على التقريب ما بين فرنسا وانجلترا ، ولكن دلكاسيه عمل على الاستفادة من الموقف ، وعمل على إثارة القلق فى انجلترا ، فأوصى أحد أنصاره فكتب مقالة عنوانها . وعرض عام للقانون الدولى العام Revue Général de droit International Public فى ١٨٩٨ عالج فيها العلاقات الفرنسية الالمانية ، وأن مسألة الالزاس ليست صعبة الحل ، وأن فرنسا راضية بمعاهدة فرانكفورت ، وأنها لا تنوى استعادة الالزاس واللورين . وتحدث دلكاسيه مع فون هوهن Von Huhn الألمانى بأن فكرة الانتقام فى فرنسا موشكة على الزوال ، وراح يتناول الغذاء فى دار السفارة الألمانية .

وقبل الألمان ذلك التقرب محتفظين بشكلهم فى فرنسا ، وقد كان دلكاسيه يفكر فى تعويض الألمان بمستعمرة إذا تنازلوا عن الالزاس واللورين . وقامت انجلترا من جانبها بالاتفاق مع الألمان فى مسألة المستعمرات البرتغاليـة ، ودعا القيصر الألمانى لزيارة انجلترا ، وفى ويكفيلد Wakefield أعلن تشمبرلن رغبة انجلترا فى توثيق علاقاتها بألمانيا .

وخشى الفرنسيون عواقب ذلك ورأى كامبون أن تتنازل فرنسا عن مطالبها

---

١ — مجلة التيمز فى ١٤ نوفمبر ١٨٩٤

فى حوض النيـل ، وبذا إتفق الفرنسيون والانجليز فى ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ ، وفيها اعترفت فرنسا بوجود الانجليز فى مصر ، وفى كل وادى النيـل ، وترك لفرنسا المناطق غرب دارفور الى بحيرة تشاد .

على أن الاتفاق مع الفرنسيين لم ينه مسألة السودان ، فلقـد كان كتشنر يحذر الاصطدام بالأحباش ، ولا سيما وأنه يعرف أنهم على استـعداد للحرب ، وما كان الانجليز فى ذلك الوقت مستعدين لإخراج الأجنـاس من شـــرقى حوض النيل . ولذا سعى الانجـليز فاستبعدوا النفوذ الفرنسى من البـــلاط الحبشى ، وذلك نتيجة لمساعى كولونيل هارنجتـون Harrington . وفى ١٥ مايو ١٩٠٢ عقد الانجليز والأحباش معاهدة لتحديد الحدود بـــين الحبشة والسودان .

بقى الاتفاق مع ملك البلجيك . ففى معاهدة مايو ١٨٩٤ كانت الحـكومة الانجليزية قد وافقت على منح ليوبولد طول حياته جانبا كبيراً من الأراضى الواقعة غربى النيل بين فاشودة وبحيرة ألبرت . كما منحت منطقة بحر الغزال لدولة الكنغو . ونظرا لمعارضة الفرنسيين لم يستفد البرت من هذه المنحة . ولما حاول الاستفادة من النزاع بين الفرنسيين والانجليز بالإستيلاء على بعض أراضى النيـل الأعـلى احتجت انجلترا وقامت منازعات بين لندن وبروكسل ، وأصرت البلجيك على التمسك باتفاقية سنة ١٨٩٤ ، وطلبت التحكيم ، ولـكن لندن رفضت ذلك الحل . وفى ١٩٠٢ اقترحت لندن قطع ولاية الكنغو عن النيل وأن تفصل بينهما منطـقة عرضها مائة ميل ، فرفضت البلجيك وقامت الجنود البلجيك باحتلال بعض الأراضى المختلف على مصيرها ، واحتل الانجليز النقـط التى كانت للفرنسيين على بحـــر الغزال ، وكـادت تحدث فاشودة أخرى ، ولكن اتفقت الدولتان فى ٩ مايو

سنة ١٩٠٦ . وبذا تنازل ليوبولد عن مطالبه فى بحر الغزال ومنح طول حياته منطقة من لادو انكلاف Lado Inclave على حافة النيل اليسرى الى ماهاجى Mahagi على بحيرة ألبرت شمالا ، وأخذت انجلترا عليه شرطا كالشرط الذى وضع للأحباش، بألا يبنى أو يسمح ببناء سد على نهر سمليكى أو إسانو Isango وبذا أصبح النيل كله تحت اشراف مصر وانجلترا . وبعد موت ليوبولد أبعدت البلجيك نحوا من مائة ميل عن النيل .



المنافسة الألمانية الانجليزية

هدد الوفاق الثنائى مركز انجلترا فى الشرق الاقصى ، فتقدم الروس فى البامير وشمال الصين ، وتقدم الفرنسيون فى الهند الصينية ، واشترك الفرنسيون والروس والانجليز فى حل عرى الامبراطورية الصينية . وأيدت الروسيا السياسة الفرنسية فى الشرق الأقصى ، وأيدت فرنسا الروسيا فى هذه الجهات أيضاً مما خلق متاعب كبيرة للانجليز .

ووجدت الروسيا عدوا آخر هو اليابان . ولذا يسرع الروس فى إكمال سكة حديد سيبريا . ولم تعمل انجلترا ولا المانيا على وقف المطامع الروسية .

كانت الروسيا وفرنسا تقومان بتوسع سلبى فى الشرق الأقصى ، وانشغل بالهما حينما احتل الألمان كياوشاو فى نوفبر ١٨٩٧ .

التوسع الألمانى كان نتيجة للسياسة العالمية Weltpolitik ، بينما حركة التوسع فى الروسيا وفرنسا كانت ناشئة من فكرة الهيبة الوطنية National prestige ويؤيدهما بعض الساسة الذين ينظرون إلى المستقبل ، وبعض الكاشفين والمستعمرين المتحمسين وبعض رجال المال .

فى انجلترا وألمانيا الحال مختلفة ، فانجلترا أكبر دولة صناعية ومحتاجة إلى المواد الغذائية ، فهى معتمدة على التجارة الخارجية ، وهددت النهضة الصناعية

الألمانية العظيمة مركزها الاقتصادى فى التسعينات . وكانت حاجة ألمانيا إلى الأسواق عظيمة ، ولذا كان تاريخ العلاقات الدولية فى ١٨٩٠ هو تاريخ تحدى الفرنسيين والروس لمركز بريطانيا فى آسيا وافريقية ، وتاريخ الصراع الاقتصادى بين ألمانيا وانجلترا .

وحاجة ألمانيا إلى الأسواق تظهر فى كتابات الاقتصاديين الألمان من أمثال أدولف فاجنر Adolf Wagner وجوستاف شمولت Gustav Schmollet وماكس فبر Max Weber وكانوا يرون أن الحصول على أسواق هو مسألة حياة أو موت لألمانيا .

ونشأ رأى فى انجلترا يقول بأن تعمل انجلترا على ألا يتغلب عليها أحد ، وأدى ذلك إلى التفكير فى الأمور الحربية . كره الانجليز منافسة ألمانيا لهم وكره الألمان عمل الانجليز على التفوق دائما .

وكانت أول أزمة استعمارية فى سنتى ٨٤ - ١٨٨٥ ، وتناست ألمانيا العداوة لانجلترا فى أواخر عهد بسمرك لانشغالها بمسائل القارة - وكان أخذ هليجولند نظير بعض المستعمرات . وفى ١٨٩٤ اعترف بالجامعة الألمانية (All deutsher Pan German League Vergand) ، وهى مؤلفة من أساتذة ومدرسين ورجال أعمال وموظفين . وكان مرماها غرس الروح الاستعمارى فى الشعب الالمانى ومساعدة المستعمرين الألمان فى كل مكان . وانضم جهد هؤلاء إلى جهود الجمعية الاستعمارية Colonial Society والجامعة البحرية Naval League للمطالبة باتباع سياسة عالمية .

وطالبت بتكوين اتحـــاد جمركى من دول أوربا الوسطى ، وتأمل فى ضم هولندة وبلجيكا وسويسرا إلى ألمـانيا بوسائل سلمية مثل الدعاية ونشر الثقـافة وتقوية العنصرية الألمانية .

ولم تكن لهذه الجمعيات عـدد كبير من الممثلين فى الريشستاغ ، ولم تكن عضويتها منتشرة . ولـكن مبادئها ظهرت فى الكتابات السياسية فى ألمانيا من ١٨٩٠ - ١٩١٤ ، وتحدثوا فيها عن تفوق العنصر التيوتونى .

أما فى انجلترا فلقد نالت مؤلفات ماهان Mahan قائد إحدى السفن الأمريكية مثل The Influence of Sea Power on the French Revolution and Empire شهرة كبيرة فى انجلترا ، فماهان قد ناقش موضوع القوة البحرية وبين أثرها الفعال ، كما بحث أسباب عظمة انجلترا وقال بضرورة الاهتمام بالبحرية .

ودعا الانجليز إلى الاهتمام ببحريتهم اهتمام فرنسا والروسيا ببناء الطرادات ، ولم يعارض البرلمـان فى ذلك لأن الرأى العـــام كان يطالب به حتى الشعراء أنفسهم .

وأما فى ألمـانيا فـكانت هناك مطالبة بأسطول للمحافظة على مصالح ألمـانيا الاستعمارية ، وعملت كتابات الأساتذة المؤرخين من أمثـال شافـير Schafer ودلبرك Delbruk على إثارة الاهتمام بالبحرية عن طريق استعادة ذكريات اتحاد الهنزا . ولم يكن الاقتصاديون بأقل اهتماما . وأظهر القيصر اهتمامه بأن جعل رياسة البحرية الألمانية لتربتز Tirptiz الذى يقول عنه لانجر :

« ربما كان أكفأ شخص ظهر فى أية دولة من دول العصر الحديث » .

ووضع تربتز مشروعا مرماه احترام مركز ألمـانيا التجـارى والاقتصادى .

ولقد عمل على استكمال أسلحة الحرب البحرية وخاصة استعمال الطوربيد . ولقد أظهرت مسألة الترنسفال قيمة وجود بحرية كبيرة. ولقد قبل مشروع تربتز في اكتوبر ١٨٩٧ ، ولم يكن الغرض منه بناء أسطول مثل أسطول انجلترا. وأقيمت دعاية كبيرة للبحرية في ألمانيا لجعل الالمان « ذوى عقلية بحرية » .

وزاد من قيمة البحرية لألمانيا أن انجلترا لم تجدد المعاهدة التجارية التي كانت قد عقدتها مع التسلفرين في ١٨٦٥ والتي كانت من شروطها ألا تدفع ألمانيا ضرائب أكثر من انجلترا في تجارتها مع المستعمرات الانجليزية .

وعمل على توجيه ألمانيا إلى الناحية البحرية مقال نشرته Saturday Review في ١١ سبتمبر ١٨٩٧ ، فلقد فهم الألمان منها أنهم إذا لم ينشطوا سيلاقوا مصير هولندة وفرنسا . (كانت انجلترا في قوتها البحرية في ١٨٩٤ على مستوى دولتين) .

كانت سياسة هوهنله وزير خارجية ألمانيا والقيصر الطاغي العمل على استصلاح الروسيا . وكان بلف يعتقد أنه طالما كانت علاقة ألمانيا حسنة بالروسيا فلن تستطيع انجلترا تحديها، ومن هنا كانت زيارة القيصر الألماني هو وهوهنله وبلف للروسيا (بطرسبرج) في ١٨٩٧ .

وكان هناك رأى سائد أن آخر شيء تفعله الروسيا هو أن تقوم بحرب لكي تسترجع فرنسا الالزاس واللورين ، فالروسيا كانت في ذلك الوقت كبيرة الاهتمام بمسائل الشرق الأقصى ، وكان لا مانع عندها من أن تؤيد السياسة الألمانية .

وكا القيصر الألماني يرى تكاتف أوربا للوقوف أمام مطامع انجلترا ومطامع أمريكا ، ونجحت سياسته في المسألة الاغريقية . ولكن أتباعه من أمثال هوهنله

وهلشتين ما كانوا يريدون استبعاد اتفاق مع انجلترا كلية . ولقد ظهر تكاتف القارة فى المسألة الصينية ضد اليابان .

وكانت سياسة ألمانيا فى الشرق الأقصى تعمل على توجيه نظر الروسيا إلى هذه الأجزاء ، كما كانت تعمل على أن تحصل ألمانيا نفسها على قواعد للفحم ولرسو السفن فى الصين .

ولقد حاول القيصر الألمانى إثارة مسألة تكاتف أوربا ضد الفوضوية والنيهلزم . وكان مركز ألمانيا فى الصين يلى مركز انجلترا . ونظراً لعدم وجود قواعد لها فى الصين ، فكان عليها أن تعتمد على حسن نية انجلترا . وكان الاختلاف فى برلين على إختيار القواعد الصالحة لتكون قواعد ألمانية .

وقع اختيار تربتز على كياوشاو ، وعملت ألمانيا على عدم الاصطدام بالدول الأخرى ، فاتصلت بالروسيا أولا فلم تلق منها معارضة ، ثم اتصلت بالصين . وكان الوزير الألمانى هناك فون هيكنج Von Heyking . وجاء قتل راهبين المانيين فى جنوب شانتنج فرصة للتدخل فعول القيصر الألمانى على العمل وإن كان هوهنلهغير متحمس لاتخاذ إجراءات حاسمة فى هذا الموضوع . ولقد شعر القيصر بأن لطمة قد وجهت إلى ألمانيا ، وكان يرغب فى شفى ظمأه للتوسع بإظهار قوة المانيا .

ولقد حاولت الروسيا عرقلة الجهود الألمانية وأن لها هى الحق فى أخذ كياوشاو ، فالتجأت ألمانيا لانجلترا . فلم يثر سولسبرى أى معارضة ، وكان يعرف أن وجود الألمان فى شمالى الصين سيجعلهم يصطدمون بالروس ، وأنزل الأسطول الألمانى قوة فى خليج كياوشاو ، وتراجع الروس عن المعارضة . وأخيراً عقدت

اتفاقية بين الصين وألمانيا تنازلت فيها الصين عن كياوشاو لمدة ٩٩ عاما .

وإصرار الألمان على أخذ كياوشاو جعل الروس يطمحون إلى الاستيلاء على بورت آرثر . وكان الروس يرون التوغل السلمي فى الصين، ثم فرض حماية عليها قبل أن تنهار وتقتسمها الدول .

فتوغلوا اقتصاديا فى كوريا ، وأثار وجود السفن الروسية فى بورت آرثر مخاوف انجلترا واليابان . ووجد تنازع فى الرأى فى انجلترا ، فسولسبرى يفضل سياسة الانتصار، وتشمبرلن يرى الإسراع بعقد تحالف مع اليابان .

وكانت سياسة انجلترا الصينية هى المحافظة على كيان الصين فمصالح انجلترا فى هذه الأقطار تجارية . ولكن انجلترا بجانب ذلك لم تكن تعارض فى استيلاء الدول الأخرى على مناطق ساحلية .

ولقد قام النزاع بين انجلترا والروسيا على مسألة الصين ، وكانت ألمانيا تعطف بوجه عام على سياسة الروسيا . ولما أصرت الروسيا على الاستيلاء على بورت آرثر، اتفقت انجلترا مع الصين على أن تأخذ انجلترا واى هاى واى، ولم تبد انجلترا مانعا فى أن تأخذ اليابان تعويضا إذا أرادت .

وأما فرنسا فقد لعبت دوراً ثانويا فى هذه المسائل، وإن كانت قد احتفظت لنفسها بحرية العمل فى القسم القريب من تنكن وأخذت لنفسها كوانجشوان .

ولقد أثار فزع انجلترا النشاط الأوربى ١٨٩٨ فى الصين ، وخشيت أن تفقد أسواقها فى هذه البلاد . وانتقد الرأى العام ألذع انتقاد سياسة سولسبرى وسياسة تقسيم الصين ، مما دعا الحكومة إلى اتباع سياسة حازمة إزاء الصين وإلى أخذ امتيازات من حكومتها . ولكن الروسيا وبلجيكا وفرنسا حذت حذو انجلترا .

وهذا دعا إلى التفكير الجدى فى أن تعمل انجلترا على عقد محالفات جديدة، ففكر تشمبرلن فى توثيق الصلات بالولايات المتحدة لتقوية مركز انجلترا فى الشرق الاقصى . وأيد الرأى سولسبرى وروزبرى وبلفور . وكان فى أمريكا شعور بضرورة توثيق الصلات بانجلترا ، وعلى رأس الفكرة تيودور روزفلت وماهان، وسناتور، ولودج . ولكن إقامة اتحاد كانت مستحيلة فى ذلك الوقت لأن علاقة روسيا بأمريكا كانت جيدة .

وفكر تشمبرلن مرة أخرى فى عقد إتفاق مع اليابان- وكانت اليابان تعمل من جانبها على وقف النفوذ الروسى والمحافظة على كوريا . ولذا يتصل تشمبرلن بكاتو السفير اليابانى وتجرى مفاوضات، وإن كان فى اليابان من لا يعضد الفكرة من أمثال اوتو Ito الذين يخافون أن تتحمل اليابان وحدها عبء الحرب مع الروسيا .

وأما ألمانيا فلم تكن ثقتها بإنجلترا كبيرة ، ثم لأن الرأى العام فى كلا البلدين لم يكن صديقا للآخر . وألمانيا كانت تطالب دائما بإقرار مسألة توجولند، وساموا وغيرهما . واضطرت الحكومة الانجليزية أن تعدل من لهجة صحفها إزاء ألمانيا. فتحسنت نوعا ما العلاقات، لأن عدم معارضة إنجلترا فى أخذ ألمانيا لكياوشاو عمل على تحسين هذه الحالة .

ولقد حاولت إنجلترا عقد إتفاق مـــع ألمانيا، وفعلا قامت مفاوضات بين تشمبرلين والسفير الألمانى هاتسفلت ويظهر أن بقية أعضاء الوزارة كانوا يشاطرون تشمبرلين رأيه فى عقد إتفاقية مع ألمانيا ، ولكنهم لم يكونوا متحمسين لذلك إلى درجة عقد تحالف . وكان تشمبرلين يرمى إلى عقد تحالف دفاعى لمدة معينة، وكان هاتسفلت من جانبه ـ ولو أنه يبغض تشمبرلين شخصيا ـ يعمل على عقد

تحالف مع انجلترا على شرط أن يوافق البرلمان على ذلك وبذا تجد الحكومات الانجليزية نفسها مرتبطة .

وكان بيلوف يرى أن مصلحة ألمانيا فى عدم أضعاف انجلترا ليحفظ التوازن الدولى أمام الروسيا وفرنسا . وكان يرى أن تقر انجلترا أمورها مع الروسيا حتى لا يضطر الروس إلى الالتجاء إلى فرنسا . ولكن وزارة الخارجية الألمانية لم تظهر تحمسا شديدا لفكرة التحالف مع إنجلترا .

[ولقد أعلن هاتسفلت أنه ليس من مصلحة ألمانيا إضعاف انجلترا من الوجهة البحرية ، وأن ألمانيا لاتدخل فى تحالف ضد انجلترا . وأنه يجب وقف التقدم الروسى فى منشوريا ، وأن تقسم الصين إلى ثلاث مناطق روسية وانجليزية وألمانية .

ففرض تشمبرلن إذن تكوين تحالف دفاعى ضد الروسيا فى الصين، ولم تجد برلين حماسا كبيرا لمثل ذلك المشروع . وكانت ترى أنه إذا رفض البرلمان الانجليزى معاهدة انجليزية ألمانيا ساءت العلاقات الروسية الألمانية ، ولذا كانت خطتها دائما الانتظار . ولقد أراد بلفور جس نبض البرلمان فأعلن أن مصالح إنجلترا وألمانيا واحدة فى الشرق الأقصى . وأيد جراى وغيره من الزعماء كلام بلفور فى ضرورة ترك سياسة العزله .

ولقد اتفق بلفور مع هاتسفلت على تمهيد الطريق لموافقة البرلمان على معاهدة ألمانية إنجليزية بتوجيه الرأى العام فى البلدين . لأن الرأى العام الانجليزى مازال مغضبا من ناحية ألمانيا، بل إن بعض الصحف مثل Saturday Review كانت لاتزال تقول بأن العدو الحقيق لانجلترا فى الشرق الأقصى هو ألمانيا . وكذلك موقف التيمز لم يكن وديا.

أما موقف الصحافة الألمانية فكان مختلفا فقد أيدت فكرة الاتفاق مع انجلترا، ولكنها رفضت أن تقف موقفا عدائيا إزاء الروسيا. وكذا كان موقف القيصر الذى أعلن بأنه لا يوجد حائط الصين بين الروسيا وألمانيا. وبلوف كان يرى أن تبقى ألمانيا مستقلة بين انجلترا والروسيا تحفظ التوازن، ولم يكن عند هتسفلت مانع من إحياء اتفاقية البحر المتوسط ١٨٨٧ . ولكن تشمبرلين أصر على عقد تحالف ألمانى انجليزى ضد الروس فى الصين . واعتبر الألمان أن مثل ذلك المشروع لم ينضج بعد ، وأرادوا الاقتصار على توثيق العلاقات الطيبة مع انجلترا . وبهذا انقطعت المفاوضات .

ويلاحظ أن مفاوضات تشمبرلين كانت شخصية، ولكن سولبرى كان موافقا عليها، وإن لم يكن يرى أن الموقف فى الصين خطر كما يراه تشمبرلين . وكان كلا الرجلين يود الوصول إلى إتفاق مع الروسيا فى مبدأ الأمر، ولكنهما فشلا، فحاولا الاتفاق مع الولايات المتحدة واليابان وألمانيا . وبعد فشل عقد التحالف مع ألمانيا اتجه نظر انجلترا مرة أخرى إلى الولايات المتحدة .

أعلنت ألمانيا أنها لا تدخل فى حرب مع الروسيا لإرضاء انجلترا . ولقد أعلم القيصر الألمانى القيصر الروسى بما عرضته انجلترا على ألمانيا ، ورد القيصر الروسى بما عرضته انجلترا على الروسيا قبل ذلك (وكلا القيصرين يريد المساومة بطبيعة الحال) وألمانيا فى ذلك الوقت لم تكن مهددة بالتحالف الفرنسى الروسى .

اختلفت انجلترا وألمانيا إذن لأسباب منها أن اهتمام ألمانيا الأول كان

بصيانة حدودها هى -وأن إهتمام انجلترا كان متعلقا بمركزها من العالم، وأنها تريد وقف الروس فى آسيا والألمان يشجعون ذلك لإبعاد نظر الروسيا عن أوربا ، ولإعراض ألمانيا عن انجلترا فى ذلك الوقت سيوثق العلاقات بين انجلترا والولايات المتحدة .

جاء بعد ذلك الاتفاق بين انجلترا وألمانيا على مسألة المستعمرات البرتغالية ، وكانت كل من الدولتين تطمع فيها، وكل من الدولتين تخشى تدخل الأخرى .

قانون البحرية الألمانية

كان لقانون البحرية الألمانية سنة ١٩٠٠ أثر كبير فى العلاقات الألمانية الانجليزية ، فلقد قرأ ربل Rebel فى مجلس الريشستاج مقالات كتبها بعض رجال البحرية الألمانية بأن الأسطول الألمانى يجب أن يكون قويا بدرجة يستطيع معها مناضلة إنجلترا . ولقد أعلن بيلوف أنه حتى إذا نفذ هذا القانون فستصير البحرية الألمانية فى المركز الرابع أو الخامس ، وأن ألمانيا لا تفكر فى إعتداء على انجلترا[١] .

ولكن تأكيدات الحكومة الألمانية لم تعمل على محو المخاوف الانجليزية ، وذلك للاهتمام الكبير الذى أظهره القيصر بالمسائل البحرية ، ولأن تربتز إهتم بألا يكون لألمانيا بحرية دفاعية فحسب بل وهجومية أيضا . ولذا فإن انجلترا تزيد اهتمامها بالأمور البحرية وذلك بإنشاء قاعدة بحرية كبيرة فى Rosyth وبناء أربع سفن حربية كل عام ، والاهتمام بتركيز الأسطول فى المياه الانجليزية[٢] .

ولقد زاد الاهتمام فى ألمانيا بالأسطول نتيجة لإن الرأى العام الانجليزى كان يزيد فى هجماته على ألمانيا ، وخطب بعض رجال الحكومة الانجليزية من أمثال آرثر لى Arthur Lee مما دعا الحكومة الألمانية إلى الاحتجاج، ودعا الرأى العام الألمانى إلى أن يخشى هجوما مفاجئا من إنجلترا حتى لقد قال تربتز[٣] فى مذكراته بأنه من الضرورى أن تأخذ ألمانيا احتياطاتها .

---

١ — أنظر Reden ٢ يناير ١٩٠٣ .

٢ — Gooch ص ٤٤٨ .

٣ — Ch. 15 .

وزاد القلق فى كل من الدولتين نتيجة للمشروعات البحرية التى تضعها الدولة الأخرى .

ولقد حاولت الحكومة الانجليزية تهدئة خواطر ألمانيا بأن أعلنت بأنها ستخفف قليلا الاهتمام بإنشاء سفن حربية ، وكانت تنتظر أن تقوم الحكومة الألمانية بخطوة مماثلة . ولكن الحكومة الألمانية لم تفعل . وكانت انجلترا تود لو نوقشت مسألة التسليح البحرى فى مؤتمر لاهاى . ولكن ألمانيا رفضت .

ثم جاء عقد التحالف الانجليزى الروسى فى أغسطس ١٩٠٧ .

على العموم تلا ذلك زيارة القيصر الألمانى لانجلترا فى نوفمبر والحفاوة التى قوبل بها ، حيث تبودلت خطب تؤكد الصداقة بين الدولتين ، ولو أن وزير الخارجية الانجليزية أكد لفرنسا تمسك انجلترا بالتحالف معها ، مما عمل دون شك على التقليل من قيمة هذه الزيارة . ولهذا لم تكن للزيارة قيمة سياسية كبيرة لأنه لما أعلن وزير الخارجية الألمانية شون Schon لم تكن هناك رغبة لبدأ مفاوضات ذات بال ، كان الامبراطور يهتم بمسألة سكة حديد بغداد ، ولكن إنجلترا رفضت التعاون مع ألمانيا .

كان القيصر يرغب فى ذلك التعاون ، ولما أظهرت انجلترا خوفها من إتمام ذلك المشروع لم يكن لدى القيصر مانع فى أن يشرف الانجليز على مدخل الخليج العربى ، ولكن الانجليز الذين أظهروا بعض الترحيب بهذه الفكرة أصروا على ضرورة إشراك حلفائهم معهم فى المفاوضات للوصول الى ذلك الغرض . ورفض الألمان ذلك بحجة أن إشراك الدول الاخرى سيزيد الأمور تعقيدا . ثم لأن ألمانيا وجدت أنه لو عقد مؤتمر من هذا النوع فستجد نفسها وحيدة امام الدول الثلاث .

ثم أظهرت انجلترا مرة أخرى رغبتها فى مناقشة الأمور البحرية مع ألمانيا

وبينت ضرر المنافسة ، ولكن القيصر رفض أن تتدخل انجلترا فى مشروعه البحرى . وكان يشاركه ذلك الرأى رجال حكومته . ولقـــد حاولت انجلترا أن تستعين بالنمسا لتقنع صديقتها بأن تتريث فى مشروعها البحرى . ولكن أهرنتال Ahrenthal رفض التدخل (وذلك فى زيارة ملك إنجلترا لقيصر النمسا) .

ولقد ظنت النمسا أن إنجلترا تريد زعزعة التحالف الثلاثى .

وعلى أى حال كان الشعور السائد فى انجلترا هو العداء لألمانيا وخشية زيادة قوتها البحرية ، وقامت إنذارات كثيرة توضح ذلك الخطر ، وتطالب بتوثيق العلاقات مع الروسيا وفرنسا ، والمطالبة بوضع نظام التجنيد الاجبارى . فـكما يقول لورد روبرتس Robert فى ٢٣ نوفمبر فى مجلس اللوردات:

" إن أمامنا الآن واحدا من أغرب المناظر التى شهدناها على الاطلاق . فعلى بعد ساعات قليلة بالباخرة من شواطئنا ، يوجد شعب تعداده أكثر من ستين مليون نسمة ، هو أشد خصومنا فى التجارة وفى القوة العسكريه ؛ وهو يشكل قوة بحرية تتزايد بشكل سريع . بينما لا نتخذ نحن أية إحتياطات عسكرية ردا عـــلى ذلك . إن الالفاظ وحدها لا يمكن أن تعبر عن المسئولية التى تقع على عاتق الهيئة التشريعية . ان مستقبل الامبراطورية أمانة فى عنقنا . وإن إعتقادى الراسخ هو أننا ، بدون تنظيم عسكرى أكثر كفاية لمجابهة بعض الأخطار المعينة التى تنتظرنا فى المستقبل ، فإن إمبراطوريتنا ستهوى من بين أيدينا ، وستذهب قوتنا إلى الأبد . "

ولـكن كبير الادميرالية السير جون فيشر John Fisher كان يقترح علاجا ، فلقد كان موقنا بأن حربا ألمانية إنجليزية ستقع لا محالة . وتنبأ أن هــذه الحرب ستقع فى سنة ١٩١٤ . ويرى أن خير وسيلة أن تضع انجلترا أيديها بالقوة عـلى

1 - Gooch p. 443

الأسطول الألمانى ، ولكنه لم يبحث ذلك المشروع مع مجلس الوزراء الأخير ، بل أدلى بذلك الرأى للملك ، ولكن هذا العلاج لم ينفذ .

وكان الألمان يرون أنه لا داعى لظهور كل هذه المخاوف فى انجلترا فالأسطول الألمانى لم يقو بعد . ولا يمكن أن ينافس أسطول انجلترا ، وأن الدول الاخرى تقوم بمشاريعها البحرية وتنفذها بكل عزم .

وكان فريق منهم يرى أن انجلترا ستعتاد رؤية أسطول ألمانى كبير لألمانيا . وكان ترپتز ، نفسه مستعدا بأن يجعل مشاريعه البحرية تعطى انجلترا دائما التفوق المستمر . وأعلن بيلوف أن بناء الأسطول الألمانى إنما هو للدفاع عن السواحل الألمانية وعن التجارة الألمانية[1] .

وكان التحدث عن حرب بين الدولتين قد أصبح أمراً عاديا فى كل من الدولتين . ولكن حدة الأزمة قد خفت بزيارة ملك انجلترا وملكتها لبرلين فى فبراير ١٩٠٩ . وقد أثار تقدير مصروفات البحرية الانجليزية ذعراً شديداً ، فلقد طالبت الحكومة بزيادة قوة البحرية زيادة كبيرة ، وذلك بناء على المبالغة فيما قد يكون لألمانيا من قوة بحرية فى سنة ١٩١٢ . والإشارة الى خطر البحرية الألمانية سواء من رجال الحكومة أو من غيرهم .

ورأى الألمان أن يقوموا بدورهم فى السياسة العالمية[1] Weltpolitik ، وكان بيلوف مع القيصر فى هذه المسألة . وكان القيصر محاطا بفريقين من رجال السياسة ، البعض ينظر الى الأطلنطى ، والفريق الآخر ينظر الى الدولة العثمانية .

1- Gooch P. 444

٢- بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين . ترجمة د. نور الدين حاطوم ص ١٠ .

وكان على ألمانيا أن تختار بين الاثنين ، فكانت النتيجـة الاصطدام بانجـلترا من ناحية وبالدولة الروسية من ناحية أخرى .

ولقد حل محل بلوف فى يوليو ١٩٠٩ بتمان هولفج Bethmann Hollweg فوجد أن ألمانيا سائرة فى خطتها البحرية ، وأن انجـلترا متضـامنة مع فرنسـا والروسيا وأن العلاقات بين المانيا وانجلترا متوترة .

وكانت الصلة بين الوزير الجديد وتربتز غير ودية ، فكان تربتز يرى فيه مثلا لقلة الخبرة والثقة ، فكان تربتز يرى فى بلوف غير معاون له فى تنفيـــذ مشروعاته البحرية . ويجد فى الثانى عرقلة لهذه المشاريع . وربمـا كانت سيـاسة بتمان العمل على حياد انجلترا إذا ما قامت حرب اشتركت فيها ألمانيا . وكان غير كبير التحمس للأسطول الذى كان يجد فيه مثيرا لعداوة انجلترا . يرى أن الجيش يعمل على حفظ السلام ، وأن الأسطول يعمل على إثارة الحـرب . وإذا كانت ألمانيا لا تستطيع فصم عرى التحالف الروسى الفرنسى فهى تستطيع إبعاد خطره بالاتفاق مع انجلترا ، ولذا بدأ بمفـاوضات مع انجلترا سير ادورد جـوشن Sir Ed, Goschen. ولـكنها لم تؤد لنتيجة ، لأن الوزارة الانجليزية لم تظهر اهتماما كبيرا بها ، ولأن وزارتى البحرية لم تنجحا فى الوصول الى اتفاق . فلقد كانت اقتراحات بتمان غامضة ،وكان يرى أن تتريث المانيا قليلا فى تنفيـذ مشـــروعها البحرى . ووجدت انجلترا أن مقترحاته لا تعمل على تخفيض برنامج قـــوة المانيا تخفيضا يذكر .

[كان بتمان يرى أن تتفق الدولتان على ألا تهاجم احداهمـــا الأخرى ، وأن تقف كل منها موقف الحياد إذا قامت حرب بينها و بين دولة أودول أخرى.

لم يكن لدى انجلترا بطبيعة الحال معارضة للمسألة الأولى . ولكن المسألة الثانية مسألة خطيرة ، فهى مرتبطة بعهود مع الدول الأخرى ، ولذا رفضت انجلترا مقترحات الحكومة الالمانية .

وربما كان تربتز مستعدا لتخفيض مشروعه للاتفاق مع أنجلترا ، فقد كان مشروعه يرمى الى أن تكون قوة ألمانيا بالنسبة لانجلترا ٣ : ٤ ثم جعلها ٢ : ٣ ، ثم استقر على ١٠ : ١٦ . ولكن تربتز كان يرى أن مشروعات بتمان مقضى عليها بالفشل ، فلقد كان يعتقد أن الانجليز لا يرضون إلا بقوة بحرية ألمانية ظاهرة الضعف بالنسبة لأسطولهم .أو على الأقل سحب مشروعهم البحرى.

وفى مايو سنة ١٩١٠ زار القيصر الالمانى انجلترا لحضور جنازة ملك انجلترا ادوارد . ثم بدأت مفاوضات أخرى وأعلنت الحكومة الانجليزية رغبتها فى مناقشة النقاط التالية :

أولا : التريث فى تنفيذ المشروع الالمانى .

ثانيا : الوصول الى اتفاقية بحرية على أساس أن المشروع الألمانى الموجود لا يزاد فيه ، وتبادل المعلومات عن السير فى بناء السفن .

ثالثا: التأكيد للحكومة الالمانية بأن التعهدات الانجليزية ليست موجهة ضد ألمانيا

لم تستطع المانيا الموافقة على النقطة الأولى (بعد أن كانت قد بدأت رغبتها فى مناقشتها) ، ووافقت على تبادل المعلومات عن عملية البناء البحرى . اما عن مسألة عدم الزيادة فى المشروع الالمانى فلقد طلبت المانيا من انجلترا عما ستعمله انجلترا نظير ذلك . وفى اثناء مناقشة انجلترا للمقترحات الألمانية أعلن القيصر للسفير الإنجليزى ان المانيا لا تستطيع ان تعد بعدم الزيادة فى قوتها البحرية . فظهر اذن الاختلاف بين موقف الحكومة الالمانية وموقف القيصر . ثم تلا ذلك

زيارة القيصر للملك جورج لإزاحة الستار عن نصب الملكة فيكتوريا التذكارى وربما كانت تتحسن الحالة قليلا لو لم يحدث حادث أغادير .

مؤتمر الجزيرة ١٩٠٦

اشتد النزاع بين فرنسا وبريطانيا بعد احتلال الأخيرة لمصر ، الى درجة أوشكت معها الحرب أن تقع بين الدولتين فى حادثة فاشودة ١٨٩٨ . ولكن نظرا لتخلى الروسيا عن مساندة فرنسا فى اصطدامها بانجلترا رغم مابينهما من تحالف أقنع فرنسا ،لاسيا الوزير الفرنسى دلكاسيه Delcassé بضرورة تسوية المشاكل المعلقة بين الدولتين بالطرق الودية ، لأن بريطانيا ليست عدوة لفرنسا مثل المانيا، وأن أمن فرنسا وسلامتها مرهونان بتحقيق معاهدة تحالف مع بريطانيا من جهة والروسيا من جهة أخرى . وقد أدى هذا التقارب الى نتيجته المنطقية ، ألا وهى عقد الاتفاق الودى بين الدولتين فى إبريل سنة ١٩٠٤ .

وتم هذا الاتفاق على أساس أن تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر فى مقابل اطلاق حرية فرنسا فى العمل فى مراكش ، على أن تحتفظ الدولتان بالساحل الشمالى الغربى لمراكش لأسبانيا . ووقعت فى أكتوبر سنة ١٩٠٤ معاهدة بين اسبانيا وفرنسا بهذا الخصوص، تعترف فيها اسبانيا بمركز فرنسا الخاص فى مراكش، فى نظير وضع يدها على شمال غربى مراكش أو ما يسمى بمنطقة الريف .

استاءت ألمانيا لعقد هاتين المعاهدتين واعتبرت ذلك تحدياً لها وإهمالا لشأنها . كما أنها أرادت أن تقوم بعمل ما تختبر فيه قوة الاتفاق الجديد بين انجلترا وفرنسا . فقام فلهلم الامبراطور الألمانى بزيارة ميناء طنجة فى مارس سنة ١٩٠٥ متحديا بذلك الدولتين ، وخطب خطبة ندد فيها بتصرف انجلترا

وفرنسا ، ودعا الدول باحترام استقلال وسيادة مراكش . وطلب فى نفس الوقت بعقد مؤتمر فى الجزيرة فى يناير سنة ١٩٠٦ لبحث مسألة مراكش .

وفى مؤتمر الجزيرة لم تلق المانيا نجاحا يذكر فلقد وقفت فرنسا وانجلترا وايطاليا فى جانب ، ووقفت المانيا والنمسا فى الجانب الآخر . وقرر المؤتمر فى نهاية الأمر اتباع سياسة الباب المفتوح لجميع الدول من الناحية الاقتصادية . وفى نفس الوقت اعترف أعضاء المؤتمر بما لفرنسا فى مركز خاص فى مراكش بحكم مجاورتها لممتلكات فرنسا فى شمال إفريقية ولارتباط المصالح بين الدولتين .

ولم يكن لهذا المؤتمر من نتيجة سوى تشجيع فرنسا على مواصلة سياستها فى التدخل فى شئون مراكش تنفيذا لخططها الاستعمارى فى شمال افريقية .

حادث اغادير

بعد مؤتمر الجزيرة لم تتحسن العلاقات الالمـانية الفرنسية ، ولم تتحسن الحالة فى مراكش ، فالاعتداء على بعض الرعايا الفرنسيين فىطنجة وفى مراكش دعا فرنسا إلى إتخاذ إجراءات حربية على الحدود الجزائرية ، وضرب الدار البيضاء بالقنابل . وثار مولاى حافظ على أخيه عبد العزيز فى الجنوب ، وأعلن نفسه سلطانا فى فاس فى يناير ١٩٠٨ . ثم تغلب حافظ واعترفت بـه الدول على أساس احترام معاهـدة الجزيرة . ولكن ملكه لم يستقر للثورات التى قامت عليه .

ثم قام نزاع بين قومندان ميناء كازابلنكا الفرنسى والقنصل الالمـانى بشأن بعض الهاربين من « الفرقة الاجنبية » ، ووصل الامر إلى الحكومات ، فقام نزاع بين الحكومتين الالمـانية والفرنسية ، قبلت على أثره الحكومتان مبدأ التحكيم . ثم عادت الحكومة الالمانية فطلبت معاقبة المسئولين الفرنسيين فى الميناء ، وأخذت على عاتقها معاقبة قنصلها بعد ذلك . ولكن فرنسا أصرت على التحكيم وأيدتها انجلترا فرنسا وكذا الروسيا . ولكن محكمة لهاى أوقعت المسئولية على السلطات الالمانية القنصلية فى الدار البيضاء .

ولقد أعلنت المانيا أن مصالحها فى مراكش اقتصادية ، وبذا عادت الصداقة بين الدولتين مرة أخرى . ولكن فرنسا لم تكن لتذهب فى الصداقة لالمـانيا أبعد من معاهدة الجزيرة . وفهمت ألمانيا أن لها الحق فى أخذ امتيازات لمشاريع اقتصادية مثل ما لفرنسا . وثارت الصعوبات نتيجة لذلك .

وفى تلك الاثنـاء ساءت العلاقات الفرنسية المراكشية نتيجـة لسوء الحـالة

المالية واستدانة الحكومة المراكشية ، وساءت العلاقات الفرنسية الألمانية حينما علمت ألمانيا باشاعات عن رغبة فرنسا فى استعمال القوة فى مراكش ، وأعلنت فرنسا أنها تحترم معاهدة الجزيرة . ولو أن الصحف الفرنسية أعلنت أن فرنسا ستجعل مراكش مثل تونس . فأعلنت الصحف الألمانية أنه إذا لم تحترم فرنسا معاهدة الجزيرة ستصير لدى كل الدول حرية العمل . ولكن انجلترا قبلت وجهة النظر الفرنسية بأن تساعد فرنسا السلطان، ثم تسحب جيوشها بعد ذلك.وقامت مفاوضات بين ألمانيا وفرنسا بشأن تعويض لألمانيا إذا تركت مراكش لفرنسا. وفى أثناء ذلك أرسلت ألمانيا سفينة حربية هى بانتر Panther لمساعدة الرعايا الألمان هناك ضد بعض القبائل المجاورة . هذا ما قالت به ألمانيا فى مذكرتها . كما أعلنت أن السفينة ستسحب بعض الرعايا حماية لهم ، ثم لتهدئة الرأى العام فى ألمانيا . لم تقتنع فرنسا بهذا التفسير .

لقد كانت ألمانيا تعمل على إرغام فرنسا لقبول فكرة التعويض [1] ولكن إرسال السفينة البانتر أحدث رجة عنيفة فى كل من باريس ولندن ، فلقد رأت انجلترا منع ألمانيا من أن تكون لها قاعدة بحرية فى الأطلنطى . فى مراكش ، فأعلنت لألمانيا أن معاهدة الجزيرة قد اعتدى عليها ، فردت ألمانيا بأن سير الجنود الفرنسيين إلى فاس قد قضى عليها .

ولكن جراى رأى أن ألمانيا قد انتهكت هذه المعاهدة ، إذ كان لا يرى فى الخطة الفرنسية إعتداء عليها . وأعلنت أن موقفها إزاء مراكش لا بد من أن يتأثر بالتزامات انجلترا نحو فرنسا ومصالح انجلترا نفسها .

1 -Gooch, P. 472

وفى ٩ يوليو بدأت المناقشات بين وزير الخارجية الألمانية كدرلن وتشتر Kiderlen Wachter وجيل كامبون استمرت أربعة شهور . وأعلن وزير الخارجية الألمانية أن ألمانيا مستعدة لأن تتنازل عن حقوقها فى مراكش نظير تعويض فى الكنغو . وفى أثناء ذلك كانت انجلترا قد أعلنت أن أغادير قد غيرت الموقف . وكان يخشى من انقطاع المفاوضات بين ألمانيا وفرنسا، فتشاورت انجلترا وفرنسا فى الأمر .

وقد أعلنت انجلترا لألمانيا عن خشيتها من تعقد الموقف بوجود السفينة الألمانية فى أغادير ، ولكن قبل أن تجيب ألمانيا أعلن لويد جورج أن سياسة الحكومة يجب أن تكون الحرب إذا لم يكن لانجلترا الرأى الاول فى حسم المشكلة . ولم يرض أعضاء الوزارة عن خطبة زميلهم دون استشارتهم . ورأى الألمان أن فى ذلك أهانة لهم ، وأن انجلترا مستعدة للوقوف أمام مصالحهم ومطامعهم الاستعمارية ، وطالبت بعض الصحف الالمانية بإعلان الحرب كرد لإهانة انجلترا، وأرسلت الحكومة الألمانية بتفسيرها للموقف واحتجاجها على خطبة لويد جورج.

وكانت مقابلة عاصفة بين وولف مترنيخ Wolff Metternich السفير الألمانى وسير ادوارد جراى . ولكن العاصفة سرعان ما مرت بسلام ، وأعلن رئيس وزارة انجلترا عن رغبة الحكومة الانجليزية فى نجاح المفاوضات الألمانية الفرنسية . واعتدلت الحكومة الألمانية فعدلت من مطالبها ، ولو أن المفاوضات كانت صعبة، وكانت منذرة بخطر الحرب من حين لآخر . واتفقت الدولتان فى ١١ اكتوبر على حماية فرنسية على مراكش وتعويض ألمانيا فى الكنغو الفرنسية. وفى ٤ نوفبر امضيت المعاهدة ، وكانت فى صالح فرنسا إلى حد كبير . فلقد نالت فرنسا كل ما كانت تريد فى مراكش . ولو ان هذه المعاهدة لم تعقد

لأصبحت مراكش دولية إلى حد بعيد .

لم تلق هذه المعاهدة قبولا حسناً فى برلين ، فلقد استقال وزير المستعمرات لندكويست Lindequist إحتجاجا إزاء سخط الرأى العام على الحكومة لجبنها ، وعلى انجلترا لمساندتها لفرنسا . ورأى أن أساس الأزمة اتفاق انجلترا وفرنسا فى ١٩٠٤ دون اشتراك ألمانيا .

وأما فى انجلترا فلقد أحدثت الاتفاقية إرتياحا كبيراً . وكان من نتائج أغادير إعتداء ايطاليا على طرابلس .



الفصل الثالث عشر

ممهدات الحرب العالمية الأولى

صاحبت محاولة تربتز زيادة القوة البحرية الألمانية عن طريق مشروع بناء سفينتين حربيتين محاولة أخرى من جانبه لتحسين العلاقات مع انجلترا . لاسيما وأن التعاون الروسى الانجليزى فى فارس لم يكن سائرا على ماتروم انجلترا . فكان جراى يعطف على الحركة القومية الدستورية فى فارس، بينما الروسيا لم تكن تقف مثل ذلك الموقف ، فلم تكن تعطف على هذه الحركة ولا تعتقد فى نجاحها .

ولكن انجلترا لم تستطع أن تبالغ فى احتجاجاتها على الروسيا ،وكان الروس يعرفون أن لانجلترا مصالح حيوية فى أوربا تمنعهم من الاصطدام بالروسيا فى آسيا، ولذا غالوا فى فرض مطالبهم على طهران بدرجة أقلقت بالسيرادواردجراى الذى رأى أنه إذا لم تتمكن الدولتان من التعاون فى طهران كان معنى ذلك نهاية التفاهم مع الروسيا .

وهذا دعا الى الاتصال ببرلين ، ووجدت الرغبة فى زيارة جراى لها،ولكنه قرر إرسال بعثة لورد هولدين Lord Holdane . وفى ٨ فبراير وصل لورد هولدين ، فأكد للمستشار الالمانى أن انجلترا لم تعقد معاهدات حربية سرية . وبين للالمان ضرورة تعديل مشروعهم البحرى إذا أرادوا صفاء العلاقات مع انجلترا . وبين المستشار لهولدين ضرورة وقوف الدولتين على الحياد إذا وقعت واحدة منها فى حرب مع دولة أخرى ، فلم يستطع الانجليز الموافقة على ذلك

لارتباطهم مع فرنسا والروسيا واليابان وبلجيكا والبرتغال . واقترح هولدين محل ذلك أن تتفق الدولتان على ألا تدخل أحدهما فى حلف اعتدائى ضد الأخرى [١] . وكان هولدين يخشى أن يصبح النفوذ الأعلى فى يد أشخاص طموحين ، وأن يستمر الألمان بسرعة فى إنجاز مشروعهم البحرى . ولقد بين جراى فى مفاوضاته مع السفير الألمانى عقب رجوع هولدين اهتمامه بتحسين العلاقات مع ألمانيا .

ولكن الألمان لم يكتفوا بمسألة حياد انجلترا فى حالة الاعتداء عليهم ، فكانوا يرون أن انجلترا ترى أن واجبها الأول هو نحو فرنسا والروسيا . وردت انجلترا على المشروع الألمانى بوضع مشروع بحرى لزيادة قوة أسطولها ، وتوثيق الصلات الحربية بفرنسا . واجتمع الخبراء الانجليز بالفرنسيين . واعتقد الفرنسيون أن انجلترا قد أخذت على عاتقها تماما مساعدة فرنسا حربيا إذا هاجمتها ألمانيا ، وإن كان فهم الانجليز لهذه المسألة لم يصل إلى هذا الحد .

أما عن مسألة الروسيا فيقول Gooch [٢]

« وهكذا نتورط فى معارك وأطماع لدولة بعيدة لا سلطان لنا على سياستها » .

تلبدت سماء البلقان بالغيوم فى سنة ١٩١٢ ، فلقد مات اشرنتال Achrenthal الذى عمل على حفظ السلام فى وسط أوربا ، وكان خليفته Berchtold غير كفء وعنيد .

1 - Gooch. P. 494 - 495

2 - Gooch P. 499.

وتكونت عصبة بلقانية لمهاجمة وتقسيم تركيا . فبعد أزمة البوسنة كان الصرب في حالة ثورة على النمسا وعلى الطريقة التي تعامل بها رعاياها اليوغوسلافيين. ولذا حاولت مرارا أن تحرز صداقة بلغاريا. ثم وجدت بلغاريا من صالحها الاتفاق مع الصرب. وكان الوزير البلغاري جويشوف Gueshoff الميال إلى الروسيا واضع أساس الاتحاد البلقاني لغرض مهاجمة تركيا ، ثم بعد ذلك محاولة مهاجمة النمسا . وكان ثائرا على الأتراك لسياستهم ، سياسة تركيا الناهضة بالمقدونية ، فزار بلغراد في أكتوبر ١٩١١ حيث وجد ترحيبا كبيرا . واشتركت الروسيا في توثيق الصلات بين الدولتين . وعقدت معاهدة في باريس في ١٩١٢ تضمن سلامة أراضي الدولتين ، وتعد بالمساعدة المتبادلة إذا حاولت دولة كبيرة ضم أو احتلال أي جزء من أجزاء البلقان التركي . وألحق بالمعاهدة ملحق سري يضمن العمل المشترك (إذا ما وافقت عليه الروسيا) في حالة وقوع اضطرابات في الدولة العثمانية . وحددت الغنائم وتركت منطقة في وسط مقدونية لتحكيم القيصر الذي أعطى حق التحكيم في الفصل في الخلافات بين الدولتين . ثم عقد تحالف حربي في ابريل من نفس هذه السنة بين الشروط ، شروط المساعدة المتبادلة في حالة هجوم من تركيا أو رومانيا أو النمسا أو هجوم على تركيا .

وفي ٢٩ مايو سنة ١٩١٢ وقعت اليونان معاهدة تحالف مع بلغاريا بناء على طلب الأولى . وفي سبتمبر ١٩١٢ عقد حلف حربي، ولكن لم يتفق فيه على الحدود في مقدونيا .

ولقد عرف الوزير الفرنسي الأول بوانكاريه بحلف صربي بلغاري يعتمد على نصيحة الروسيا . ولذا فبوانكاريه يشكو من عمل الروسيا هذا دون أن تتشاور

مع فرنسا . ولذا رفض تقديم قرض لبلغاريا ما لم يتحقق من السياسة الروسية فى البلقان . وقرر زيارة بطرسبرج لذلك الغرض . وقبل سفره عقد اتفاقا بحريا مع الروسيا ، ولقد أراه سازونوف Sazonoff نص المعاهدة الصربية البلغارية . وقرر بوانكاريه أن ذلك النص يحمل جرثومة الحرب ضد تركيا والنمسا ، وأن معنى ذلك أن الروسيا ستسيطر على كل أمور صقالبة البلقان ، إذا كان لها حق التحكيم بينهم . وقرر أن المعاهدة الصربية البلغارية حافزة لهذه الدول على الحرب . ولكن فرح سازونوف لمقابلة بوانكاريه ، فكما يقول هو[1]:

« لقد سررت سروراً عظيما لمقابلة بوانكاريه Poincaré الذى تجد فيه الروسيا صديقا حقا ، وذكاءا سياسيا فوق العادة . وارادة لاتلين » .

وكانت روسيا تشجع ذلك التحالف ضد تركيا متحملة هذه المسئولية الجسيمة. ولقد شعرت النمسا بالخطر الذى كان يتهدد البلقان، وخاطبت باريس بشأن اشتراك الدول الكبرى فى إقناع الباب العالى بضرورة اتباع سياسة لامركزية ، وحض دول البلقان على انتظار سياسة الدول الكبرى . ولقد وافقت فرنسا على ذلك وحاولت حض الروسيا على قبوله ، ولكن دول البلقان ما كانت لتنتظر الروسيا كانت ترغب فى جعل مشكلة البلقان محلية ، ولكنها اقترحت على الدول أن تحث دول البلقان على ألا تقوم بعمل يؤدى الى الحرب (الروسيا تراجعت فقد خشيت عواقب سياستها) .

---

1 - Gooch P. 503.

ولكن الجبل الأسود اعتدت على تركيا وتبعتها دول أخرى، فاضطرت تركيا إلى عقد صلح مع إيطاليا ، ولكنها انهزمت أمام أعدائها . وأظهرت الروسيا من أول الأمر عطفها على أمم البلقان. فانتصر البلغاريون فى «قرق كليسة» ودخل الصرب كانوفو Kumanovo واحتل اليونان سلانيك ، ولو أن سازونوف اقترح تدخل الدول إلا أنه أعلن أن ما احتلته دول البلقان أصبح حقا لها بحكم الفتح . وكان الرأى العام البريطانى فى جانب دول البلقان المسيحية . ولكن دول الوسط لم ترتح تماما لاخذ اليونان سلانيك، ولا لانتصار الصرب ، ولا لتهديد البلغار للاستانة. واضطرت النمسا الى إرسال جنود الى الحدود الصربية.

ولولا أن الحكومة الالمانية كانت مصرة على السلام فى ذلك الوقت لقامت الحرب ، ولذا ضغطت على النمسا ، وكذا كانت فرنسا . ولو أنها أوضحت للروسيا بأنه إذا هاجمتها النمسا وقامت المانيا تنصر حليفتها تدخل فرنسا الحرب فى جانب حليفتها .

ولكن انتصار دول البلقان السريع دعا الى قلق حتى الروسيا ، فلقد حذر سازونوف بلغاريا من دخول استامبول ، وأعلن جراى أنه إذا تقدم البلغار تصبح الآستانة مدينة دولية. ولكن البلغار كانت قد أنهكت قوتهم الحربية فما كانوا بمستطيعى التقدم .

ثم إن تقدم الصرب فى ألبانيا أثار مخاوف النمسا وايطاليا ، فما كان كل منها يريد جارا ثالثا على الادرياتى . وكانت فرنسا وانجلترا والروسيا تعطف على أن تحتل الصرب جانبا من الادرياتى ليصبح لهما منفذ على البحر . ولكن الروسيا وانجلترا نصحتا الصرب بالاعتدال ، لان الأصوات تعالت فى فينا بالحرب إذا سمح للصرب بتنفيذ مشروعها . ثم أن المانيا كانت معتدلة ، فلقد

أعلن بتمان هلفيج Bethmann Holweg بأن ألمانيا لن تساعد حليفتها إلا إذا كانت فريسة لاعتداء خارجى .

حاول بوانكاريه منع قيام الحرب فلم يفلح ، فحاول جعلها محلية واقترح عقد مؤتمر للسفراء فى لندن ، واشترطت النمسا اشتراكها على أساس ألا يسمح للصرب بالبقاء على الادرياتى ، لأنها بينت للروسيا أن الادرياتى بالنسبة لها كالبحر الأسود بالنسبة للروسيا . ولذا أخذت انجلترا على عاتقها منع وقوع اصطدام بين الروسيا والنمسا فى ذلك الوقت .

وكان خطر وقوع الحرب من ديسمبر الى مارس . وقامت الأزمة فى يناير حينما عسكرت الروسيا جنودها على حدود القوقاز معلنة تركيا بأنه إذا قام نزاع بين تركيا ودول البلقان مرة ثانية فإن الروسيا لا تستطيع البقاء على الحياد . ولكن ألمانيا بينت للروسيا بأن مهاجمتها لتركيا ستجعل السلام الأوربى فى خطر ، فتراجعت الروسيا . والأزمة الثانية حينما أرغمت الدول ملك الجبل الأسود على إخلاء سكوتارى ، ولكن ذلك كان هزيمة سياسية للروسيا .

ولكن ألمانيا وانجلترا تعاونتا على حفظ السلام . فلقد اجتمع ممثلو المتحاربين فى لندن ، واستمر المؤتمر مدة دون أن يصل الى نتيجة . فلقد قامت ثورة فى تركيا بزعامة أنور باشا واستمر المتحاربون فى الحرب ، فأخذ البلغار أدرنة وأخذ اليونان يانينا . ولكن قام النزاع بين الحلفاء أنفسهم ، فلقد طلبت الصرب إعادة النظر فى معاهدة التقسيم سنة ١٩١٢ ، وكانت اليونان تؤيدها . ولذا اضطرت بلغاريا الى عقد هدنة مع تركيا فى ١٦ ابريل .

ورجع مندوبو الدول الى لندن وحضتهم انجلترا على الاتفاق ، واتفقوا على

أن تأخذ اليونان سالونيكا وكريد وجنوب مقدونية . وتأخذ الصرب وسط وشمال مقدونيا . وتأخذ بلغاريا تراقيا وساحل الارخبيل ، وتترك سلستريا لرومانيا . ولم يصبح للترك إلا منطقة صغيرة فى البلقان ، ولكن حلفاءها اختلفوا فيما بينهم اختلافا خطيراً . ولما كانت مصالح الصرب واليونان مشتركة ، فلقد عقدتا اتفاقا ، اتحادا ، ولكن بلغاريا فاجأت أعداءها وهاجمت الصرب فى مقدونيا ، وحاولت الاستيلاء على سلانيك ، وكان الملك البلغارى قد أمر بالهجوم دون علم الوزارة . ولكن رومانيا انضمت إلى الحليفتين إذ لم يكن من صالحها تفوق البلغار فى البلقان .

وفى هذه الاثناء يتقدم الترك فيستولوا على أدرنه ، وكانت الحرب سريعة فلم تعط للدول الكبرى وقتا للتدخل المشترك ، وأملت الدول المنتصرة الصلح فى بخارست فى ١٠ أغسطس ، وطلبت النمسا أن تعرض المعاهدة على الدول فرفضت رومانيا ، وكانت ألمانيا تؤيدها . وبذا حوفظ على السلام . واضطرت الصرب تحت تهديد النمسا أن تنسحب من البانيا .

ولقد تركت هذه الحرب أثراً سيئا فى البلقان وفى أوربا ، فلقد ثار قلق الدول الوسطى لتدخل الروسيا ولزيادة نفوذها فى البلقان . ولذا جدد التحالف الثلاثى فى ديسمبر وزادت ألمانيا فى قوة جيشها .

ولكن الروسيا لم تكن قد استعدت للحرب إستعدادا تاما ، ولذا فلا خوف مؤقتا على التحالف الثلاثى . ووضعت خطة Schlieffen بالدفاع على جبهة والهجوم على فرنسا خلال بلجيكا . ولقد برر المستشار الألمانى موقفه فى زيادة الجيش الالمانى بقوة الجامعة الصقلبية الروسية والغلو فى القومية الفرنسية ، وتكلم عن اصطدام لابد واقع بين التيوتون والصقالبة . وبينما كانت قوة ألمانيا

فى زيادة كانت النمسا تزداد ضعفا للنزاع العنصرى فيها . ولم تكن ايطاليا حليفا موثوقا فيه ، وكذا تركيا قد استذلت . بينما كان يزداد ميل رومانيا نحو الروسيا وهذا بالاضافة الى عداوة فرنسا والنمسا وتمسك انجلترا بحلفها مع صديقتيها.

كانت ألمانيا إذن واثقة من الخطر الذى سيصيبها ، ولكنها كانت شاعرة بقوتها ، وأصبح الرأى العام فيها سريع التأثر . ولكن القيصر كان ميالا للسلم ، وكتب أمثال برنهاردى Bernhardi بضرورة الحرب وأحقيتها وتكونت الجامعة الالمانية معلنة أن الحرب لابد واقعة . ولكن القيصر كان يخشى عدوتى المانيا، ولذا أصبح يعتقد أن الحرب مع فرنسا أمر لابد منه .

ولكن استعداد ألمانيا الحربى تبعه استعداد فرنسا ، وبالغت فرنسا فى الظهور بدرجة لا تقل عن المانيا .

وأما النمسا فكانت تريد مهاجمة الصرب فى الوقت الذى اعتدت فيه بلغاريا عليها ، ولكن ايطاليا بينت أن شروط التحالف لا تنطوى على أى مساعدة للنمسا ، وكذا ثبطت ألمانيا عزمها ، ولذا أجلت موقفها . ولكن نمو حركة الجامعة الصربية زاد من قلق النمسا .

لقد كانت علاقة القيصر الروسى بالقيصر الالمانى طيبة ، ولكنهما كانا محاطين برجال ممتلئين حقدا وضغينة ، ولقد تقابل العاهلان فى برلين فى مايو ١٩١٣ .

ووضح فى هذه الحال موقف تركيا ، فلقد طلبت من المانيا مبعوثا حربيا لتنظيم الجيش العثمانى كما حدث فى ٨٨٢؛ حينما قام فون درجولتز Von der Goltz بهذه المهمة . ولقد تضايقت الروسيا من ذلك وأظهرت ذلك الشعور لالمانيا . واتصلت بانجلترا وأبانت لها خطر الموقف الناشىء عن سيطرة ضابط ألمانى على الجيش العثمانى . ولكن انجلترا حاولت تهدئة الموقف .

أرسلت ألمانيا ليمان فون ساندرز Liman von Sanders حيث عين مفتشا عاما للجيش التركى ، فوثقت الروسيا علاقاتها بالصرب - وزاد هياج سازونوف إلى درجة أن طلب من القيصر أن تقوم الروسيا بعمل يضمن مصالحها فى المضايق ، وتألفت لجنة فى فبراير ١٩١٤ للنظر فى هذه المسألة . فوجدت أن الروسيا لا تستطيع القيام بمثل ذلك العمل إلا إذا قامت حرب أوربية وضمنت الروسيا سلامة حدودها الغربية .

ورأت المانيا أن الروسيا تقوم باستعدادات حربية على نطاق كبير وأنها تتم استعداداتها فى ١٩١٧ . وأعلن وزير الحربية الروسية أن دولته ، ولو أنها تحب السلام إلا أنها مستعدة للحرب .

ثارت الصحافة فى كل من الروسيا وألمانيا ، فأعلنت صحف الروسية أن مهمة الدولة هى الاستيلاء على القسطنطينية ، وزاد الاعتقاد فى الدولتين أن الحرب واقعة ، وكان الرأى العام فى كل منهما مستعدا لمواجهتها .

وحاول القيصر الروسى استصلاح رومانيا بزيارة لها ، وزاد الاعتقاد فى الروسيا بأن الطريق إلى الآستانة هو خلال برلين . وأعلن وزير الحربية الروسية أن الروسيا مستعدة وأن فرنسا يجب أن تكون كذلك مستعدة مما أثار السخط فى برلين .

وفى تلك الأثناء كانت العلاقات بين انجلترا والمانيا آخذة فى التحسن ، فبعد مسألة مراكش أعلن جراى أن انجلترا لا ترغب فى مضايقة التوسع الألمانى فى

١ - انظر Kolnische Leitung ٢ مارس ١٩١٤

وسط أفريقية . وفعلا قامت مفاوضات بشأن الاستعمار بين ألمانيا وانجلترا قسمت مناطق الاستعمار البرتغالي إلى مناطق نفوذ اقتصادى . وبذا حلت الاتفاقية الجديدة اتفاقية ١٨٩٨ . وزار الملك جورج برلين فى مايو ١٨١٣ ، وأمضيت المعاهدة فى أغسطس ، وعقدت معاهدة وندسورفى يوليو ١٩١٤ ، ولكنها لم تمض نهائياً لأن الحرب كانت على الأبواب .

كانت المفاوضات بشأن سكة حديد بغداد أصعب ، ولقد سهلت لسبيا حينما زار حقى لندن بخصوص مفاوضات البلقان ، وقبلت تركيا تعريف انجلترا للحالة الراهنة فى الخليج العربى ، واعترفت انجلترا بتبعية سلطان الكويت للدولة العثمانية . وتأكدت امتيازات الشركات الانجليزية فى العراق . وأعلنت ألمانيا بالاتفاق التركى الانجليزى ، وأخذت انجلترا على عاتقها ألا تعارض مشروع سكة حديد بغداد ، وأخذت ألمانيا على عاتقها ألا تعارض إشراف انجلترا على الملاحة النهرية فى العراق . واشتركت انجلترا وألمانيا فى الإشراف على مدخل النهرين ، فى البصرة وبغداد وبذا اعترفت انجلترا بأن منطقة العراق أعلى البصرة منطقة نفوذ لألمانيا . وكذا اتفقت ألمانيا مع فرنسا فى فبراير ١٩١٤ بشأن سكة حديد بغداد ، وتركت منطقة شمال سورية منطقة نفوذ لفرنسا .

ولكن هذه الاتفاقات كان ينظر اليها فى روسيا وفرنسا بفزع ، ولكن ذلك دعا إلى توثيق عرى التحالف الثلاثى بين انجلترا وفرنسا وروسيا . ولقد أخذت فرنسا على عاتقها توثيق العلاقات بين انجلترا وروسيا فى أثناء زيارة ملك انجلترا وجراى لباريس فى ابريل ١٩١٤ .

وعقب ذلك اتفاق بين انجلترا وروسيا على المسائل البحرية . واقترحت روسيا أن تشغل انجلترا أكبر جانب من الأسطول الألمانى بحيث تستطيع

الروسيا انزال جنود فى بومرانيا ، وذلك بواسطة سفن تجارية ترسلها انجلترا إلى الموانى الروسية فى البلطيق ، وأن تسمح انجلترا للسفن الروسية بالرسو فى قواعدها فى شرق البحر المتوسط . ولقد عرفت ألمانيا بهذه المفاوضات مما أساء إلى العلاقات الألمانية الانجليزية .

أسباب الحرب العالمية الأولى

ترجع أسباب قيام الحرب العالمية الأولى إلى السنوات التى سبقتها من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٣ . ويمكن أن نقسم تلك الأسباب إلى قسمين : أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة .

فإذا بدأنا بالأسباب غير المباشرة نجد أنها ترجع إلى السنوات الأولى من مطلع القرن الحالى حيث نشأت أزمات أوربية كادت تؤدى بالسلام العالمى . وسنجمل تلك الأسباب فى النقاط الآتية :

أولا : على إثر عقد الوفاق الودى بين فرنسا وانجلترا ، استاءت ألمانيا لذلك وأرادت أن تقوم بعمل يتسم بالشدة والعنف لاختبار مدى صلابة هذا الوفاق ، فأثارت المشكلة المراكشية فى سنة ٤ - ١٩٠٥ محاولة بذلك عرقلة النفوذ الفرنسى فى مراكش ، ومنع فرنسا من بسط سيادتها على تلك البلاد . وقد أسفرت الأزمة عن عقد مؤتمر الجزيرة فى ابريل ١٩٠٦ الذى لم يحقق لألمانيا ما تصبو إليه ، بل على العكس فقد منح فرنسا نوعا من الإشراف على شئون مراكش . وكان نتيجة تلك الأزمة انضمام روسيا إلى الوفاق الثنائى فى عام ١٩٠٧ وأصبحت الدول الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا تكون الوفاق الثلاثى .

ثانياً : فى سنتى ١٩٠٨/١٩٠٩ قامت النمسا بضم ولايتى البوسنة والهرسك

التي كانت تديرهما بمقتضى معاهـدة برلين ١٨٧٨ . وقد أثار هـذا الضم حفيظة الروسيا ، لأنه منح النمسا مركزا متفوقاً فى غرب البلقان ، واضطرت الصرب إلى قبول الأمر الواقع رغم تطلعهـا إلى ضم هاتـين الولايتين اليها لتـكوين دولة يوجوسلافية ، وذلك لعدم تأييـد الروسيا لها ، نظراً لضعفها العسكرى نتيجة هزيمتها أمام اليابان فى الحرب (١٩٠٤-١٩٠٥) .

ثالثاً : نظراً لعدم اقتناع ألمانيا بما حصلت عليه من كسب ضئيل فى الأزمة المراكشية السابقة ، فقد حاولت أن تثير الأزمة مرة ثانية فى عام ١٩١١ فيما أطلق عليـه اسم أزمة أغادير . ولم يكن غرض الألمان فى هذه المرة عرقـلة أو منع فرنسا من توطيد نفـوذها فى مراكش بقدر ما كان لمساومة فرنسا حـول ثمن سكوتهم أو قبولهم هذا الوضع الخاص لفرنسا فى مراكش . ونجحت المانيا إلى حد كبير فى هذا الشأن ، إذ اضطرت فرنسا إلى منحها القسم الداخلى من الـكونغو الفرنسية المتاخم للكونغو البلجيكية . وبذلك تمكنت المانيا من ان تضع قدمهـا فى أفريقية الوسطى ، واتخـاذها نقطة ارتكاز لتوسعها فى تـلك المنطقـة .

رابعاً : قيام أزمة البلقان فى ١٩١٢-١٩١٣ بتدبير من الروسيا التى كانت تحاول إثارة دول البلقان ضـد الدولة العثمانية لتتاح لهـا فرصة التدخل وتحقيق أطماعها فى ممتلكات الدولة . ولـكن هذه الحرب ستثير غضب النمسا ، لأنهـا ستؤدى إلى تقوية الحركة اليوغوسلافية . وكانت الروسيا تعتمد فى القيام بدورها فى البلقان على التحالف البلقانى الذى شكلته تحت قيادتها . إلا أن هذا التحالف قد انحل فى ١٩١٣ نتيجة تشابك الدول البلقانية فى حرب مع بعضها البعض . وترتب على ذلك بطبيعة الحال توتر العلاقات بين الدول وإلى شكها فى نواياها إزاء بعضها

وإلى محاولتها استجماع قواها ، ووقوفها موقف المتربص من أعدائها .

خامساً : انعكس هذا الشك على تصرفات تلك الدول فأخذت تستعد للحرب وتنفذ مشروعات تسليح واسعة النطاق ، تشمل السلاحين البرى والبحرى. ولا سيما فى انجلترا وألمانيا . وقد عرفنا أن ألمانيا قد أصدرت فى ١٨٩٧ قراراً بزيادة قوتها البحرية ، وإنشاء اسطول حربى يستطيع منافسة الأسطول الانجليزى، ويرغم بريطانيا على احترام مصالح المانيا ورغباتها . وقد لعب الاميرال فون تيربتز دوراً هاما فى هذا الشأن .

ولم تقابل بريطانيا هذا الاتجاه من قبل ألمانيا بالارتياح ، بل على العكس فقد أقلق بالها . وقد رأت بريطانيا فى أول الأمر الدخول مع المانيا فى مفاوضات لإقناعها بتحديد قوتها البحرية حتى لا تضطر هى إلى مجاراتها فى زيادة قوتها البحرية ، وما يستلزم ذلك من زيادة النفقات ، ووقوع عبء ذلك على دافعى الضرائب من الانجليز . وقامت بريطانيا بتلك المحاولة من سنة ١٩٠٧ إلى ١٩٠٩ دون أن تحرز أى نجاح . وأخيراً قررت زيادة قوتها البحرية . ورغم ذلك قامت بمحاولة فى ١٩١٢ عن طريق وزير حربيتها هالدين Haldane لقيت بعض النجاح فى أول الأمر حينما قبل الألمان الابطاء فى مشروعاتهم البحرية ، بشرطين الاول أن تقف بريطانيا موقف الحياد فى حالة حدوث حرب بين المانيا ودولة أخرى . والثانى أن تعد بريطانيا بعدم مهاجمة المانيا .

قبلت بريطانيا الشرط الثانى ، ورفضت الالتزام بالشرط الاول لما فيه من من تشجيع لالمانيا على العدوان ، ولذا فشلت المفاوضات .

وفى ٢ يوليو ١٩١٣ أصدرت ألمانيا قرراً بزيادة عدد قواتها المسلحة وقت السلم من ٦٢٣٫٠٠٠ إلى ٨٨٠٫٠٠٠ جندى ، قابلته فرنسا بالمثل إذ مدت من

مدة الخدمة العسكرية سنة فأصبحت ثلاث سنوات بدلا من سنتين ، وبذلك توفر لها عدد كبير من الجنود تحت السلاح .

أما هذا التسابق فى التسلح لم يجد صداه بشكل جدى لدى كل من النمسا وروسيا وإيطاليا وحتى انجلترا . على أن التسابق فى التسلح بين فرنسا وألمانيا قد ألقى عبئاً ثقيلا على كاهل دافعى الضرائب فى البلدين . وكان من الضرورى لعدم إثارة هؤلاء ضد حكوماتهم أن توضح لهم خطورة الحالة وتوقع حدوث حرب فى أى وقت من الأوقات . وقد هيأ هذا الإذهان لتقبل فكرة الحرب ، بل وتحمسوا لها . وأدى ذلك بطريقة أخرى إلى محاولة كل حكومة أن تستكمل استعداداتها الحربية قبل غيرها . أو أن تستفيد من هذا السبق فى العدوان على عدوتها قبل أن تتم تسليحها [1] .

سادساً : كذلك لاننسى دور التنافس الاقتصادى بين الدول الصناعية الكبرى حول الأسواق ، نظرنا فهو فى من أقوى اسباب قيام الحرب ، بل يفسر لنا الكثير من الأزمات السابقة. فتدخل ألمانيا فى مراكش فى ١٩٠٤ كان مبعثة كما يقول هولشتين وزير الخارجية الألمانية ، « يجب على المانيا أن تتدخل فى القضية المراكشية لأسباب اقتصادية وللدفاع عن جاهها ونفوذها . ويجب ألا تترك قضية كبرى تسوى خارجا عن نطاقها ، مهما كانت ، وفى أى بقعة من بقاع العالم » . وبهذه النظرة قبلت المانيا فى ١٩٠٩ أن تتفق مع فرنسا بشأن مراكش على أن تقتسم معها الأرباح الاقتصادية .

وكذلك نجد أن التنافس البحرى بين المانيا وانجلترا كان مبعثه التنافس

---

١ - بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ص ٣١

التجارى بين الدولتين . فنمو تجارة ألمانيا الخارجية قد أقلق بال انجلترا . ويقال بأن السبب الذى دفع المانيا إلى مغامرتها فى ١٩١٤ أزمة اقتصادية كانت تجتازها، بالإضافة إلى حاجتها فى استغلال مشروع أفريقية الوسطى كسوق جديدة لمنتجاتها ، وكذلك تحقيق مشروع الاتحاد الجمركى الذى يضم دول وسط أوربا وجزء من البلقان .

سابعاً : لعبت الحركة القومية فى دول أوربا دورا لا يمكن انكاره فى دفع تلك الدول إلى أتون الحرب ، فلا شك أن ظهور المانيا كدولة موحدة فى السبعينات ، أى فى فترة متأخرة من التاريخ الحديث،كان له أثره فى محاولة المانيا تحقيق أمانيها بقوة السلاح لفرض وجودها كدولة قوية يجب ان يكون لها مستعمرات أسوة بالدول الاوربية الأخرى مثل انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والبرتغال .

كذلك وجدت حركة قومية نشطة فى دويلات البلقان ، حاولت النمسا أن تقضى عليها بالقوة ، لما يؤديه نجاح تلك الحركات من تفتيت الدولة.

وإذا انتقلنا إلى الأسباب المباشرة نجد :

أولا: أعطى مقتل فرنسيس فردنندوزوجته فى سيرا جيفو Saragivo عاصمة البوسنة فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ فرصة لبرشتولد Berchtold وزير خارجية النمسا للانتقام من بلغراد ، ولو أن تقرير ما له الكونت تيسزا Tisza أكد بأنه ليست هناك الأدلة الكافية على أن حكومة بلغراد لها صلة بالجريمة .

فكتب القيصر النمسوى خطابا للقيصر الألمانى بين له فيه خطر الجامعة الصقلبية وخطر حركات الروس فى البلقان ، تلك الحركات التى ترمى إلى القضاء

على الامبراطورية النمسوية ، وأنه من المستحيل عقد اتفاق مع الصرب، وأنه من الضرورى وضع الصرب عند حدها .

استلم القيصر الألمانى الخطاب فى ٥ يوليو وبين للسفير النمسوى أن النمسا يمكنها الاعتماد على تأييد ألمانيا . وإذا قامت حرب بين الروسيا والنمسا ، فإن ألمانيا ستقف بجانب حليفتها . لا سيما وأن المانيا كانت تعلم أن الروسيا لم تكن قد استعدت للحرب بعد . وعرف القيصر أن خطر الحرب واقع فهو ينذر وزارتى البحرية والحربية بالخطر . وكان يرى أن الخطر الصقلبى لا يهدد النمسا فحسب ، بل يهدد العنصر التيوتونى كله ، واضطرت المانيا إلى أن تنبه انجلترا للخطر . وكانت النمسا ترى أنه من المحتمل ألا تتدخل الروسيا حربيا لمساعدة الصرب ، وقررت إرسال مذكرة للصرب أعطيت فيها مهلة ٤٨ ساعة ، تطلب فيها القضاء على أعضاء الجامعة الصربية وتعاون الموظفين النمسويين مع الصربيين فى إقامةالوسائل لتنفيذ ذلك . ولما علمت انجلترا بهذه المذكرة عن طريق السفير النمسوى احتج جراى على تحديد الوقت . ورأى أن هذه المنازع لا تهم انجلترا ، ولكنها ستشاور الدول الأخرى ، وأرسل إلى السفير الفرنسى واقترح عليه توسط الدول التى ليست لها مصالح مباشرة فى الصرب .

وتتوسط كل من المانيا وفرنسا وايطاليا وانجلترا بين فينا وبتروجراد . فرأى السفير الفرنسى ضرورة انتظار رأى الروسيا . ولكن جراى اتصل ببرلين وباريس وروما للنظر فى مسألة التوسط وتأجيل الأعمال الحربية إنتظاراً لنتائج المؤتمر . وقبلت فرنسا وايطاليا الاقتراح ، ولكن القيصر اشترط رغبة النمسا ، وطلب جراى من المانيا أن تنصح النمسا بالاعتدال . ولكن النمسا لم تنتظر لثورة الرأى العام فيها ، وما كانت تنتظر أن تقبل الصرب إنذاراً . وكانت

تتوقع من انجلترا العطف على مطالبها .

وكذا كانت الروسيا ترى ضرورة تأييد الصرب إذا هاجمتها النمسا . وكان الرأى الحربى واثقاً من النصر ومن الحصول على الآستانة ، وأعلنت النمسا الحرب ، ولم تعلن انجلترا لا تأييدها حتى لا تشجع الروسيا ، ولا حيادها حتى لا تشجع فينا .

وعندما رأت المانيا سخط الروسيا وانجلترا على موقف النمسا أرسلت إنذارا إلى فينا تطلب التمهل وأن المانيا مستعدة لتأييدها ، ولكنها لا تستطيع الدخول فى حرب لا تستشيرها فيها النمسا أو لا تصغى إلى مشورتها . ولكن النمسا كانت قد قطعت علاقاتها السياسية ، وأعلنت الحرب ورأت عدم التراجع.
ولكن الروسيا كانت قد أعلنت تحريك جيوشها . وفى هذه الأثناء تبذل انجلترا قصارى جهدها فى إيقاف الخطر بطلب التوسط وتمهل النمسا . ولم يكن جراى يعلم تماما بأن الروسيا قد حركت جنودها . وحاولت انجلترا من جانبها أن تنصح الروسيا بالاعتدال . ولكن الاعتدال لم يكن من سياسة الروسيا فى ذلك الوقت ، فاضطرت المانيا إلى إرسال انذار حربى إلى الروسيا ، لاسيما أن حركة تحريك الجنود كانت ضد النمسا وألمانيا . ولم تحاول فرنسا الضغط على الروسيا ، وكانت ترى أنه إذا أعانت انجلترا أنها ستقف بجانب فرنسا لن تكون هناك حرب .

ولما علمت انجلترا بالأمر الواقع أرسلت تطلب من ألمانيا وفرنسا ضمانا باحترام حياد بلجيكا ، فأعطت فرنسا ذلك الضمان ورفضت ألمانيا . ولما طلبت المانيا من انجلترا إعطاء شروطها للحياد رفضت انجلترا .

وفى أثناء ذلك كانت الواقعة ففى ٢٨ يوليو كانت النمسا والصرب فى حرب ،

وفى أول أغسطس نشب القتال بين ألمانيا والروسيا ، إذ هاجمت الجنود الروسية الحدود الألمانية قبل إنتهاء موعد الإنذار الألمانى . ولما طلبت ألمانيا من فرنسا ماذا يكون موقفها ، أعلنت فرنسا أنها ستتبع مصالحها . وأعلنت تحريك جيوشها. وفى ٢ أغسطس أعلنت انجلترا أنها ستؤيد فرنسا بحريا إذا حاول الأسطول الألمانى دخول القنال الانجليزى ومهاجمة فرنسا أو الاعتداء على سفنها . وفى ٣ أغسطس أصدرت الأوامر لحملة حربية إلى فرنسا . وفى نفس اليوم أعلن جراى سياسة انجلترا ، بقوله :

« لعدة سنوات كانت تربطنا بفرنسا أواصر الصداقة ، ولكن إذا أردنا أن نعرف مدى ما يترتب على هذة الصداقة من التزامات ، فلينظر كل منا فى قرارة نفسه ومشاعره ليتوصل بنفسه إلى مدى هذه الالتزامات . أن الأسطول الفرنسى موجود الآن بالبحر المتوسط ، والسواحل الشمالية والغربية لفرنسا بدون حماية على الاطلاق بسبب شعور الثقة والصداقة بين الدولتين . وإن شعورى الخاص أنه إذا إشتبك أسطول أجنبى مع فرنسا فى حرب لم تسع اليها ، ودخل هذا الأسطول القنال الإنجليزى وضرب السواحل الفرنسية غير المحمية فاننا لن نقف مكتوفى اليدين . كان من حق فرنسا أن تعرف بشكل فورى ما إذا كان بامكانها أن تعتمد على مساندة بريطانيا لها فى حالة ما إذا تعرضت للهجوم سواحلها غير المحمية فى الشمال والغرب . ونتيجة لذلك فقد أعطيت وعدا بالأمس للسفير الفرنسى ولم يكن هذا إعلان للحرب » .

كذلك فإن هناك إعتباراً أهم من ذلك ، وهو حياد بلجيكا . لقد وصلتنا اخبار إنذار المانى :

« إذا كان هذا حقيقيا ، وإذا كانت قد قبلت ، فان استقلالها يكون قد انتهى

بصرف النظر عما تمنحه لها المانيا فى مقابل ذلك . فإذا هزمت فرنسا ، وإذا وقعت بلجيكا تحت نفس السيطرة، ثم بعد ذلك هولندا وبعدها الدنمرك، فلنا أن نتصور مقدار الخطر الذى تتعرض له المصالح الانجليزية . فإذا تنصلنا من التزاماتنا التى يفرضها الشرف والمصلحة فى أزمة كهذه فيما يخص المعاهدة البلجيكية ، فإنى أشك ، فى قيمة أية قوة مادية قد تكون لدينا فى النهاية إذا ما قورنت بما نكون قد فقدناه من احترام . رغم ان الأسطول على استعداد الآن ، وان الجيش فى سبيل استكمال استعداداته ، فإننا لم نعد حتى الآن بارسال حملة خارج البلاد . ولكن إذا اضطررنا ان نتخذ موقفا محدداً فى هذه القضايا ، فاعتقادى هو أن البلاد حين تدرك كنه الخطر الذى تتعرض له، فإننا سنحصل، لا على مساندة مجلس العموم فحسب ، ولكن سيدعمنا فى موقفنا كذلك تصميم الامة بأكملها وشجاعتها واحتمالها » .

وعقب هذا عرفت انجلترا أن المانيا أرسلت إعلانا بالحرب وانها اخترقت حدود بلجيكا فأرسلت اليها إنذارا .

وفى ذلك الوقت اجتمع الريشستاج الألمانى حيث خطب القيصر فى « الصالة البيضاء » Weisser saal جاء به :

« بقلب مفعم بالحزن وجدت نفسى مضطرا أن أعد جيش لمقاتلة جار طالما حارب هذا الجيش فى صفه فى عدة ميادين للقتال . وبأسى صادق أشهد الآن نهاية صداقة كانت المانيا تعتز بها باخلاص . فالحكومة الروسية بعد أن اسلمت قيادها لعاطفة قومية جامحة ، فقد اندفعت إلى تأييد دولة أثارت هذه الحرب عن طريق تبنيها للمحاولات الإجرامية .

وإنه لايدهشنا ان فرنسا قد اخذت صف خصومنا . فكثيراً ما تحطمت جهودنا

لإقامة علاقات ودية على صخرة الأمنيات القديمة وإن الوضع الراهن ، ليس تصادم مصالح عارضة ، ولكن نتيجة سنوات من الحقد المتوقد ضد قوة الامبراطورية الألمانية وإزدهارها . وإن « الكتاب الأبيض » ليوضح كيف حاولت حكومتنا وكيف حاول مستشارنا بوجه خاص أن يتفادا هذه الكارثة حتى آخر لحظة . إن الذى يحركنا ليس شهوة الفتح ، ولكنه تصميم جاد للحفاظ على المركز الذى منحنا الله إياه . فنحن نسل سيوفنا بضمير مرتاح وأيد نظيفة ».

واكمل بتمان هلفج خطاب الامبراطور وبين ان المانيا طلبت ان تكون المشكلة الصربية النمسوية محلية ، ولكن الروسيا تدخلت وحركت جنودها ضد النمسا ، ثم ضد المانيا التى لم تحرك جنديا واحداً . واستمر فى خطابه قائلا :

« هل كان علينا أن ننتظر حتى تختار الدول التى تحيط بنا الوقت المناسب لها لتوجيه ضربتها ؟ إن تعريض المانيا لمثل هذا الخطر يعتبر جريمة . ولذلك فقد طلبنا من الروسيا أن تسرح جيشها ، كمحاولة أخيرة لحفظ السلام . إن فرنسا كانت قد رفضت الوقوف على الحياد ، وعبرت قواتها الحدود قبل إعلان الحرب . أيها السادة ، نحن فى حالة اضطرار ، والاضطرار لا يعرف قانونا ».

ولقد اعتقد الريشستاج أن المانيا هوجمت ، ولقد أعلن القيصر أنه لم يعد يعرف أحزابا وإنما المانا ، وأيدت الأحزاب القيصر .

واعتقدت المانيا أن انجلترا طعنتها فى الخلف ، وبعد إعلان انجلترا الحرب بيومين أعلنت النمسا الحرب على روسيا ، وردت انجلترا وفرنسا بإعلان الحرب على النمسا ، وأعلنت إيطاليا ورومانيا حيدتها .

وكان طبيعيا بالنسبة للصرب أن تعمل على إنتشار مبادىء جامعة صربية وضم صقالبة النمسا الجنوبيين اليها . وطبيعى أن تدافع النمسا عن كيانها ، وقد وعدت

الصرب بأنها ستصبح جارا صالحا للنمسا . ولكن كانت هناك اتفاقات مع الروسيا ضد النمسا ، وليس من الحكمة أن تهمل النمسا كل ذلك . ورأت النمسا ضرورة إيقاف الصرب عند حدها .

أما المانيا فكان لزاما عليها أن تساعد النمسا لأنها الدولة الوحيدة الكبرى التى تستطيع الاعتماد عليها ، فما كان يمكن الاعتماد على إيطاليا أو رومانيا . وطبيعى أن تبحث المانيا عن حلفاء بين الروسيا والنمسا . وما كانت المانيا تظن جازمة بأن انجلترا ستتدخل ضد المانيا . لا سيا وقد تحسنت العلاقات بين الدولتين بعد أزمة مراكش . وما كانت كل من النمسا وألمانيا ترغب فى حرب دولية ، فكانتا ترغبان فى جعل الحرب محلية [1] . ولكن المانيا كانت مستعدة للحرب إذا رفضت الروسيا جعل الحرب محلية . وكان يعتقد أن حربا بين الصقالبة والالمان لابد واقعة ، وفضلت المانيا أن تحارب فى هذة السنة قبل تمام استعداد الروسيا وفرنسا .

ولقد أدى نجاح اليابان فى حربها مع الروسيا الى أن ترجع الروسيا الى أطماعها الأوربية ، والى سيطرتها على الشرق الأدنى وخاصة البلقان . وإذا كانت الروسيا ستسمح بجعل الحرب محلية فإنها بذلك تكون قد تركت كل مطالبها فى البلقان ونفوذها بين الشعوب الصقلبية ، وسمحت للدول الوسطى بالسيطرة التامة فى البلقان . فالروسيا لا تسمح بانهيار الصرب ، كما لا تسمح بانهيار بلجيكا . ثم كانت الروسيا تعتقد فى مساعدة انجلترا لها إذا اتسع مدى الحرب .

أما فرنسا ، فقد كانت ترى أن سبب الحرب بلقانيا . وكانت فى حلف حربى مع الروسيا ولم تكن ترغب فى الحرب ، فاندفعت فيها لاستعادة الأرض التى سلبت منها

1- Gooch 558

نتيجة لمطامع حليفتها . ولو أنها لم تنجد الروسيا لزال مركزها كدولة كبرى فى أوربا .

أما ايطاليا فلقد أبانت لحلفائها أنها لن تدخل الحرب معهم اذا كانوا فى حرب مع انجلترا وفرنسا . وفى سنة ١٩٠٢ أوضحت لها بأنها لن تشترك فى مهاجمة فرنسا . وفى سنة ١٩٠٩ وعدت الروسيا بتأييد مطالبها اذا أيدت الروسيا مطالب ايطاليا .

ولذا فى عام ١٩١٤ كانت مقيدة باتفاقات مع دول الاتفاق الودى ولو أن علاقاتها مع ألمانيا كانت جيدة إلا أن مطامعها فى الترنتينو الادرياتى لا يمكن تحقيقها إلا على حساب النمسا . ثم إن ايطاليا لن تستطيع أن تساعد المطامع النمساوية فى البلقان .

أما انجلترا فلقد أثارها للحرب مسألة بلجيكا ، فانجلترا تركت سياسة العزلة ، وكانت ترى أنها اذا سلكت طريق الحياد انتصرت دول الوسط ، ووجدت انجلترا نفسها وحيدة أمام أوربا ، ولاضطرت لأن تنفق نفقات هائلة على تسليحها فى البر والبحر . فما كانت انجلترا تستطيع الحياد ولو لم تغز ألمانيا بلجيكا .

الفصل الرابع عشر

نشوب الحرب

انقسمت أوربا إذاً الى معسكرين متناحرين ، وكانت خطـــة شليفـن الألمانى Schlieffen ترمى الى الهجوم على بلجيكا واختراق أراضيها للوصول إلى الحصون المنيعة التى تفصل فرنسا عن المانيا ، وقد تركت فرنسا حدودها الشمالية الشرقية دون أن تدافع عنها رغم معرفتها بإتجاه الألمان .

وفى ٥ أغسطس يستولى الألمـان على ليبـج بعد أن ارتـد البلجيكيون إلى أنتورب ، وتركوا بروكسل تسقط فى أيدى الالمان . ثم أعقبهـا سقوط نامور فى ٢٣ أغسطس . وفى ذلك الوقت عبرت القوة الانجليزية بقيادة السير جون فرنش Sir John French القنـال وأخذت مراكزهـا فى ٢٢ أغسطس عـلى ميسرة الجنود الفرنسيين .

وأدى انهـزام الفرنسيين فى شارلروا وفى لاشاتو إلى تقهقر الانجليز ، ولم يكن هناك ما يمنع الالمان من أخذ ثغور القنـال . ولذا نقلت بريطـانيا قاعدتها العسكرية إلى مصب نهر اللوار . ولـكن الجيوش الالمانية بقيادة فون كلوك Von Kluck سارت بسرعة نحو باريس التى سرعان ما انتقلت حكومتها إلى بوردو تاركة حمـــاية العاصمة الفرنسية فى يد جالينى Gallieni . ولـكن فى ٥ سبتمبر انتهى التقهقر وقامت معركة المارن لمدة ست أيام ، فأنقذت باريس وقضت على خطة الالمان فى انتصار سريع فى الغرب ، وحل وزير الحربية الألمانى فالكنهاين

Falkenhayn محل مولتـكه التى كانت صحته لا تسمح له بالاستمرار فى القتال ، كما أنه لم يظهر كفاية ممتازة .

وقوى الألمـان مراكزهم فى الايزر حيث نشب قتـال عنيف ، وسقطت انتورب واضطر البلجيكيون إلى التقهقر بجوار الساحل ليتصلوا بالانجليز . ثم قام الألمـان بهجوم عنيف يبرس Ypres وضحى الجنود الانجليز حياتهم فى سبيل الوقوف أمام الألمان . وفى هذه الأثناء كانت ألمـانيا محتاجة إلى جنود للشرق ، وقلت ذخائر الألمـــان . ولذا لم يقوموا بهجوم كبـير بعد ذلك إلا فى عام ١٩١٨ .

فألمـانيا لم تستطيع تنفيذ خطة شيفلن فى الوقت المناسب ، ولـكنها كسبت أراضى جديدة ومناطق غنية بالصناعات والمعادن .

وفى تلك الفـترة من بدأ الحرب قام الروس بهجوم عنيف فى بروسيا الشرقية وصلوا فيه إلى ضواحى كنجسبرج تحت قيادة القائد الأعلى الجراندوق نيكولاس . ولـكن فى ٢٧ أغسطس قاسى الروس هزيمة فادحة فى تاننبرج Tannenberg . واستطاع الألمـان بقيادة هندبرج ومساعدة لودندرف أن يقضـوا على الجيش الروسى وقائده سامسونوف Samsonov فى معركة تشبه موقعة سيدان ، واذا أطلق عليها اسم سيدان الروسية . وبذا لم يكن للروس خطر كبير على ألمانيا بعد ذلك ، ولو أن اروس تمـكنوا بعـد ذلك من غـزو بعض أجزاء بروسيا الشرقية .

أما النمسا فكانت مقاومتها ضعيفة نسبياً ، فلقـــد تمـكن الروس من غزو غاليسيا ، وتمـكنوا من عبـور الكربات إلى كراكاو . وأسرع هنـدبرج لمساعدة النمسويين فخف الضغط الروسى ، ولـكن لم يفلح الألمـان فى الإستيلاء

على وارسو ، وتمكن الروس من أخذ كل غاليسيا وهددوا سيليزيا ولكن النمسا انهزمت أمام الصرب ، فلقد طردت جنودها من بلجراد وغزا الصرب البوسنة .

أما اليابان فقد انضمت إلى فرنسا وانجلترا وروسيا ، فأوسلت إنذراً إلى ألمانيا في ١٥ أغسطس بتسليم كياوشاو . ولذا قامت بالحرب ضد ألمانيا في الشرق الأقصى . وأمدت الروسيا بالذخائر والمؤن وحمت سفن الحلفاء في الشرق الأقصى .

أما تركيا فقد غضبت لعدم تسليم انجلترا سفينتين حربيتين كانت تركيا قد طلبت منها بناءهما . وعرضت دول الحلفاء على تركيا التعويض أو تسليمها بعد الحرب والبقاء على الحياد ، على أن تقوم بالدفاع عنها إذا هوجمت . ولقد طلبت تركيا إلغاء الإمتيازات ، فأوضح جراى أن انجلترا مستعدة لذلك إذا وافقت الروسيا وفرنسا .

ولكن أنور باشا رجل تركيا الأول في ذلك الوقت كان قد قرر في ذهنه الانضمام إلى الدول الوسطى في حالة حرب عالميــــة ، وكان يشاركه ذلك الرأى فريق كبير كان يرى أن انجلترا تعطف على المسيحيين في الدولة ، وأنها لن تتمسك بوعودها في المحافظة عليها ، وأنها سوف ترضى الروسيا على حسابهم . وفي أول أغسطس عقدت تركيا معاهدة مع ألمانيا بالانضمام اليها إذا دخلت الروسيا الحرب ، وانضمت اليهما النمسا .

ولقد وعدت الدولتان تركيا بمساعدتها حربياً وضمان سلامة أراضيها ضد الروسيا . وظل ذلك سراً إلى أن تستعد تركيا . ووعدت بتصحيح حدودها ، وأن يكون لها نصيب في الغرامة الحربية .

وهددت انجلترا تركيا بأنها إذا دخلت الحرب مع ألمانيا كان فى ذلك نهايتها ، بينما كانت الجنود والأسلحة الألمانية تنهال على تركيا . وفى ٢٨ اكتوبر كانت استعدادات أنور كاملة ، ودخلت بعض السفن الألمانية فى البحر الأسود وهاجمت سفنا روسية وضربت أودسا بالقنابل . ولذا أعلنت الروسيا الحرب على تركيا فى ٣١ اكتوبر وضربت القنابل مداخل الدردنيل ، وأسرعت انجلترا بتعزيز حاميتها فى مصر ، وكانت الجنود التركية تزحف نحوها .

وترتب على ذلك اتساع ميدان الحرب فتعرضت انجلترا وفرنسا لثـــورة شعور المسلمين . ولذا أعلنت انجلترا ضم قبرص واعلان الحماية على مصر وخلع عباس الثانى الذى كان تركى النزعة ، وصدت غارة على قناة السويس فى فبراير سنة ١٩١٥ .

ولقد سرت الروسيا بدخول تركيا الحرب كى تستطيع تنفيذ مطامعها ، لأن الانتصار على دول الوسط معناه ضم بعض البولونيين الثائرين المستائين . ولكن انتصارها على تركيا له معنى آخر . ولذا أعلنت انجلترا أن الآستانة والمضايق ستكون من نصيب الروسيا .

وأخذت الروسيا تتفق مع كل من انجلترا وفرنسا على تقسيم تركيا ، على شرط احترام مصالح الدول الثلاث ولكن تنفيذ البرنامج كان صعباً . ففى ٢ يناير ١٩١٥ طلبت الروسيا النجدة من انجلترا لتخفيف الضغط على جبهة القوقاز حيث إزداد ضغط أنور باشا . وجاءت النجدة عن طريق مهاجمة الدردنيل وأيد ذلك تشرشل وزير البحرية الذى كان قد طلب مهاجمة تركيا من وقت دخولها الحرب . وأيد ذلك بفكرة ضم البلقان إلى الحلفاء ، وصد هجوم الألمان على الشرق ولتقليل الخطر على مصر والشرق الأدنى .

وأجيب على ذلك الرأى بأن مهمة انجلترا فى الغرب هى حماية القنال ، وأن انجلترا ليس عندها الجنود الكافية ولا الأسلحة الكافية لحملة فى الشرق ، كما أنه ليس لدى انجلترا السفن الحربية الكافية .

ولقد قرر فى ١٦ فبراير إرسال حملة تخرج من مصر . وقامت انجلترا بضرب الدردنيل دون جدوى ، وخسرت خسائر فادحـــة حينما حاولت إنزال جنود إلى الساحل والمحافظة على نقطة ارتكاز لهـــا . ولكن القوات لم تستطع التقدم، وكانت بقيادة السير جان هاملتون Sir Jan Hamilton ، وكان يظن أن الروس سترسل مائة ألف جندى ، ولكن الروسيا لم ترسل شيئاً .

وقد وازن انضمام تركيا إلى المانيا انضمام ايطاليا إلى الحلفاء بعد ذلك بستة شهور .

وكانت ايطاليا قد أطلعت المانيا على رغبتها فى ضم الترنتينو ، ولكن النمسا رفضت ذلك . وبوصول سونينو Sonnino إلى منصب وزارة الخــــارجية الايطالية ـ وكان معروفا بميله إلى الدول الوسطى ، ولكنه كان مكيافيليا قبل كل شىء ـ تشتد المطالبة بالترنتينو ويجد تشجيعا من قبل ألمانيا ، ولكن تصر النمسا على الرفض . وتتغير الأوضاع بعض الشىء عندما تعلن النمسا بزعامة بريان Burian عن رغبتها فى ترك شىء لإيطاليا . ولكن ترتفع مطالب سونينو ويطالب بضم التيرول وجوريتزيا وتريستا ، وبسيطرة ايطاليا على فالونا ، وأن تتنازل النمسا عن مصالحها فى البانيا . فرفضت النمسا التسليم بكل مطالب ايطاليا لتبقى على الحياد .

تتعالى صيحات الانضمام إلى الحرب فى ايطاليا ، وكان من الطبيعى أن تجد

مطالب ايطاليا صدى لدى الحلفاء أكثر من النمسا. فتقوم المفاوضات بين ايطاليا والحلفاء فى لنـــدن ، وكان يعارض مطالب ايطاليا الكبيرة كل من فرنسا والروسيا . فالروسيا كانت تعارض فى مطالب ايطاليا فى سا-ل شرق الادرياتى ، ولكن فشل هجمات الحلفاء فى الغرب كانت فى صالح ايطـاليا . ثم مجىء وزارة ائتلافية فى انجلترا كان فى صالح ايطاليا أيضاً .

وأخيراً أمضى جراى معاهدة مـع ايطاليا اشتركت فيهـا فرنسا والروسيا لإرضاء مطامع ايطاليا فى ٢٨ ابريل ١٩١٥ . وتنص المعاهدة على أن تأخذ ايطاليا الترنتينو وتريستا وما حولها وايستريا وشمال دلماشيا والجزر المواجهة لها . أما الساحل من ايستريا إلى دلماشيا بما فيها فيوم فيترك لكرواتيا والصرب والجبل الأسود . وتأخذ ايطاليا فالونا وتسيطر على البانيا وجزر الدوديكانيز واضاليا فى حالة تقسيم تركيا ، وتعترف الدول بمركز ومصالح ايطاليا فى البحر المتوسط . وضم ليبيا نهائيا إليهـا . وتقدم انجلترا قرضا ماليا لايطاليا قدره ٥٠ مليون جنيه ، وتأخذ ايطـاليا جانبا من الغرامة الحربية . وجعلت المعـاهدة سرية ، ونص على دخول ايطاليا الحرب فى مدى شهر . والغرض من جعل المعاهدة سرية خشية الحلفاء من أن تعرف الصرب محتوياتها . ولو أن انضمام ايطـاليا قوى من مركز الحلفاء المادى إلا أنه أضعف مركزهم المعنوى ، لأن المعاهدة عندما عرفت فى الصرب أثارت غضبهم .

وأما سونينو فقد ترك باب المفاوضات مفتوحا مع فينا حتى يجـد عـــذرا لإعلان الحرب ، ولذا فبعد فترة من الزمن صرح أنه من المستحيل الاتفاق معها ، وأعلن عداءة للتحالف الثلاثى . ولـكن الحـكومة النمساوية أعلنت لايطـاليـا

تسليمها بمعظم مطالبها ، فتأخذ الترنتينو ، وتصبح تريستا مدينة حرة لها صبغة إيطالية ، وأعلنت النمسا أن ليس لها مصالح فى البانيا وتسلم هذه لايطاليا بعد شهر من الاتفاقية ، وضمنت البانيا وفاء النمسا بوعدها .

وفى أثناء ذلك وصل دانزيو الى روما وبدأت المظاهرات العدائية، وسقطت وزارة سلاندرا Salendra. ثم عادت وأعلنت الحرب على النمسا فى ٢٣ مايو ١٩١٦، ولم تعلن الحرب على ألمانيا إلا فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩١٦ ، ووجهت ايطاليا اهتمامها إلى تريستا ولكن هجماتها قد فشلت .

وبالرغم من هجوم ايطاليا استطاعت النمسا أن تطرد الروس من غاليسيا ، فما كانت الروسيا تستطيع الاستمرار فى الحرب مدة طويلة ، إذ لم يتمكن الحلفاء تقديم مساعدة لها .

وكانت خطة فلكنهاين Falkenhayn فى ١٩١٥ الصمود فى وجه الأعداء فى الغرب ، وضرب الروسيا ضربة قاضية فى الشرق ، وأختيرت غاليسيا كنقطة للهجوم ودليل على مساعدة النمسا . وبدأ هجوم ماكنزن Mackensen فى ٢ مايو فى جورليس Gorlice ، فتقهقر الروس وسقطت لمبرج عاصمة غاليسيا . ثم هاجم ماكنزن وارسو وكوفنو وجرودنو وفلنا أكبر مدن لتوانيا إلى برست لتوفسك Brest Litovsk، وبذا خسرت الروسيا بولونيا ولتوانيا . واضمحلت سمعة الروسيا الحربية ، وكذا سمعة القيصرية. فعزل الجراندوق نيكولاس وأخذ القيصر على عاتقه القيادة .

أما بولونيا فقد اختصم بشأنها الدول الثلاث ، وكان هذا فى صالحها إلى حد ما . وقد قسمت بولونيا إلى أقسام مختلفة ، فالقسم الخاضع لألمانيا حالته الاقتصادية جيدة جداً ، ولكن لم يسمح له باستقلال ثقافى . والجزء التابع للنمسا له استقلال

ثقافى وحرية واسعة ، والقسم التابع للروسيا لا يتمتع بإحدى هذه الميزات .

ولقد حاول كل فريق من المتحاربين أن يضم اليه عطف البولونيين .

ففى ١٥ أغسطس ١٩١٤ أصدر الجراندوق منشوراً بليغ الأسلوب فى مدح بولونيا ووجودها وتوحيدها واستقلالها الذاتى تحت حكم القيصر ، وسمحت باستعمال اللغة البولونية فى الإدارة الداخلية . أما الميزات الأخرى فتمنح بعد الحرب . كذلك وعدت المانيا بتوحيد بولونيا . وكانت حالة بولونيا سيئة فكان أبناؤها يحاربون فى معسكر الدول الثلاث . وكانوا منقسمين إزاء الخطة التى يتبعونها، ففريق الوطنيين وعلى رأسهم ديموفسكى Dmowski كانوا يرون الانضمام إلى الروسيا، وفريق الديمقراطيين وعلى رأسه بلسدسكى Pilsudski يحارب الروس بعنف فى صف الألمان .

وبعد هزيمة الروسيا فى ١٩١٥ كانت بولندة تحت الكوندمنيوم الروسى - الألمانى ، فالحكومة الألمانية فى وارسو ، والحكومة النمسوية مقرها فى لبلان Lublin ، وفشلت فكرة اقتسام بولونيا . ثم اقترح إنشاء ملكية بولونية مستقلة، ولكن اختلف على الملك . وعادت الدولتان واتفقتا على أن تعلنا رغبتيهما فى إرجاع بولونيا كدولة دستورية ملكية وراثية متصلة بالدول الوسطى .

وكانت هزيمة الروسيا فى ١٩١٥ مشجعة بلغاريا على دخول الحرب فى صف دول الوسط .

وكان كل من المتحاربين يحاول ضم دول البلقان اليه بالترغيب تارة والوعيد تارة أخرى . ولقد أعلن فنزيلوس Venezelos أن اليونان تنضم اليهم فى حالة دخول تركيا الحرب ضدهم ، على شرط حماية الحلفاء لليونان من إعتداء بلغاريا . فوعدت بريطانيا بأن الأسطول التركى لن يستطيع الخروج من الدردنيل ، ولكن

الملك أعلن للقيصر أنه لن يهاجم حلفاء ألمانيا إلا اذا هاجموه .

ولقد وعد الحلفاء اليونان بجنوب البانيا اذا انضمت اليهم .فطلب فنزيلوس ضمانا من بلغاريا ورومانيا بألا تهاجماه، فرفضت رومانيا ولذا استمر فنزيلوس على الحياد . ولكن انجلترا وعدته بأزمير فى يناير ١٩١٥ اذا دخل الحرب،فشجع هذا اليونان على دخول الحرب ولو بتضحية قولة لبلغاريا . ولكن فنزيلوس علم بأن المانيا بعثت بقرض الى بلغاريا ، مما دل على ميل السياسة البلغارية لالمانيا. ثم عادت انجلترا فمنحت اليونان ولاية Aidin إذا دخلت اليونان الحرب .

وكذا لم يفلح الحلفاء فى ضم بلغاريا اليهم ، فأرسلت بعثة بكستون Buxton بناء على اقتراح لويد جورج وتشرشل ، لاسيما بعد دخول تركيا الحرب ومنحت بلغاريا مقدونيا إذا هى انضمت،وازداد اهتمام الحلفاء بعد هزيمة روسيا فى ١٩١٥ .

والذى دعا بلغاريا الى الانضمام إلى دول الوسط هو أن بلغاريا عدوة الصرب، والروسيا تحمى الصرب ، فتوثقت العلاقات بينها وبين فينا ، ولكنها لم تعد بغير الحياد فى أول الأمر ، لا سيما قبل انهزام الروسيا . ولكن لما انهزمت هذه الدولة وضح الموقف الحربى فى نظر البلغاريين ، فانضموا الى المانيا ، على شرط أنه اذا هاجمتها اليونان أو رومانيا تسترجع بلغاريا ماخسرته من الاراضى.

وهاجم الالمان والنمسويون الصرب بقيادة ماكنزن . ولكن موقف بلغاريا أثر فى موقف اليونان ، فأعلن فنزيلوس التعبئة وطلبت اليونان النجدة من من الحلفاء، فأرسلو جنودا إلى سلونيكا ، ولكن اليونان عادت فأعلنت الحياد بعد طرد فنزيلوس ، ودخلت الدول الوسطى الصرب ، وسقطت الصرب .

وسقوط الصرب دعا إلى فتح السكك الحديدية بين أوربا الوسطى وتركيا

وسهل نقل المدافع ، الذخائر ، ورأت انجلترا الانسحاب من الدردنيل ، ولـكن الحملة فى سلانيك ظلت هناك لمراقبة اليونان .

وانتهت الحرب فى سنة ١٩١٥ فى صالح الدول الوسطى . فلم ينجح الحلفاء فى الغرب وانهزمت الروسيا فى الشرق ، ولم تفلح إيطاليا فى هجماتها، ودخلت بلغاريا فى صالح الدول الوسطى ، وسقطت الصرب وفشلت حملة الدردنيل .

ولـكن انجلترا كانت تسيطر على البحر ، فلم تحاول البحرية الألمانية منع الحملة الانجليزية من الوصول إلى فرنسا ، واستعملت الغواصات ، ولم تقم حرب بحرية مهمة . ولـكن بقرب ساحل شيلى هزم أسطول ألمانيا فى المحيط الهادى أسطول Cradock فى موقعة كورونيل Coronel فى أول نوفمبر ١٩١٤ . ثم عبر الألمان مضيق مجلان ، ولـكن دمر الأسطول فى ٨ ديسمبر بقرب جزائر فكلاند Folkland بقيادة شتوردى Sturdee . وفى أواخر سنة ١٩١٤ إختفى العلم الألمانى من المحيط، وقطعت المواصلات بين المانيا ومستعمراتها .

وفى عام ١٩١٦ بدأت كفة الحلفاء ترجح ، فقد انكسرت حدة الهجوم الألمانى نتيجة موقعتين فاصلتين فى تاريخ الحرب العالمية الأولى ، ففى معركة فردان استطاع الفرنسيون بعد تضحيات جسيمة أن يوقفوا الزحف الألمـانى وأن يستعيـدوا الأراضى التى فقدوها فى الهجوم الألمانى الأول ، وبذلك استطاع الفرنسيون أن يوقفوا الغزو الألمانى لأول مرة منذ بداية الحرب .

أما فى معركة السوم فقد فقد الألمان قرابة نصف مليون جندى بينما بلغت خسائر البريطانيين ٤١٠,٠٠٠ جندى والفرنسيون ١٩٠,٠٠٠ جندى وقد بلغت من شدة المعركة أن البريطانيين قد فقدوا فى اليوم الأول لها مايقرب من ٦٠,٠٠٠ مقاتل دون أن يستطيعوا تحطيم خط الدفاع الألمانى .

ومع ذلك فقد خسر الألمان خيرة قواتهم المحاربة فى هذه المعركة، مما اضطرهم إلى الاعتماد على المجندين الجدد الذين لم تكن لهم نفس الخبرة أو المقدرة التى كانت لزملائهم من قبل ، وبذلك بدأت كفة الحلفاء ترجح ، لا سيما وأن بريطانيا أصبحت أكثر إستعداداً على إمداد فرنسا بعدد أكبر من القوات الانجليزية المحاربة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن البريطانيين استطاعوا لأول مرة إستخدام الدبابة فى الحرب ، ففى معركة السوم بالذات وفى ١٥ سبتمبر ١٩١٦ ظهرت فى ميدان القتال ، ولو أن ظهورها لم يكن له خطره فى بادىء الأمر نظرا لعدم إستخدامها إستخداما صحيحا ، وكذلك لقلة عددها، إلا أن الاعتماد عليها بعد ذلك سيكون كبيراً وستكون من الأسلحة التى أكسبت للحلفاء النصر فى النهاية .

وإذا إنتقلنا إلى الميدان الشرقى نجد أن أعلام النصر الروسية بدأت ترفرف على الجبهة الشرقية إذ استطاع القائد الروسى بروسيلوف Brussilov أن يدحر قوات النمسا والمجر فى معركة دامت قرابة الشهرين استطاع فيها القائد الروسى أن يأسر حوالى ٤٥٠,٠٠٠ جندى نمسوى . وبهذا النصر استطاع الروس أن يردوا على الهزائم الأولى التى منيوا بها فى الحرب ، مما شجع رومانيا على إعلان الحرب على النمسا فى ٢٧ أغسطس ١٩١٦ . وبذلك يمكننا القول بأن سنة ١٩١٦ كانت حاسمة وفاصلة بين فترتين للحرب، وكانت فى صالح الحلفاء إلى حد كبير .

ولكن انضمام رومانيا إلى جانب الحلفاء قد أتاح للألمان فرصة الهجوم عليها واكتساح أراضيها، إذ استطاعت القوات الألمانية تحت قيادة فلكنهاين وماكنزن من اكتساح الأراضى الرومانية والاستيلاء على العاصمة بوخارست فى ٦ ديسمبر

١٩١٦ ، وبذلك استطاع الألمان أن يستولوا على دولة غنية بثروتها الطبيعية ولا سيما البترول عصب الحرب .

الحصار البحرى

ومما زاد من متاعب الألمان ذلك الحصار البحرى الشديد الذى فرضه الانجليز على الألمان مما أدى إلى قلة المواد الغذائية لدى الشعب الألمانى وإلى معاناة هذا الشعب من برنامج التقشف الذى فرضته الحكومة الالمانية عليه . ولكن مما قلل من هذا الضيق الترحيب الذى قابل به الشعب الألمانى تغيير القيادة العليا للجيش بعد النكسة التى أصيب بها فى معركتى فردان والسوم ، فتعيين هندنبرج قائداً عاما للجيش الألمانى فى ١٨ أغسطس ١٩١٦ ، وكذلك تعيين لوندورف رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش . وكان كلا الرجلين يتمتع بثقة الشعب الألمانى وتقديره .

ونظراً لتفوق انجلترا البحرى استطاعت أن تقوم بعملياتها البحرية فى البحر المتوسط دون أن تخشى شيئاً من قوة ألمانيا البحرية ، فتمكنت من إنزال قواتها فى الدردنيل، وكذلك فى سالونيك كما أنها قطعت كل صلة تربط ألمانيا بمستعمراتها، بحيث أصبحت تلك المستعمرات مهددة بالسقوط فى أيدى الحلفاء دون أن تستطيع ألمانيا أن تفعل شيئا من أجل انقاذها . كما أن قوة البحرية الانجليزية قد قللت إلى حد كبير خطر الحصار الألمانى الذى فرض على الجزر البريطانية عن طريق الغواصات التى قامت بحرب لا هوادة فيها فى إغراق السفن المتجهة لانجلترا مهما كانت جنسيتها .

على أن سياسة بريطانيا فى تفتيش السفن التجارية المتجهة نحو أوربا قد أثار غضب الدول الأوربية المحايدة . فلم تستسغ تلك الدول قبول التدخل البريطانى فى حريتها التجارية، رغم وقوفها على الحياد، وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية

التى كانت تقف على الحياد من الحرب الدائرة فى أوربا حتى ذلك الوقت . ولكن دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء قضى على معارضة الدول لموضوع التفتيش البحرى. ورغم تفوق انجلترا البحرى إلا أن الأسطول الانجليزى قد أصيب بخسائر كبيرة نتيجة لحرب الألغام والغواصات والطوربيدات .

وفى تلك السنة نشبت معركة جتلند Jutland (فى ٢١ مايو سنة ١٩١٦) بين الأسطولين البريطانى والألمانى لم تحرز فيها بريطانيا نصراً حاسما على العدو، بل أن خسائرها فى تلك المعركة قد فاقت خسائر خصمها . وبذلك لم يرتح الشعب الانجليزى لنبأ تلك المعركة لأنها لم تبين التفوق البريطانى البحرى ، بل على العكس لقد بدا للرأى العام الانجليزى أن القوتين البحريتين تكاد تكون على قدم المساواة وأن مسألة التفوق البحرى الانجليزى موضع نظر .

ولكن هذا الشعور المؤقت لم يكن يستند على أساس صحيح ، فالمعركة لا تمثل فى حقيقة الأمر قوة الدولتين، وإنمـــا تمثل ذكاء القائد العام للاسطول الألمانى ترپتز واستغلاله الحرب البحرية القصيرة المدى، وسوء الأحوال الجوية فى بحر الشمال كى ينزل بالأسطول الانجليزى خسائر فادحة . على أننا لا نستطيع أن ننكر أن قطع الأسطول الالمانى كانت أحدث طراز، ومدافعها أبعد مدى وأكثر قوة، كما أن دروعها كانت سميكة بحيث تعذر على القذائف الانجليزية أن تخترقها ، ولكن إلى جانب ذلك فهناك التفوق البحرى الانجليزى ممثلا فى خبرة البحارة الانجليز ودرايتهم بالحروب البحرية الواسعة المدى .

وحتى ذلك الوقت، أى بعد مضى نحو عامين على نشوب الحرب لم يحرز الطرفان المتصارعان نصرا حاسما يرجح أحدهما على الآخر ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب .

أولا : الفصل الذى ظهر بين رغبات الشعوب ومشيئة الحكومات . فبينما مالت الشعوب إلى الوصول بالحرب الى نهايتها عن طريق حل وسط يرضاه الطرفان، وذلك للخسائر الفادحة التى حلت بتلك الشعوب ، نجد أن الحكومات لم ترض بهذا الحل الوسط ورأت الاستمرار فى الحرب حتى نهايتها الفاصلة.

ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى ما تكبدته الشعوب ، ولا سيما فى سنة ١٩١٦ . من تضحيات جسيمة سواء فى ذلك المعسكر الانجليزى الفرنسى الروسى أو المعسكر الألمانى النمسوى التركى . زد على ذلك سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة للغلاء الذى استشرى فى أوربا، وقلة الأجور مما انخفض بمستوى المعيشة للطبقات الدنيا والمتوسطة على السواء .

ففى فرنسا مثلا نجد ثورة الرأى العام ضد وزارة بريان Briand من ديسمبر ١٩١٦ لأنها لم تقم بعمل إيجابى لإنهاء الحرب أو إدارتها على درجة من الكفاية تقرب يوم النصر . وكذلك حدث نفس الشىء فى بريطانيا إذ سقطت وزارة اسكويث Asquith فى ديسمبر من نفس العام، وحلت محلها وزارة لويد جورج.

وفى المعسكر المضاد نجد أن المستشار الالمانى بتمان - هولفج قد واجه أيضا صعوبات داخلية كثيرة من قبل المعارضة ، فطالبت منه اتخاذ سياسة أكثر حزما وشدة إزاء انجلترا .

أما فى النمسا فقد قامت صعوبات ضد الحكومة ولا سيما من القوميات غير الألمانية الخاضعة لحكم الدولة . وأدى الاضطراب فى شئون الدولة الى قتل رئيس الوزراء فى ٢١ أكتوبر ١٩١٦ ، كما أن الشعب المجرى لم ينظر بعين الارتياح الى سياسة وزارة الكونت تيسزا Tisza التى جرت الدولة الى الحرب .

ثانيا : نمو الحركة الاشتراكية فى أوربا فى ذلك الوقت فى مختلف الدول

الأوربية ، وقد التقت آراء الاشتراكيين الحياديين فى سويسرا تحت زعامة جريم Grimm الذين حاولوا إحياء مذهب الدولية Internationalism من جديد مع الاشتراكيين الإيطاليين والإشتراكيين الروس البلاشفة تحت زعامة لينين . وأدى هذا اللقاء إلى عقد أول مؤتمر اشتراكى دولى فى سبتمبر ١٩١٥ فى زيمرفالد Zimmerwald بالقرب من مدينة برن بسويسرا ضم أعضاء من جميع الدول المحايدة والمشتركة فى الحرب على السواء ، وقد أوصى المؤتمر فى قراراته مناشدة الشعوب الكادحة فى أوربا بأن يطلبوا من حكوماتهم إبرام الصلح . وقد تجدد هذا اللقاء مرة أخرى فى كنتهال Kienthal فى ١٩١٦ . فهذا النداء الذى انبعث من دول مختلفة إنما كان يعبر عن رأى كثير من الشعوب فى إنهاء الحرب وإقرار السلام .

ومع ذلك حاولت الحكومات ، رغم كل الصعوبات التى أشرنا اليها أن تدفع بالحرب حتى النصر . وقد بدا ذلك واضحا من رد الجانبين المتحاربين على المذكرة التى وجهها الرئيس ولسون فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٦ ، إذ أوضحت انجلترا وفرنسا والروسيا بأنها لا تقبل حلا وسطا، وبأن هدفها تحرير الالزاس واللورين وكذلك تحرير الربطانيين والسلافيين والرومانيين والتشكوسلوفاكيين من الحكم الأجنبى . بل إن هذه الدول قد ارتبطت فيما بينها باتفاقات سرية توضح أهدافها من الحرب، ففى مارس ١٩١٥ اتفقت بريطانيا وفرنسا والروسيا اتفاقا سريا يمنح الروسيا القسطنطينية ومضيق البسفور والدردنيل بعد الانتصار فى الحرب ، وكذلك عقد اتفاق سرى آخر فى مارس ١٩١٦ بين الدول الثلاث المذكورة وهى اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بينها.

وفى فبراير ١٩١٧ عقد اتفاق سرى ثالث بين فرنسا والروسيا تعطيها الأخيرة

بمساعدة الأولى فى استرجاع الألزاس واللورين والاستيلاء على أراضى السار .

كما أن ألمانيا لم تكن أقـــل رغبة فى كسب الحرب من تلك الدول ، ففى المذكرة التى وجهتها الحكومة الألمانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى يناير ١٩١٧ أوضحت قبولها استقلال بلجيكا بشروط خاصة وضمانات معينة ، تتلخص فى تجريد بلجيكا من قواتها الحربية ، ومنح المانيا حق الإشراف على الخطوط الحديدية البلجيكية وتسليم حصون لييج ونامور لإحتلالها بقوات ألمانية . كما أشارت المذكرة أيضا إلى رغبة ألمانيا فى توسيع رقعة أراضيها من جهة الشرق .

ومن هـذا يبدو واضحا أن الحكومات المتحاربة كانت مصممة على المضى فى الحرب حتى النصر .

دخول الولايات المتحدة الحرب

كان عام ١٩١٧ فاصلا فى الحرب العالمية الأولى ، فبالرغم من أن تلك السنة لم تشهد نهاية الحرب وانما شاهدت استمرارها ، إلا أن حدثين هامين قـد وقعا فيها غيرا التوازن فى القوى العالمية المتصارعة وهما : تدخل الولايات المتحدة الحربى وقيام الثورة الروسية .

فإذا تناولنا الحدث الأول نجـد أن الولايات المتحدة التى استمرت تعتنق مبدأ الحياد المشوب بالعطف على قضية الحلفاء فقد وافق برلمانها فى ٢ ابريل ١٩١٧ على رسالة الرئيس ولسون بدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا . وقد جاء دخول الولايات المتحدة الحرب فريدا فى نوعـه ، إذ لم يسبق ذلك مفاوضات مع الحلفاء أو وضع شروط معينة للتدخل ، وإنمـــا دفع الولايات المتحدة إلى الحرب محاولة انقاذ العالم الديمقراطى من الهزيمة من على

الدول الاستبدادية فى العالم . ولذا لم تطلق الولايات المتحدة على بريطانيا وفرنسا والروسيا اسم الحلفاء وإنما كانت تذكر اسم « الأصدقاء » أو «الشركاء» للدلالة عليهم .

وقد أعطى دخول الولايات المتحدة الحرب على هذا النحو قوة لها ، فهى لم تتورط فى الاتفاقات السرية التى عقدت بين الحلفاء من قبل ، كما أنها لم تشأ أن تكون طرفا فيها . وقد منحها هذا حرية العمل غير المقيد ، فمن حقها أن تخرج من الحرب فى أى وقت تشاء بعد أن تطمئن إلى القضاء على الروح العسكرية الألمانية . فلم يكن هدفها كهدف الحلفاء ، وهو كسب الحرب والقضاء على ألمانيا . وكان هذا الفهم الصحيح لموقف الولايات المتحدة يمثل تهديداً مستمراً لأهداف الحلفاء ومراميهم التوسعية على حساب الدول المهزومة .

وقد نتساءل عن العوامل التى دفعت الولايات المتحدة إلى اتخاذ مثل هذا القرار الخطير بعد أن اعتنقت سياسة الحياد فترة غير قصيرة من الزمن . فمبدأ مونرو قد رسم للولايات المتحدة الأمريكية سياسة واضحة المعالم فيما يتعلق بالمشكلات الأوربية ، فقد نص على ابتعاد الولايات المتحدة عن المنازعات الأوربية وعن شئون أوربا المعقدة. فسياسة الحياد هى خير وسيلة لضمان سلامة الولايات المتحدة . ولذا نجد أن الرئيس الأمريكى ولسون يوضح فى رسالته التى وجهها إلى الكونجرس فى ٢٢ يناير ١٩١٧ أنه لا يلغب فريقا على آخر ، بل أنه على العكس يتمنى صلحا دون نصر ، أى كان يريد صلحا يقوم على مراعاة مصالح الطرفين . وكان يستبعد فكرة اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب ، ففى هذا الشهر بالذات يصرح ولسون لصديقه الكولونيل هاوس House بأنه يعتبر الإشتراك فى الحرب جريمة على الحضارة .

ومع ذلك فقد كان الرأى العام الأمريكى منقسما على نفسه بخصوص فكرة الحرب ، فبينما نجد أن الولايات الشرقية تبدى ميلا ظاهراً نحو الحلفاء، نظراً لما بينها من روابط اقتصادية وثيقة ، نجد أن الولايات الأخرى لا سيما فى الوسط والغرب لم تبد اهتماما يذكر بهذه الفكرة . وعلى هذا النحو نجد أن فكرة الحرب لم تجد موافقة أغلبية الشعب الأمريكى .

إذاً كيف دخلت الولايات المتحدة الحرب مع هذا الانقسام البادى فى الرأى العام الأمريكى ؟

الحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية ظلت متشبثة بفكرة الحياد رغم تكرار إعتداء الغواصات الألمانية على سفنها التجارية عبر البحار . وطالما وجهت الولايات المتحدة الإنذار تلو الآخر للحكومة الألمانية على هذا العدوان الذى لا مبرر له على سفن دولة محايدة ، ولكن الألمان لم يعيروا تلك الانذارات أذنا صاغية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن كسب الحرب لن تيأت إلا بفرض حصار بحرى على الجزر البريطانية لإماتتها جوعا . وفى ٧ مايو ١٩١٥ نسفت الغواصات الألمانية عابرة المحيطات الانجليزية لوزتانيا Lusitania وكانت تحمل ١١٨ راكبا أمريكيا ، فاحتجت الولايات المتحدة على هذا العمل غير الودى من قبل الحكومة الألمانية . وقد حاولت الحكومة الألمانية أن تخفف من هجماتها على السفن الناقلة للركاب ، ولكنها لم تستطع أن تستمر على تلك السياسة طويلا، فسرعان ما عادت إلى هجماتها مرة ثانية أشد وأعنف مما كانت من قبل . لا سيما وقد خيل للقيادة الألمانية بأن هذه الهجمات الشديدة سترغم بريطانيا على التسليم العاجل السريع الذى قدر له فترة ستة شهور ، لا سيما وأنها اعتقدت أن تلك الهجمات ولو أنها ستسبب بعض الخسائر للولايات المتحدة الأمريكية إلا أنها لن

تؤد بطبيعة الحال إلى عدول الولايات المتحدة عن سياسة الحياد . وحتى على أسوأ تقدير إذا دخلت الولايات المتحدة الحرب فإن استعداداتها الحربية ستستلزم ما لا يقل عن عام كامل ، مع أن تسليم بريطانيا كما توقعته القيادة الألمانية لن يزيد على ستة شهور .

وبعودة حرب الغواصات مرة ثانية بعد حادث الباخرة لوزيتانيا استاء الرأى العام الأمريكى لنقض الحكومة الألمانية وعودها فى عدم مواصلة إغراقها للسفن الامريكية، وبدأت فكرة الحرب تجد تأييداً من الرأى العام . وكإجراء مؤقت أمرت الحكومة الأمريكية بتسليح بواخرها التجارية لمقـــاومة حرب الغواصات الألمانية ، وكان ذلك بطبيعة الحال مقدمة منطقية لدخول الولايات المتحدة الحرب .

وبالإضافة إلى تلك الخسائر المادية التى منيت بها الولايات المتحدة والشلل الذى أصاب تجارتها عبر المحيط نتيجة لحرب الغواصات ، فقد وقعت حادثة أخرى لها أهميتها الكبرى فى تصميم الحكومة الأمريكية على دخول الحرب ألا وهى (قضية برقية زيمرمان) . ويتلخص هذا الحادث فى أن زيمرمان Zimmermann مساعد وزارة الخارجية الألمانية كان قد أرسل إلى ممثل ألمانيا فى المكسيك برقية يقترح فيها على الحكومة المكسيكية الدخول فى حلف مع ألمانيا فى حالة دخول الأخيرة الحرب ضد الولايات المتحدة، فى مقابل استرجاع المكسيك للأراضى التى استولت عليها الولايات المتحدة فى عام ١٨٤٨ وهى كاليفورنيا ونيو مكسيكو . وقد استطاعت مخابرات انجلترا أن تستولى على تلك البرقية وأن تعرف مضمونها وأن تبلغها إلى الولايات المتحدة الأمريكية التى بدورها أعلنتها على الرأى العام الأمريكى الذى أثاره هذا العمل أيما إثارة .

كما أننا لا ننسى الدور الذى قامت به المصارف الامريكية التى اقرضت انجلترا وفرنسا قروضاً كبيرة لتمويل عملياتها الحربية ، فى دفع الولايات المتحدة إلى خوض تلك الحرب إلى جانب هاتين الدولتين ضماناً لأموالها وحفاظاً على مصالحها .

ومما لاريب فيه أن قضية الحلفاء قد كسبت كثيراً بدخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبها فى الحرب ، كما أن هذا التدخل كان حاسماً (١) فى ترجيح كفة الحلفاء على كفة دول وسط أوربا . ولكنه من زاوية أخرى قيد حرية الحلفاء فى الناحية السياسية إلى حد ما . فلم تعد تلك الدول مطلقة اليد فى أن تفعل ما تشاء ، بل كان عليها الحصول على موافقة الولايات المتحدة فى أى أمر تعتزم القيام به .

فمن الناحية العسكرية كان دخول الولايات المتحدة الحرب كسباً لا شك فيه ، ولكنه لم يتحقق بصورة فعالة إلا بعد مضى عام على إعلانها الحرب ، ريثما تمكنت من تطبيق نظام التجنيد الإجبارى وإعداد الجيوش وإنتاج الأسلحة اللازمة لخوض تلك الحرب . وعندما أتمت الولايات المتحدة استعداداتها الحربية ألقت فى ميدان القتال فى أوربا بمئات الآلاف من الجنود المزودين بأحدث الأسلحة ، فانقلب بذلك ميزان القوى إلى صالح الحلفاء ، وأتى بنتائجه فى ربيع عام ١٩١٨ .

ومن الناحية الاقتصادية ، فان دخول الولايات المتحدة الحرب قد أحكم الحصار حول ألمانيا ، وأنقذت انجلترا من التسليم بعد أن خسرت عدداً كبيراً من سفنها وأصبحت عاجزة عن نقل المواد الضرورية اللازمة للحرب ، وما هو

---

١ — بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ص ٦٦ .

أهم من السلاح ، وهى المواد الغذائية . فافتقار بريطانيا إلى وسائل النقل الكافية قد عوضه دخول الولايات المتحدة الحرب ، واستخدامها لأسطولها فى نقـل ما تحتاج اليه بريطانيا وفرنسا لمواصلة الحرب

هذا فضلا عن أن دخول الحكومة الامريكية الحرب قـد شجع بعض دول أمريكا اللاتينية مثل البرازيل وبيرو وأرجواى وجمهوريات أمريكا الوسطى من دخول الحرب إلى جانب الحلفـاء .

زد على ذلك أن الولايات المتحدة قـد اشترطت على الدول المحايدة التى تربطها بها علاقات اقتصادية ضرورة الامتناع منعا باتا عن بيـع ما تستورده من أمريكا إلى ألمانيا وحلفائها ، وإلا توقفت الولايات المتحدة عن المتاجرة معها .

ومن الناحية المـالية فقد سهل دخول أمريكا الحرب عملية اقتراض انجلترا وفرنسا . فبعد أن كانت حكومتا الدولتـين تلجأ كل منهما إلى المصارف الأمريكية للاقتراض منها لتمويل عملية شراء المؤن والمعدات اللازمة للحرب ، أخذت تتجه مباشرة إلى الحكومة الامريكية التى فتحت صدرها لذلك ، لمـا فيه من مصلحتها وفائدتها . وإلى جانب الفوائد التى عادت على الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب ، نجد التناقض الواضح بين وجهة نظر كل من الولايات المتحدة وشركائها بإزاء الحرب . وبالرغم مـن إحساس الرئيس الأمريكى ولسن به ، إلا أنه لم يجعل له أى تأثير على التعاون بينهم . وفضل إرجاء البت فى هذا الأمر إلى مابعد الحرب . وكان يعتقـد أن الولايات المتحدة بحكم ما لهـا من تفوق عسكرى ، وبحكم قوتها المـادية ، ونظراً لطبيعة الدور الذى قامت به فى الحرب من أجل تدعيم القوى الديمقراطية فى العالم ، سيكون لهـا الغلبة فى النهاية ، وستتمكن من تنظيم العالم وفق إرادتها بعد نهاية الحرب .

الثورة الروسية (مارس ١٩١٧)

كانت الأحوال السائدة فى الروسيا تنـذر بالخطر على النظـام القيصرى ، خصوصا بعد كارثة الهزيمة التى منيت بها الدولة فى حربها ضـد اليابان فى عام ١٩٠٥ . وما ترتب على ذلك من قيام ثورة فى تـلك السنة للقضاء على الحـكم القيصرى الفاسد .

وبالإضافة إلى تلك المتاعب الداخلية كانت الحكومة على غير وفاق مع البرلمان الروسى (الدوما) ، وذلك منـذ انشائه فى عام ١٩٠٦ . على أن طبيعة الفـترة التى مرت بالبلاد منذ عام ١٩٠٦ إلى قيام الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ قـد تميزت بالأزمات المستمرة بـين الدوما والحكومة . وكان أكـثر ما يخشاه كبـار رجال الدولة فى الروسيا من أمثـال المستشار دورنوفو Dournovo وميليوكوف Milioukov وزير الداخلية اشـتراك الروسيا فى الحرب فى الوقت الذى تموج فيه البلاد بحركة تذمر واسعة النطاق .

وكان مرد ذلك ، **اولا** : إلى سوء الإدارة وتفشى الرشوة وإسناد الوظائف الـكبرى إلى أناس ليسوا فوق مستوى الشبهات . وقد انعكس ذلك بشكل واضح على إدارة الجيش . وعلى تموين المدن الـكبرى نظراً لسوء إجراءات النقل .

ثانيا : ضعف القيصر الروسى نيقولا الثانى وقصور نظره وبعده عن الحياة العامة فى بلاده بعداً تاماً ، فلم يكن يدرى بما يعتمل فى نفوس الشعب من الثورة على الأوضاع الفاسدة فى الدولة ، وعلى رأسها القيصر الروسى وأفراد حاشيته . ولا سيما راسبوتين الذى كان يتستر خـلف مسوح رجال الـكنيسة لتنفيـذ مآربه الشريرة . واستطاع راسبوتين عن طريق صلتـه بالامبراطورة التى كانـ له

عليها تأثير لا يقاوم من التدخل فى كل شئون الدولة صغيرها وكبيرها حتى المسائل العسكرية .

وقد أدت فضائح القصر الامبراطورى إلى ازدراء الشعب للقيصر ، وإلى تطلعه لليوم الذى يطيح فيه بتلك الأسرة بعيداً عن العرش . بل لقد بلغ من سوء الحالة فى البلاد أن طلب أفراد الأسرة المالكة من القيصر ضرورة الأخذ بالنظام البرلمانى انقاذاً للبلاد من الدمار ، وانقاذاً لملكهم من الضياع .

ثالثاً : ظهور قوة المعارضة فى البلاد داخل مجلس الدوما وخارجه . ففى داخله نمت معارضة الأحرار ، وتشكلت كتلة تضم التقدميين منهم للمطالبة بتشكيل وزارة يرضى عنها البرلمان ، وتحكم وفق مصالح الشعب .

وفى خارج الدوما تمثلت المعارضة فى ثلاث كتل اشتراكية ، وكان أكثرها تطرفا كتلة « البولشفيك » بزعامة لينين التى كانت تؤمن بالقوة كوسيلة للوصول إلى السلطة . وتليها كتلة « المانشفيك » وهى ماركسية أيضاً شأنها فى ذلك شأن الكتلة البولشفية ، ولكنها أقل منها تطرفا . ثم تأتى كتلة الوسط وهى الكتلة « الاشتراكية الثورية » وهى أقلها تطرفا وأكثرها اعتدالا .

بدأت الثورة فى ٨ مارس ١٩١٧ بمظاهرة قام بها العمال فى مدينة بتروجراد لعدم توافر مواد التموين ، فتصدى لها رجال الشرطة ، فاتسع نطاقها ، واقتحم المتظاهرون قلعتى القـــديس بطرس والقديس بولص ، وأخرجوا المعتقلين السياسيين .

وعندما عجز رجال الشرطة عن قمع التمرد ، طالبت الحكومة بتدخل الجيش ، ولكنه رفض فاستقالت الوزارة . وفى ذلك الوقت تشكلت لجنة

تنفيـذية فى مجلس الدوما من الأحرار البورجوازيين . وكذلك تألفت منظمة تضم العمال والجنود أطلق عليها اسم « سوفيت بتروجراد » .

وأسفرت تلك الأحداث عن قيام حكومة مؤقتة من الأحرار والاشتراكيين وذلك فى ١٤ مارس ١٩١٧ .

وعندما لجأ القيصر إلى استخدام سلطته كقائد أعلى للجيش الروسى ، وأمر بعض القوات بالزحف على العاصمة وإخماد الثورة ، رفض هؤلاء القيام بهـذا العمل ، وكانت حجتهم أن قيـام حرب أهلية فى وقت تتعرض فيـه البلاد لغزو خارجى من قبل أعدائها ، عمل تنقصه الحكمة ، بل سيؤدى دون شك إلى انهيار مقاومة الروسيا ، وهزيمتها فى نهاية الأمر .

ولما وجد القيصر الروسى تصميم قواده على موقفهم آثر التنازل عن العرش فى بسكوف Pskov فى مساء ١٥ مارس ١٩١٧ ، لأخيه الدوق ميخائيل الذى لم يلبث بدوره أن تنازل عن العرش بعد ذلك بيومين اثنين بعد أن وجـد بقاء الإسرة الروسية الحاكمة أمراً مستحيلا . فتولت الحكومة المؤقتة التى أشرنا اليها كل الصلاحيات فى البلاد ، ريثما تشكل « الجمعية التأسيسية » التى ستأخذ على عاتقها اختيار نظام الحكم الجديد .

أثر الثورة الروسية فى سير الحرب

لم تكن الثورة الروسية فى حد ذاتها بذات قيمة بالنسبة لانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولـكن الذى أثار اهتمام تلك الدول هو موضوع استمرار الروسيا فى الحرب من عـــدمه . وكان الفريق الذى يعتقد فى مواصلة الروسيا الحرب يؤمن أن حكومة الجمهورية فى الروسيا ستكون أقـدر على السير بالحرب

من الحكومة القيصرية . لا سيما وأن ميليوكوف وزير الخارجية الروسية فى الحكومة المؤقتة كان صديقا لانجلترا وفرنسا ، وعضواً فى « الحزب الدستورى الديمقراطى » ومن أنصار مواصلة الحرب .

ولكن الأمور فى الروسيا كانت تسير فى غير صالح الفريق المنادى بالحرب ، فإنشغال الشعب الروسى بتنظيماته الجديدة ، وبمسألة توزيع الأرض أو عدم توزيعها ، قد دفع عدداً كبيراً من الجنود الروس إلى إلقاء أسلحتهم والعودة إلى بلادهم لمشاركة زملائهم فى المكاسب الثورية الجديدة . وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تفسكك الجيش الروسى وإلى انحلاله .

وهناك سبب آخر هو قيام الثورة الروسية الثانية فى نوفمبر ١٩١٧ ، إذ استطاع الحزب البولشفيكى تحت قيادة لينين والذى كان ينادى بالصلح مع ألمانيا ، من قلب الحكومة المؤقتة التى يرأسها كيرينسكى Kerenskij الاشتراكى - الثورى . وليس بغريب نظراً لمبادئه التى نادى بها ، ومنها الصلح مع ألمانيا أن تسمح له القيادة الألمانية أن يجتاز ألمانيا - رغم أنه من رعايا دولة معادية - الوصول إلى الروسيا .

وفى مساء ٦ نوفمبر ١٩١٧ يحدث الإنقلاب فتحاصر قوات لينين مدينة بتروجراد ، وترغم كيرينسكى على الفرار ، فتتشكل الحكومة الجديدة برئاسة لينين ، ويتولى تروتسكى Trotskiy «زارة الخارجية » وجوزيف ستالين Stalin شئون القوميات . وقد حاول كيرينسكى أن يعاود الكرة مرة ثانية ولكنه يفشل .

وليس من شك فى أن الإنقلاب البولشفى قد أثر على الروسيا تأثيراً خطيراً سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية . فمن الناحية الداخلية استطاع هذا

الانقلاب أن يغير نظم المجتمع الروسى تغييراً جذريا ، وأن يقسم الدولة الاشتراكية ، وذلك عن طريق تأميم كل الأراضى الزراعية ، وحق العمال فى الإشراف على مصانعهم ثم تأميمها بعد ذلك .

ولكن لينين أراد أن يبنى اشتراكية الروسيا على أساس توطيد دكتاتورية الطبقة الكادحة . ولذا حل الجمعية التأسيسية فى ١٩ يناير ١٩١٨ عندما وجد معظم أعضائها من الاشتراكيين الثوريين أنصار كيرينسكى . وجاء دستور ١٠ يوليو ١٩١٨ مدعما لسلطة الطبقة الكادحة حينما حدد مؤتمر السوفييت من له حق الانتخاب من المواطنين بالذين يشتغلون بأنفسهم ، وبذلك حرمت الطبقة البورجوازية من هذا الحق .

أما من الناحية الخارجية ، فقد أوفى لينين بوعده وأعلن اعتزامه عقد صلح مباشر مع الألمان ، وأبلغ هذا القرار إلى حلفاء الروسيا . وتم ذلك فى ١٥ ديسمبر ١٩١٧ فى معاهدة بريست - ليتوفسك Brest-Litovsk .

كان لعقد هذه المعاهدة أثر سىء على الحلفاء ، إذ فى الوقت الذى بدت فيه بوادر النصر قريبة اليهم بإنضمام الولايات المتحدة الى جانبهم فى الحرب ، نجد أن خروج الروسيا من صفوفهم قد أعاد التوازن الذى اختل لغير صالح الألمان. وترتب على ذلك نتيجتان هامتان : الأولى أن خروج الروسيا من الحرب خفف عبئاً ثقيلا عن كاهل الألمان ، مما يتيح لهم فراصة توجيه ضرباتهم القوية إلى الميدان الأوربى الغربى .

والثانية : أن إنسحاب الروسيا من الحرب قبل أن تكمل الولايات المتحدة استعداداتها الحربية لتكون قوة فعالة فى الميدان الأوربى قد منح ألمانيا فرصة

ذهبية يمكن استغلالها لكسب نصر حاسم فى أوربا فى وقت قصير ، وقبل أن تنزل الولايات المتحدة بثقلها فى الميدان .

المرحلة الاخيرة للحرب

لم يؤثر دخول الولايات المتحدة الحرب فى عام ١٩١٧ أثر يذكر فى سير المعارك ، فلم تستطع قوات انجلترا وفرنسا اقتحام الجبهة الألمانية فى غرب أوربا فى ابريل ١٩١٧ بل على العكس من ذلك كان انتصار قوات ألمانيا والنمسا حاسما على الجيش الايطالى فى معـــركة كاربوريتو (٢٤ اكتوبر ١٩١٧) ، فخسر ٢٩٠,٠٠٠ أسيراً و٣٠٠٠ مدفعا ، ولم تكن هزيمة الجيش الايطالى غير متوقعة بعد ما بلغه من ضعف نتيجة اهمال وزارة الحرب الايطالية فى إعداده وتسليحه ، وبعدما وصلت إليه الروح المعنوية للجنود الايطاليين من خور لسوء حالة الايطاليين ويأسهم من كسب الحرب أو مواصلة القتال . وارتد الجيش الايطالى إلى ضفاف نهر البياف حيث أخذ يعيد تنظيم صفوفه من جديد . وكان الفضل الأكبر فى إرجاع الثقة إلى نفوس الجنود وحملهم على القتال بحمية وعنف الجنرال كادورنا Cadorna القائد العام للقوات الايطالية .

كان هذا فى الميدان الأوربى ، ولكن إذا انتقلنا إلى ميدان الشرق الأدنى نجد أن انجلترا استطاعت فى ذلك الوقت أن تعبىء جيشاً كبيراً ، خرج من مصر تحت قيادة اللنبى اكتسح الشام واستولى على بغداد ، وذلك بالتعاون مع القوات العربية التى انضمت إلى صفوف الانجليز وأعلنت الثورة على تركيا . وبذلك تتحقق المطامع الانجليزية والفرنسية والصهيونية فى المشرق العـــربى التى تضمنتها معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور .

كان عام ١٩١٨ حاسما فى الحرب ، فما أن وقعت ألمانيا معاهدة الصلح مع

الروسيا إلا وأخذت تعد العدة للقضاء على أعدائها قبل وصول القوات الأمريكية، فمع بداية شهر يناير سحبت أربعين فرقة من الميدان الروسى لمهاجمة فرنسا بأسرع وقت ممكن ، فقد كانت تعلم بأنها فى حالة تسابق مع الهزيمة ، فلم يكن أمامها أكثر من أربعة شهور للقيام بهذا العمل .

ولقد اتخذت ألمانيا هذه الخطوة بعد أن عرفت بأن الحلفاء لن يقبلوا صلحا مشروطا ، وأن كلا الجانبين المتناحرين لا يسلم بحل وسط . ولذا عندما لاح للعسكريين الألمان أن المستشار الألمانى بتمان هلفيج يميل إلى التساهل نوعا ما ، لجأوا إلى عزله وتعيين لودندورف بدلا منه لتسيير دفة الحرب وفق مشيئتهم .

لم تحاول ألمانيا رغم حاجتها الشديدة إلى تعبئة أكبر قدر من الفرق العسكرية أن تسحب كل قواتها من الجبهة الروسية ، وكانت تقدر فى ذلك الوقت بسبعين فرقة ، نظراً لأن صلح (بريست - ليتوفسك) لم يوقع بين الروسيا وألمانيا إلا فى ٣ مارس ١٩١٨ . ولذا فالهدنة التى وقعت بين الطرفين فى ١٥ ديسمبر ١٩١٧ لم تكن كافية لتقنع الألمان بسحب كل قواتهم من الجبهة الروسية .

هذا بالإضافة إلى أن اضطراب الأمور فى الروسيا لم تطمئن الألمان على مستقبل علاقاتهم مع الروس ، فربما وصل إلى الحكم فى الروسيا فريق يؤيد فكرة عودة الحرب ، وبذلك تجد ألمانيا نفسها فى حرب مع الروسيا مرة ثانية . فالحكمة إذاً تتطلب المزيد من الحذر .

زد على ذلك خشية الألمان من انتشار المبادىء الشيوعية ، جعلتهم تتمسكون بالإبقاء على عدد كبير من الفرق لحماية ألمانيا ضد أية تطورات فى غير صالحها ؛

وإذا كان الألمان مصممين على النصر بأى ثمن مهما عظمت التضحيات ، حسبما جاء بخطاب (١٣ فبراير ١٩١٨) المستشار الألمانى لودندورف أمام مجلس الريشستاج الألمانى إذ يقول «سيكون القتال مريعاً ، وسيبدأ فى نقطة، ويستمر فى نقطة أخرى . وسيتطلب ذلك المزيد من الوقت وسيكون بالغ القسوة » ، فإن الفرنسيين والانجليز كانوا لا يقلون عنهم تصميما . وقد ساعدت الظروف هاتين الدولتين على أن يتولى الحكومة فيها رجال ممن عرفوا بقوة الشكيمة وشدة البأس، وقوة الاحتمال على النضال .

ففى فرنسا وصل إلى الحكم (١٣ نوفمبر ١٩١٧) كليمنصو ، وكان مصرا على أن يجمع فى يديه كل السلطة لمواصلة الحرب، فبالرغم من وجود البرلمان الفرنسى، فكان كليمنصو يعرف كيف يوقفه عند حده إذا ما تطلب الأمر ذلك . كما أنه أعلن منذ توليه الحكم على أن سياسته هى أن يحارب فى الداخل ، وأن يحارب فى الخارج ، وأن يحارب على الدوام . فكان بذلك خير من يقود فرنسا فى مثل ظروفها البالغة الخطورة .

وكان يقابله فى بريطانيا لويد جورج ، الذى لم يأبه لصيحات المعارضة داخل البرلمان . وكان يؤمن بأن من حقه أن يتخذ من الإجراءات ما يشاء فى سبيل كسب الحرب . ولذا كان يتمتع رغم وجود البرلمان بنوع من الدكتاتورية التى ساعدته كثيراً على إنجاز ما يريد من أعمال .

أما ايطاليا ، فرغم هزيمتها فى موقعة كاربوريتو ، ورغم الانقسام الداخلى فيها بخصوص الحرب ، إلا أن أورلاندو Orlando رئيس الوزراء قد تمكن من الحصول على تأييد العناصر المنادية بالحرب .

أما الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى رأسها الرئيس ولسن فقد عملت

جاهدة على إنقاذ الحلفاء فى أقصر وقت ممكن ، وعلى تسخير جهودها لنصرة الديمقراطيات فى العالم .

وفى ١٨ يناير ١٩١٨ حدد الرئيس ولسن فى رسالته إلى مجلس الشيوخ الأمريكى الأهداف التى ترمى الولايات المتحدة إلى تحقيقها لاقرار السلام فى المستقبل ، وهى ما أطلق عليها اسم المبادىء الأربعة عشر ، وهذه المبادىء تتضمن أسسا عامة؛ أهمها حرية الملاحة فى البحار وتخفيض السلاح على أن يحل محل ذلك إقامة عصبة الأمم لتأمين السلم العالمى ، وكذلك القضاء أو التخفيف من القيود الاقتصادية ، ~~وكذلك القضاء أو التخفيف من القيود الاقتصادية~~ ، وكذلك القضاء على المعاهدات السرية بين الدول . وهناك مبادىء خاصة تتعلق بتسوية المشاكل التى سببتها الحرب . إلا وهى إعادة الالزاس واللورين إلى فرنسا ، وتسوية قضايا دول البلقان بالطرق الودية مع مراعاة المصالح القومية كأساس لتلك التسوية ، وكذلك الإعتراف بإستقلال بلجيكا ، وتكوين الدولة البولونية المستقلة على أن يراعى فى تشكيلها إيجاد منفذ لها على بحر البلطى . وكذلك الاعتراف بالقوميات التى كانت تتكون منها الامبراطورية النمساوية المجرية ككيانات لها حق النمو . ومعنى هذا أن المبادىء الأربعة عشر قد تضمنت حق تقرير المصير كأساس عادل لصلح دائم .

ورغم انضمام الولايات المتحدة إلى انجلترا وفرنسا فى الحرب إلا أن توحيد القيادة بين الجيوش الثلاثة الانجليزية والفرنسية والأمريكية لم يتحقق خلال تلك السنة ، وقد تشاور الحلفاء فيما بينهم على فتح جبهة فى أوربا لتخفيف الضغط على الجبهة الغربية ولإرغام ألمانيا على تحويل جزء من قواتها إلى تلك الجبهة الجديدة . ولقد فكروا فى ذلك الوقت فى فتح جبهة فى سالونيك وكان لانجلترا وفرنسا

قوات حربية فيها، ولكن اعترض طريق تنفيذ هذه الفكرة افتقار الحلفاء فى ذلك الوقت إلى العدد الكافى من البواخر لنقل الجنود والمعدات الحربية إلى هذه الجبهة

ثم طرح على بساط البحث مشروع آخر يقضى بتعاون القوات اليابانية مع القوات الانجليزية والفرنسية للقيام بحمله على سيبريا لإشعار الألمان بالخطر الذى يتهددهم من ناحية الشرق ، وبذلك يبقون على جزء كبير من قواتهم فى الجبهة الشرقية

كانت خطة لودندورف هى القيام بضربة قاسمة لتجمعات القوات الانجليزية والفرنسية تمكنه من شطر تلك القوات إلى شطرين على أساس الهجوم بكل قواته وبكل مدفعيته على جبهة طولها ثلاثة وأربعون ميلا ، وأن يستمر الضرب بصفة متصلة إلى أن تتمكن القوات الألمانية من إيجاد ثغرة لها فى صفوف العدو وتستطيع أن تنفذ منها إلى قلب فرنسا . وقد نفذ ذلك فى ١٠ مارس ١٩١٨ ، فتمكنت القوات الالمانية من القضاء على الجيش الانجليزى الخامس بقيادة الجنرال جوف Gough وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامها صوب مدينة أميان Amiéns .

واقد تمكن الجيش الالمانى أن يفصل بالفعل بين الجيشين الفرنسى والانجليزى ، وكان على هذين الجيشين سد هذا الفراغ بأسرع ما يمكن حتى لا يتيحا للعدو فرصة الدخول الى قلب فرنسا . ولقد أبطأ الجيشان الانجليزى والفرنسى فى سد الثغرة بعض الوقت مما أتاح للعدو فرصة النيل من الجيشين على السواء . ولكن الجيش الألمانى لم يستمر فى مهاجمته بالقوة الأولى نظرا لحدوث تغيير أساسى فى خطته الحربية ، فقام بالهجوم على جبهات متعددة ، فهاجم الانجليز فى منطقة يبرس (٩ - ٢٩ أبريل) ، وكذلك هزموا الفرنسيين هزيمة ساحقة فى شيمان دى دام

Chemins des dames . ولكن كل تلك الهجمات لم تكن بذات فائدة كبيرة لأنها لم تستطع أن تدحر قوات الحلفاء أو أن تقضى على تحصيناتهم فى الجبهة الغربية. بل لقد كبدت الألمان خسارة فادحة .

على أن ما أصاب الجيش الانجليزى الخامس من هزيمة ساحقة قد أقنع الانجليز والفرنسيين بضرورة توحيد قيادتهم لمواجهة العدو فى معركة فاصلة وقبل الانجليز تعيين الجنرال فوش Foch الفرنسى قائدا عاما لقوات الحلفاء ويعاونه الضابط الفرنسى فيجان Weygand كرئيس لهيئة أركان حربه . والى جانبه الجنرال ولسون رئيس هيئة أركان حرب الجيش البريطانى ، صديق الجنرال فوش . وبهذه القيادة المتعاونة القديرة بدأ الحلفاء صفحة جديدة فى الحرب ، وظهر تفوقهم على أعدائهم ، خصوصا بعد أن بدأت الفرق الأمريكية تفد على ميدان القتال وتحتل أماكنها إلى جانب شركائهم . وتمكن الجنرال فوش من إعادة تنظيم قوات الحلفاء وتنسيق التعاون فيما بينها .

وفى ٩ أبريل ١٩١٨ عاود الألمان هجومهم للمرة الثانية على الجبهة الغربية الممتدة من أرمانتيير Armentières الى لاباسيه La Bassée بقصد الوصول إلى موانى بحر المانش وهى بولونى Boulogne وكاليه، ورغم ما أصاب القوات الانجليزية التى تصدت للعدو من خسائر إلا أن القوات الفرنسية والانجليزية الأخرى هبت لنجدتها فى الوقت المناسب وفوتت على الجيش الالمانى الوصول إلى أهدافه ، وبذلك انكسرت حدة الهجوم الألمانى الثانى وتوقفت .

عاود الألمان بعد فترة من الوقت زحفهم الثالث فى ٢٧ مايو ١٩١٨ على جبهة شمال نهر الأين حيث تتركز أربع فرق انجليزية ضعيفة والى جانبها ثلاث فرق فرنسية أخرى، وألقى الألمان بثلاثين فرقة أى بأكثر من أربعة أمثال القوات الفرنسية

والانجليزية . وحملت تلك القوات على جبهة الحلفاء حملة صادقة مزقت شملها ودفعت بقوات الالمان جنوبا الى نهر المارن. واستطاع الالمان بهذه العملية أن يتوغلوا حوالى ستين كيلو مترا . ومع ذلك لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم على أعدائهم .

وفى ٢٥ يوليو قام الجيش الالمانى بهجومه الرابع على الجيش الفرنسى فى الشامبانى Champagne ، على أن تساندها فى نفس الوقت القوات الالمانية الموجودة على نهر المارن وكانت القيادة الفرنسية على علم بهذا الهجوم فاستعدت له ، ووضعت خطة حربية للقيام بحركة مضادة لشل زحف الجيش الالمانى. ونجح الجنرال الفرنسى مانجان Mangin فى إرغام الالمان على التراجع .

وكان من الطبيعى أن يثير انتباه ساسة المانيا عجز قواتها العسكرية عن الوصول إلى حل رغم الانتصارات التى أحرزتها . وأيقنت فى نفس الوقت أن المانيا التى فشلت فى إرغام أعدائها على التسليم قبل نزول القوات الامريكية بكامل عددها إلى الميدان ، لن تستطيع بحال من الاحوال أن تحصل على النصر بعد أن يتم ذلك . ومن ثم بدأت بعض الأصوات الحكيمة التى تقدر خطورة الموقف وسوء المصير تنادى بضرورة الوصول إلى حل بالطرق الدبلوماسية ، وأن الحصول على كل شىء أمر غير ممكن فى ظروف المانيا الحالية . وعلى رأس هؤلاء كوهلمان Kühlmann وزير الخارجية الالمانية الذى صرح بذلك فى الخطاب الذى ألقاه فى مجلس الريشستاج فى ٢٤ يونيه ١٩١٨ .

ولكن هذا الرأى الصائب الذى كان من المتحمل أن ينقذ المانيا من الدمار الشامل قد ضاع أمام سيطرة لودندروف وتعنته . بل لقد ذهب به الغضب إلى حد عزله من الوزارة .

هزيمة ألمانيا وحلفائها

وعندما توافرت لدى الحلفاء القوات الحربية المطلوبة ، لا سيما بعد أن ارسلت الولايات المتحدة الأمريكية سبعة وعشرين فرقة حربية إلى ميدان القتال ، انقلب موقف الدفاع إلى هجوم . منتهزين فرصة سوء الأحوال الاقتصادية فى المانيا ، وانحطاط معنويات جيشها ، ويأسه من إحراز النصر . وكانت خطة الجنرال فوش ترمى إلى اتخاذ نفس الأسلوب الالمانى الأول فى الهجوم ، وهـــو القيام بعدة ضربات على جبهات مختلفة لتشتيت قوى العدو ، استعداداً لهجوم عام شامل للإجهاز عليه .

بدأ هذا الهجوم مع شهر أغسطس ١٩١٨ ، وكان عنيفاً قاسياً ، ولا سيما يوم ٨ أغسطس الذى أطلق عليه لودندورف « اليوم الاسود » ، إذ تمكنت القوات الانجليزية بقيادة هايج من هزيمة الالمان قرب أميان ، وأسر حوالى عشرين الف جندى ، بعد أن تخلى الالمان عن مواقعهم الأصلية . وذلك بفضل تفوق الحلفاء فى سلاح الدبابات ، ووفرة ماليهم منها . ومنذ تلك المعركة أحس لودندورف بأن أمل المانيا فى الانتصار قد ضاع إلى الأبد . وقد صرح بذلك إلى القيصر الالمانى الذى أبدى رغبته فى إنهاء الحرب والمانيا مازالت تقف على أقدامها، وقبل أن تخر صريعة . ولكن هذه الرغبة لم تعززها مساع حقيقية ، بل ظل رجال الحزب الالمانى يحدوهم الأمل فى استطاعتهم إيقاف هجمات الجنرال فوش . وفى ذلك الوقت يتقدمون بطلب الصلح وما زالت أقـــدامهم على الأرض الفرنسية . وفى ٢٥ سبتمبر قام الجنرال فوش بثلاث هجمات على أرجون وسان كنتان والفلاندر فى وقت واحد .

ولم يقتصر الأمر على المانيا فحسب ، بل توالت النكبات عليها من كل

جانب ، فانهارت جبهة سالونيك وهزمت قوات بلغاريا ، وتراجعت على طول الخط . كما استطاعت القوات الانجليزية أن تجتاح الشام كله وأن تدخل دمشق وأن تدفع بالقوات العثمانية داخل حدود شبه جزيرة الأناضول .

وبدأت بعد ذلك قوات حلفاء المانيا تتساقط كأوراق الخريف، وأولها قوات بلغاريا التى وجدت أن من صالحها - بعد أن ايقنت من هزيمة المانيا - أن تمديدها طالبة الهدنة ، فربما ساعدها ذلك على الحصول على شروط صلح أفضل مما لو استمرت إلى نهاية الحرب لتلقى نفس مصير المانيا . هذا ومن وجهة أخرى فإن بلغاريا رغم دخولها الحرب مع المانيا إلا أنها لم تقطع علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة . وكان نزول القوات الأمريكية ميدان القتال حافزا لها على استرضاء الولايات المتحدة . وأخيراً كانت بلغاريا يائسة من استجابة المـــانيا لمطالبها الاقليمية ، لا سيما فى منطقة دوبروجا . لكل هذه الأسباب، طلبت بلغاريا الهدنة فى ٢٦ سبتمبر ١٩١٨ ، ووقعت عليها فى ٢٩ من نفس الشهر ، وتنص شروطها على النقاط التالية:

أولا : تسريح الجيش البلغارى فى الحال ، وتسليم اسلحته وعتاده .

ثانياً : أن تحتل قوات الحلفاء مراكز استراتيجية معينة داخل بلغاريا فيما عدا العاصمة .

ثالثاً : طرد جميع الالمان من أراضيها .

وقد كشف تسليم بلغاريا جبهتى تركيا والنمسا ، ولهذا سارعت تركيا بطلب الهدنة . بينما كان اقتراب قوات الحلفاء من الحدود النمساوية نذيراً للقوميات التى تكونت منها الدولة كى تهب للاستقلال . وبذلك يتحقق للحلفاء تمزيق أوصال

الامبراطورية النمساوية التى بذلت جهوداً مضنية عشرات السنين لتكوين أمة واحدة من الأقليات القومية الخاضعة لحكمها ، ولكنها لم تفلح .

وقد انهارت قوى الامبراطورية النمساوية قبل خوض المعركة الفاصلة ، نتيجة تصريحات الرئيس الأمريكى ولسن التى أوضح فيها عطف أمريكا على تحقيق الأمانى القومية لتلك الاقليات . وبناء على ذلك فالأقليات التى كانت ممثلة فى الجيش النمساوى مثل العناصر السلافية واليوغوسلافية والتشيكية لم تجد لها مصلحة فى الدفاع عن كيان الامبراطورية ، بل العكس هو الصحيح . ولذا عندما هاجمت القوات الايطالية النمسا لم تجد أمامها سوى جيش منهار معنويا ، أغلبيته ليست حريصة على القتال بقدر حرصها على تسليم أسلحتها طلبا للنجاة .

وأمام هذا الموقف الخطير لم تجد الدولة النمساوية مناصا من طلب الهدنة والتوقيع عليها فى فيلا جيوستى Villa Guisti فى ٣ نوفمبر ١٩١٨ .

أما المانيا التى ظلت تقاوم بعناد تحت قيادة لودندروف اقتنعت فى شهر سبتمبر ١٩١٨ بأن مواصلة القتال أمر بعيد الاحتمال ، وأن عليها أن تقبل الأمر الواقع، وأن تسلم كما سلمت حليفاتها من قبل ، لا سيما وأن الرئيس ولسن قد وضع أسسا عامة للصلح فى مبادئه الأربعة عشر لا ترى ألمانيا بأسا من قبولها . وكان من الطبيعى أن تسقط وزارة الحرب الألمانية لتحل محلها وزارة جديدة تتولى الدخول فى مفاوضات لطلب الهدنة والصلح . وبالفعل تولى الأمير ماكس باد Max de Bade الحكم وأخذ على عاتقه مفاتحة الولايات المتحدة فى أمر الهدنة والصلح فى ٤ اكتوبر ١٩١٨ . ولكن الأخيرة اشترطت للدخول فى مفاوضات للصلح أن تقوم فى المانيا حكومة تتمتع بثقة الشعب الألمانى وتمثله تمثيلا صحيحا . فقبلت الحكومة الألمانية ووقع وفدها شروط الهدنة فى روتوند Rethondes فى

١١ نوفمبر ١٩١٨ ، وهى تنص على تسليم الالمان لكل أسلحتهم من برية وبحرية وجوية ، وكذلك السكك الحديدية والانسحاب عن كل الأراضى التى استولوا عليها . ولم يكن هناك بد من قبول كل تلك الشروط دون مناقشة

حدث هذا فى الخارج ، أما فى داخل ألمانيا فقد طالب الاشتراكيون بضرورة تنازل القيصر غليوم الثانى عن العرش . وقد حاول القيصر المقاومة بالزحف بقواته على العاصمة ، ولكنه لم يستطع لرفض ضباط الجيش ذلك . وأخيراً اضطر مرغما إلى التنازل .

وقد قيل بأن الاشتراكيين قد طعنوا الدولة من الخلف ، وأن الجيش الالمانى سلم تحت ضغط هؤلاء ولكنه لم يهزم . وحقيقة الأمر سواء قام الاشتراكيون بخلع القيصر أم لم يقوموا ، فقد كانت المانيا تسير بخطى واسعة إلى مصيرها المحتوم ، وأنه لو تمكن الجيش الالمانى الصمود بعض الوقت ، فلم يكن بمستطيع ذلك إلى النهاية ، لا سيما وأنه قد قلت موارده بعد تسليم حلفائه ، بينما موارد أعدائه فى زيادة مستمرة . فالوقت إذاً لم يكن فى صالح المانيا ، فخير لها أن تسلم إنقاذاً لها من الدمار الشامل ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية عندما ركب هتلر رأسه وأصر على موقفه المتصلب حتى أتى على المانيا وقضى عليها قضاءاً تاما .

الفصل الخامس عشر

معاهدات الصلح

أحدث إعلان الرئيس الامريكي ولسن النقط الاربع عشرة الشهيرة في ٨ يناير سنة ١٩١٨ دويا في العالم ولا سيما لدى الفريقين المتحاربين . وقد اعترف الألمان بأن هذه النقط هي التي قضت عليهم لأنها شجعتهم على التسليم قبل أن تهزم المانيا هزيمة كاملة على يد أعدائها ، وذلك طمعا في صلح مشرف مع الحلفاء

وكانت هذه النقط مبينة لوجهة نظر ولسن فيما يجب أن يكون عليه السلام في أوربا بعد الحرب . ولقد أصدر الرئيس هذه النقط بعد أن اطلع على معاهدات الحلفاء السرية بحيث تكون صالحة في حالة انتصار الحلفاء أو هزيمتهم ، أو في حالة عقد صلح وسط بينهم وبين المانيا(١) .

وأهم المبادىء التي اشتملت عليها تلك النقط هي : العمل من أجل السلام وتخفيض السلاح ، وتسوية المشاكل الاستعمارية بما يحقق العدالة وحرية البحار ، ورفع الحواجز الاقتصادية ، وصراحة المعاهدات ، وإنشاء عصبة الأمم .

ثم زيد على تلك المبادىء مبدأ آخر هام ينص على احترام حقوق الشعوب ، بحيث لا تصبح تلك الشعوب سلعة تباع وتشترى على موائد السياسة . كما أشارت أيضا إلى ضرورة تعديل الحدود بين الدول عن طريق التراضي واحترام قانون الجماعات المتمدنية .

---

(١) د. محمد محمود السروجي . سياسة الولايات المتحدة الخارجية ص ١٢٦

وقد اختلف الكثيرون فى تفسير هذه النقط ، وذهبوا فى شأنها مذاهب شتى، فقد نعتها البعض بأنها ليست سوى مصيدة ، وأن الرئيس ولسن لم يفكر فى تطبيقها بصفة جدية . ولكن أصحاب هذا الرأى مخطئون. فلقد تضمنت معاهدات الصلح ، وخاصة معاهدة فرساى ، عدداً من هذه النقط . وكان الرئيس ولسن حريصا على إعلانها قبل نهاية الحرب لتكون أساسا عادلا لتسوية المشاكل التى ستتخلف عن الحرب ، ولتمهد بذلك لفترة سلام طويلة الأمد . بينما البعض الآخر قد مدحها وقدر أهمية صدورها فى العمل على إنهاء تلك الحرب التى أصابت البشرية بويلات لم تعهدها من قبل .

وعلى أى حال فاذا لم تكن تلك المبادىء قد طبقت تطبيقا صحيحا كما رمى بذلك الرئيس ولسن إلا أنها قد فرضت وجودها على معاهدات الصلح ، وأن الدول القومية التى ظهرت فى أوربا فى أعقاب تلك الحرب إنما يرجع الفضل فى قيامها الى تلك المبادىء .

وقد أشرنا من قبل أن المانيا قد طالبت بالصلح على أساس تلك النقط ، وكان على رأس حكومتها ماكس فون بادن المعروف بآرائه الحرة . وكان نتيجة تمسك ولسن بقيام نظام حكم دستورى فى المانيا كشرط لقبول الصلح أن سقطت أسرة الهوهنزلرن الحاكمة فى المانيا ، كما سقطت بقية الأمراء الألمان .

ولإنشاء سلام جديد يرفرف على أوربا بصفة خاصة ، والعالم بصفة عامة ذهب ولسن بنفسه إلى مؤتمر السلام يحـــدوه الأمل فى اقناع ساسة أوربا بصلح عادل قائم على أساس عصبة من الشعوب الديمقراطية المحبة للسلام .

وربما كان خيرا لولسن لو بقى فى الولايات المتحدة وأرسل من ينوب عنه فى المؤتمر، ولكنه أراد أن يواجه ساسة اوربا الكبار من أمثـال لويد جورج وكليمنصو بشخصيته ونفوذه العـالمى وبسطوة الولايات المتحدة . ولكن قوة ولسن لم تكن كما يظن هو أو يظن قرناؤه فى أوربا . ولقـد قويت المعـارضة لمشاريع الرئيس ولسن أثناء غيابه فى أوربا، وقوى القول بأنه ليس الممثل الحقيقى للولايات المتحـدة ، وذلك لرفض بعض الزعماء بأن تزج الولايات المتحـدة الأمريكية بنفسها فى مشكلات اوربا فى فترة ما بعد الحرب ، ولمطالبتهم الحكومة الأمريكية بضرورة العـودة إلى سياسة العزلة وترك اوربا بأحقادها ومطامعهـا تفعل ما تشاء .

وإذا نظرنا إلى حالة دول اوربا فى ذلك الوقت نجد أن دول الوسط المنهزمة قد خرجت من الحرب مقطعة الأوصال وفى حالة سيئة ، أما الدول الحديثة التى نشأت فى أواسط أوربا وشرقها فلم تكن قد استقرت بعد، فحدودها كانت غير معترف بها ، ولم تحدد تحديداً دقيقاً ، كما أنهـا لم تكن على درجة من الكفاية والخبرة بحيث تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها . هذا فضلا عن أنها كانت تتكون من عناصر مختلفة لم تكن جميعها على درجة واحدة من الولاء للحكومات الجديدة . زد على ذلك أن دول أوربا المنهزمة قد خرجت من تلك الحرب بعد أن فقدت حوالى ثمـانية ملايين من زهرة شبابها فى الحرب ، وما صاحب ذلك من إنتشار الجوع والفقر والأوبئة التى فتكت بعدد هائل من هؤلاء الشبان .

أما عن معاهدات الصلح فنستطيع القـول بأن للزعماء الثلاثة ولسن ولويد جورج وكليمنصو أكبر الأثر فى تشكيل تلك المعاهدات على النحو الذى أتت عليه، كما أن هناك اعتبارات متعددة أملت عليهم نصوصها، وأهمها حقيقة الأمر الواقع

الموجود فى اوربا والذى لا يمكن تجاهله بأى حال من الأحوال .

ولم تكن المشكلة التى واجهت الحلفاء المنتصرين هى فرض شروط الصلح التى تقتضيها على ألمانيا وحلفائها ، فألمانيا كانت أضعف من أن تعارض مطالب الحلفاء ، ولكن المشكلة جاءت من صعوبة إتفاق المنتصرين على الشروط التى يجب فرضها على الالمان وحلفائهم، نظراً لتضارب المصالح بين الظافرين . فمنذ أن انتهت الحرب هبت كل دولة للدفاع عما اعتقد بأنه مصالح حيوية بالنسبة لها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فدول الوفاق الثلاثى ، انجلترا وفرنسا وايطاليا ، التى خاضت الحرب فى مرحلتها الاولى لم تتفق مع الولايات المتحدة الامريكية قبل دخولها الحرب على الشروط التى ستخوض المعركة على أساسها . فاشتركت الولايات المتحدة فى الدور الأخير منها اشتراكا فعالا كان له أكبر الأثر فى إنزال الهزيمة بالأعداء ، وفى وضع نهاية سريعة للحرب . فدور الولايات المتحدة الهام لا يمكن أنكاره ، ولهذا لا بد أن يكون لرأيها وزنه فى أية تسوية تعرض على مؤتمر الصلح .

وكان من المسلم به أن تتم التسوية على أساس النقاط الاربع عشرة ، خصوصا أن ألمانيا عندما طلبت عقد هدنة وجهت نداءها إلى الرئيس ولسن معلنة موافقتها على الدخول فى مفاوضات الصلح على الأساس الذى أعلنه فى تلك النقط ، وهو ما لم تقبله دول الوفاق بسهولة إلا بعد أن هددت الولايات المتحدة الأمريكية بعقد صلح منفرد مع ألمانيا إذا لم يقبلوا وجهة نظرها .

ورغم اتخاذ النقاط الاربعة عشر أساس التسوية إلا أنها لم تكن محددة وواضحة ، فغلب عليها التعميم والابهام ، فتعرضت نتيجة ذلك لكثير من

التأويلات والتفسيرات التى أبعدتها فى بعض الأحيان عن المعنى المقصود. وعندما بدأ تطبيقها على الأوضاع الأوربية فى ذلك الوقت وجدوا أن اسلم السبل لتحقيق الهدف هو مراعاة احترام حقوق القوميات كمبدأ أساسى هام يجب ألا يحيدون عنه .

ولكن هذا المبدأ تعذر تطبيقه بدقة فى أماكن عديدة فى أوربا بالنظر إلى كونها مناطق إختلاط وامتزاج يستحيل معها وضع خطط تقسيم معين يفصل بين أجزائها ومن هناك بدأ الاجتهاد فى حل تلك المشاكل بعيداً عن التطبيق الحرفى للمبادىء .

ويحسن بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل ما أسفرت عنه معاهدات الصلح أن نبين أوجه الخلاف بين الدول المنتصرة ، والتى يمكن تلخيصها فى اختلاف مفاهيم الدول الخمس الكبرى ، وهى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان فيما يختص بالمبادىء السياسية لمؤتمر الصلح ، وترتب على اختلاف المفاهيم تباين المصالح فيما بينها .

فوجهة نظر انجلترا تنحصر فى نقطتين جوهريتين : الأولى إيجاد نوع من التوازن الدولى ، تتمتع فى ظله دول أوربا بحياة اقتصادية نشيطة تحقق لانجلترا ما ترجوه من تبادل تجارى معها .

والنقطة الثانية هى العطف على ألمانيا ومعاملتها بشىء من التسامح حتى لا تدفعها قسوة المعاملة إلى الارتماء فى أحضان الروسيا الشيوعية.

وفيما عدا هذين المطلبين لم تكن لها أطماع اقليمية فى القارة الأوربية ، وإنما انحصرت فى ميدان الاستعمار .

أما فرنسا فقد تركزت كل جهودها فى نقطة هامة جوهرية ، ألا وهى تحقيق الامن والضمان لها فى المستقبل . ويكفى لتبرير تلك المخاوف أنها تعرضت للغزو ثلاث مرات فى مدى قرن واحد (١٨١٥ ، ١٨٧١ ، ١٩١٤) فهذه المسألة بالنسبة اليها مسألة حياة أو موت .

أما الولايات المتحدة فقد ظلت بعيدة عن المشاكل الاوربية منذ حصلت على إستقلالها فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وظلت الولايات المتحدة حريصة على تحقيق تلك السياسة إلى أن اضطرت إلى خوض الحرب العالمية الاولى دفاعا عن الديمقراطيات الأوربية ، ولاستفحال الخطر الالمانى نتيجة إعتداء ألمانيا على سفن الدول المحايدة ، مما ألحق بها بعض الاضرار . فالهدف من دخولها الحرب تحقيق هاتين النقطتين .

ومن هنا كان كل مايهم السياسة الامريكيين أن يقوم صلح أوربى على أساس المبادىء الاربعة عشر ، يكفل تحقيق العدالة — والإبتعاد بقدر المستطاع عن الحلول الوسط التى تعجز عن إقامة سلام وطيد فى أوربا — وأن يدعم النظم الديمقراطية ، وأن يحترم الحريه الفردية . وأن يقيم العلاقات بين الدول فى ظل عصبة الامم .

أما اليابان فلم تهتم بالشئون الاوربية ، فكان نشاطها منصرفا إلى منطقة الشرق الاقصى فحسب . وإذا انتقلنا إلى ايطاليا نجد أنها قد خاضت الحرب على أسس محددة تضمنتها معاهدة لندن ١٩١٥ وهى الحصول على ترانتان وايستريا وجزء من ساحل دلماشيا .

وفى نفس الوقت كان على الدول الكبرى أن تستجيب لمطالب الدول والشعوب

الصغيرة التى اشتركت فى الحرب، وكان بينها وبين بعضها خلافات وحزازات قديمة وتعارض فى المصالح، وتصارع حول مناطق معينة . وبعضها كان لا يرى التمسك بحقوق القوميات بل مراعاة الحقوق التاريخية والمصالح الاستراتيجية والاقتصادية وإعطائها الاولوية فى تسوية تلك الامور .

أضف إلى ذلك صعوبة التوفيق بين أمزجة وميول رؤساء الدول التى اشتركت فى مؤتمر الصلح ، وإذا قلنا رؤساء الدول فإنما نقصد بذلك رؤساء الدول الخمس المتحالفة وهى انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة واليابان الذين أطلق عليهم اسم « مجلس الخمسة » ولو أن اليابان لم تقم بدور رئيسى فى التسوية ، فاقتصر العمل على « مجلس الأربعة » الذى كان يبت فى كل ما يعرض عليه من أمور فى جلسات سرية . وهذه الجلسات كانت ميدانا فسيحا يصول فيه هؤلاء الرؤساء ويجولون طبقا لاستعدادهم الشخصى .

وإذا تناولنا شخصيات رؤساء تلك الدول بشىء من التحليل نجد أن الرئيس ولسن كان يشعر بتفوقه المعنوى ، ولكن صفة الاستاذ الجامعى [1] ظلت متغلبة عليه ، فكان ينظر إلى المبادىء أكثر مما ينظر إلى حقيقة الأمر الواقع . وهذا الاتجاه حجب عن عينيه حقيقة الأوضاع السياسية فى اوربا .

أما كليمنصو ممثل فرنسا فقد عرفته بلاده مناضلا كبيراً، وعرفته مقاعد المعارضة فى البرلمان الفرنسى كمعارض لا تلين له قناة وكان حاد الذكاء، متحمسا لآرائه ، عنيفا فى مناقشاته وفى تهجمه على رؤساء الدول ، سخر من المبادىء ، وكان يؤمن بالواقعية وبالمصلحة قبل كل شىء .

---

(١) كان ولسن أستاذا لعلوم السياسية .

أما ممثل انجلترا لويد جورج فقد اشتغل بالمحاماة ، وعرك الحياة البرلمانية ، وتولى مناصب سياسية كثيرة ، فغلبت عليه الصفة السياسية . ولكن مما يؤخذ عليه تردده وتقلبه فى أحيان كثيرة استجابة للرأى العام الانجليزى .

أما ممثل ايطاليا اورلاندو ، فرغم ثقافته الممتازة ، لم يكن له أى أثر فى توجيه سير المناقشات .

كان الخلاف شديداً بين فرنسا من ناحية وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية من ناحية أخرى ، بشأن مطالب فرنسا فى ضم منطقة السار . وكذلك حدثت مشادات حارة بين ايطاليا والولايات المتحدة بشأن مطالب الأولى فى البحر الادرياتى . كما ثار خلاف حول مقاطعة شانتونج الصينية التى كانت تابعة لألمانيا ، فقد وعدت كل من فرنسا وانجلترا اليابان بمنحها تلك المقاطعة إذا ما دخلت إلى جانبها الحرب . وعارضت الولايات المتحدة ذلك بحجة أن المنطقة صينية ويجب أن تعود إلى الصين . ولكن نظراً لحرج موقف انجلترا وفرنسا وافقت الولايات المتحدة مضطرة على مطالب اليابان .

أشرنا من قبل كيف أدى تدخل الولايات المتحدة إلى إنهاء الحرب طبقا لمبادىء الرئيس الامريكى ولسن ونتيجة قبول ألمانيا التسليم للحلفاء على أساس تلك المبادىء ، فوقعت الهدنة بين ألمانيا وبين ممثلى الحلفاء فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ ، وأهم ما تضمنته من شروط هى :

أولا : انسحاب جميع القوات الألمانية من كل المناطق التى احتلتها إلى ما وراء الضفة الشرقية لنهر الراين .

ثانياً : تسليم ألمانيا لأسطولها ومعداتها الحربية .

ثالثاً : وضع خطوطها الحديدية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الراين فى خدمة قوات الحلفاء .

رابعاً : إطلاق سراح جميع الأسرى المعتقلين لدى ألمانيا .

خامساً : إلغاء معاهدتى برست ليتوفسك وبوخارست المعقودتين مع المانيا من ناحية والروسيا ورومانيا من ناحية أخرى .

معاهدات الصلح

تمت تسوية مشكلات الحرب فى معاهدات عدة هى معاهدة فرساى ، ومعاهدة سان جرمان ، ومعاهدة تريانون ، ومعاهدة نوبى ، ومعاهدة سفر . ويهمنا فى هذا المقام أن نبين أثر تلك المعاهدات على الجانبين المتحاربين أولا ، ثم أثرها بعد ذلك على أوربا بصفة عامة والعالم بصفة خاصة .

فإذا تناولنا ألمانيا ، تلك الدولة التى كانت إحدى الدول التى أثارت الحرب ، والتى دوخت الحلفاء وكبدتهم خسائر فادحة ، نجد أن وطأة تلك المعاهدات كانت شديدة عليها . فأولا خسرت جزءاً من سكانها ومساحة واسعة من الأرض كانت من نصيب أعدائها ، أو لخلق دول اوربية جديدة . فانتزعت فرنسا منها الالزاس واللورين ، وبلجيكا أوبن ومالميدى ، وبولونيا أخذت بوسنانيا وبوميريليا لتطل على بحر البلطى ، وكذلك منحت مدينة دانتزيج على هذا البحر لتكون منفذاً لها ، واعتبرت مدينة حرة .

كذلك أخذت الدنمرك شمال شلزفيك وخسرت ألمانيا جزءاً من سيليزيا بناء على استفتاء سكانها .

ثانيا : أن تقوم ألمانيا بدفع تعويضات عن كل الخسائر التى منى بها الحلفاء

نتيجة عدوان المانيا ، وإن لم تحدد معاهدة الصلح مقدارها ، نظراً لإختلاف وجهات نظر الدول المتحالفة بشأنها ، فقدرتها اللجنة الفنية البريطانية التى شكلت لهذا الغرض بأربعة وعشرين ألف مليون جنيه . وهذا المبلغ كان بطبيعة الحال خيالى ولا يمكن لالمانيا أن تتحمله . ولما لم تصل الأطراف المعنية بالأمر إلى حل لهذا الموضوع ، لم تحدد قيمة التعويضات فى معاهدة فرساى ، وتركت هذه المسألة إلى مفاوضات مقبلة .

ولم تطل مدة المفاوضات فقد كان من صالح حكومة الجمهورية فى المانيا أن تستقر على وضع معين ، كما كان أيضاً من صالح انجلترا أن تنهض المانيا إقتصاديا وأن تكون راضية عن التسوية ، حتى لا تثير حرباً فى المستقبل للانتقام من أعدائها . وكذلك كانت الولايات المتحدة تهدف إلى تخفيف وطأة التعويضات عن المانيا ، لا سيما وأنها قبلت إنهاء الحرب طبقاً للمبادىء الأربعة عشر .

لكل هذه الأسباب انعقدت مؤتمرات متعددة للوصول إلى مبلغ معين تستطيع المانيا دفعه دون إرهاق ، وفى نفس الوقت يتفق مع مصالح الحلفاء . وقد حدد هذا المبلغ بما يزيد قليلا عن ألفى مليون جنيه ، وذلك فى مؤتمر لوزان فى ١٦ يونيه ١٩٢٣ .

ثالثاً : أن يتولى الحلفاء احتلال منطقة الراين لمدة خمس عشرة سنة ، ضمانا لتنفيذ المانيا ما فرض عليها من شروط ، مثل دفع التعويضات ونزع السلاح . على أن تنسحب قوات الحلفاء تدريجيا ، وبصورة جزئية كل خمسة أعوام .

رابعاً : تحديد قوة المانيا العسكرية بما لا يزيد عن ١٠٠٠٠٠ جندى يتم جمعهم عن طريق التطوع ، بعد إلغاء التجنيد الاجبارى . على ألا يزود هذا الجيش بأسلحة ثقيلة أو بسلاح الطيران .

خامسا : نزع سلاح الضفة اليسرى لنهر الرين ، وكذلك منطقة أخرى تمتد على الضفة اليمنى لهذا النهر بطول ٥٠ كيلومترا ، تأمينا لسلامة فرنسا وبلجيكا .

أما الدولة الثانية وهى الامبراطورية النمساوية المجرية ، فقد خسرت أجزاء واسعة من أراضيها ، فنظراً لاشتمالها على عناصر مختلفة ، ونظرا لأن مبادىء الرئيس الأمريكى ولسن كان عاملا على تقويض امبراطوريتها ، عندما اعترف بحق هذه القوميات فى النمو وفى تقرير مصيرها بنفسها ، فقد انسلخت منها بولونيا النمساوية وضمت إلى الدولة البولونية الجديدة . كما انتزعت منها بولونيا أقاليم ترانسلفانيا والبوكوفين . وكذلك ضمت يوجوسلافيا أجزاء أخرى . وبذلك تضاءل حجم النمسا وقل عدد سكانها بحيث أصبح لا يزيد عن ستة ملايين نسمة . وفقد المجريون ثلثى أراضيهم .

وإذا انتقلنا الى الدولة الثالثة وهى الامبراطورية العثمانية فقد حددت معاهدة سفر فى أغسطس سنة ١٩٢٠ مصيرها ، وجعلتها دولة أسيوية فحسب ، وليس لها فى الشاطىء الأوربى سوى القسطنطينية وما يحيط بها من أراضى . أما شبه جزيرة الأناضول ، فلم تصبح خالصة للأتراك ، فأعلن الحلفاء استقلال أرمينيا دون بيان لحدودها . وكذلك وضعت ايطاليا يدها على منطقة فى جنوب شبه جزيرة الأناضول فى أضاليا.

أما اليونان فقد احتلت منطقة أزمير والمناطق المجاورة لها بصفة مؤقتة إذلالا لتركيا ، وكذلك منحت جزر بحر ايجة .

وفى المشرق العربى استطاعت فرنسا وانجلترا ان تحققا أطماعها فى تلك المنطقة بمقتضى اتفاقية سان ريمو ، فوضعت انجلترا يدها على العراق وفلسطين وشرق الأردن . وانتدبت حليفتها فرنسا على سوريا ولبنان كبلدين منفصلين.

أما منطقة المضايق (البوسفور والدردنيل) التى كانت تتمتع بوضع دولى خاص بمقتضى اتفاقية سنة ١٨٤١ ، قد وضعت تحت إشراف دولى لوضع التدابير اللازمة لحرية المرور دون تدخل من الدولة التركية .

أما عن بلغاريا فقد تضاءل حجمها نتيجة انتزاع أجزاء منها ضمت الى اليونان. وقد أصبح توسع اليونان حائلا بينها وبين الوصول الى بحر ايجة ، لإيجاد منفذ لها على البحر .

أما اليابان التى لم يكن لها دور فعال فى الحرب الى جانب الحلفاء ، اللهم إلا القيام ببعض العمليات الحربية البسيطة فى الشرق الأقصى ، حيث استولت على ممتلكات ألمانيا فى اقليم شان تونج ، فقد منحت جزر شمال المحيط الهادى وهى مارشال وماريان وكارولينا ، بالإضافة الى كياوشاو وشبه جزيرة شان تونج .

وأخذت ايطاليا ايستريا وجنوب التيرول ، وساحل دالماشيا وشاطىء الأدرياتى. كما استولت بلجيكا على أوبن وماليدى، وفرنسا على الألزاس واللورين.

أما الروسيا التى خرجت من صفوف الحلفاء بعد ثورة عام ١٩١٧، وعقدت صلحا منفردا مع ألمانيا فى معاهدة بربست - ليتوفسك (مارس ١٩١٨) تنازلت بمقتضاه عن الأراضى المطلة على بحر البلطى، وكذلك ليتوانيا وكورلاند وليفونيا والأراضى البولونية ، فلم تسترجع تلك الأراضى فى معاهدات الصلح .

تناولت معاهدات الصلح دول شرق أوربا ووسطها وجنوبها بالكثير من من التعديل . فظهرت الى الوجود دولة جديدة هى تشكوسلوفاكيا تضم ١٣ مليونا من عناصر مختلفة ، أكثرها عددا هم التشيك الذين يبلغون ستة ملايين نسمة ، ثم يليهم السلوفاك الذين يقدرون بثلاثة ملايين . بالإضافة إلى ثلاثة ملايين ألمانى

في منطقة السوديت ، و ٧٠٠,٠٠٠ مجرى فى المناطق الجنوبية المتاخمة للمجر ، و ٦٠٠,٠٠٠ أكرانى أو روتينى فى روسيا الجنوبية .

وقد تكونت هذه الدولة نتيجة الجهود التى قام بها اثنان من المجاهدين أحدهما سلوفاكى ويدعى مازاريك Masaryk ، والآخر تشيكى ويدعى بنيش Benés فبفضل تعبئتهما لشعور مواطنيهما أن أصبحت قضية التشيك والسلوفاك تلقى عناية الدول التى اجتمعت فى مؤتمر فرساى . كما أدى انسحاب الجنود التشيك من صفوف الجيش النمسوى أثناء القتال إلى انهزام الامبراطورية النمسوية المجرية.

وكانت نقطة الضعف فى هذه الدولة وجود العنصر الألمانى والمجرى والروتينى.

كذلك ظهرت بولونيا مرة ثانية الى حيز الوجود ، فانضمت الأجزاء الثلاثة التى كانت مقسمة اليها ، وهى بولونيا الروسية ، وبولونيا النمسوية ، وبولونيا الروسية وتكونت الدولة الجديدة .

وظهرت أيضا يوجوسلافيا الى الوجود كدولة تضم ١٤ مليون نسمة وتشتمل على الصرب وكرواتيا والجبل الأسود وشمال مقدونيا ، وبانات تيميسفار .

كان هذا هو الحل الذى توصل اليه الحلفاء بشأن الأوضاع فى القارة الأوربية. أما خارج أوربا ، ولا سيما فى القارتين الآسيوية والأفريقية فكان لألمانيا مستعمرات يجب البت فيها ، واستقر الرأى على توزيعها على بعض الدول تحت اسم الانتداب، فأخذت انجلترا أفريقية الشرقية ومستعمرات ألمانيا فى أفريقية الجنوبية الغربية ونصف توجولند . واستولت فرنسا على الكامرون والنصف الآخر لتوجولند . كما وضعت بلجيكا يدها على أجزاء من أفريقيا الشرقية . وكذلك عهد الى أستراليا بغينيا الجديدة ونيوزيلندا وجزر جنوب المحيط الهادى.

أما اليابان فقد أخذت ممتلكات ألمانيا فى الشرق الأقصى كما سبق أن ذكرنا. هذا فضلا عن تقسيم المستطيل العربى الممتد من العراق شرقا إلى ساحل البحر المتوسط غربا ، ومن جبال طوروس شمالا إلى شمال صحراء العرب جنوبا فيما بين انجلترا وفرنسا .

نقد معاهدات الصلح .

وجهت الى معاهدات الصلح انتقادات عديدة ، ولن ندخل فى حسابنا بطبيعة الحال الانتقادات التى وجهت اليها من الدول المهزومة ، فهى من وجهة نظرها مليئة بالأخطاء ، ولكننا سنهتم بالنقد الذى وجه اليها من أناس محايدين ، وبما أثبتته الأيام من صلاحية بعض تلك التسويات وفشل البعض الآخر .

وأولى تلك الانتقادات هى أن التسوية التى اتخذت المبادىء الأربعة عشر أساسا لحلول عادلة ، والتى اعترفت بحق تقرير المصير لكل الشعوب ، والتى نجحت فى تخليص عدد كبير منها من نير الحكم الأجنبى ، مثل البولونيين الذين تحرروا من سيطرة الروسيا وبروسيا والنمسا ، والتشكيين واليوجوسلافيين من النمسا ، والالزاسيين واللورينيين والدنمركيين من ألمانيا، قد وضعت شعوبا أخرى كأقليات قومية جديدة . أى أنها قد تخلصت من مشكلة قديمة بخلق مشكلة جديدة من نفس النوع .

مثال ذلك تشكوسلوفاكيا التى ضمت أقليات ألمانية بلغ عددها ثلاثة ملايين نسمة ، وأقلية مجرية وصل تعدادها إلى ٧٠٠,٠٠٠ مجرى وكذلك الحال فى بولندا التى اشتملت على مليونين من الألمان ، وثلاثة ملايين من الروتينيين . كما ضمت ايطاليا عناصر من السلوفيين .

ويمكننا تطبيق هذا أيضا على رومانيا ويوجوسلافيا ، فاذا نظرنا إلى هذه

المثالب فى ضوء حق تقرير المصير، وحقوق القوميات لوجدنا أن معاهدات الصلح كانت بعيدة عن الكمال . ولكننا فى نفس الوقت نعترف بأن الضرورات تبيح المحظورات . فقد كان للضرورات السياسية أهمية فى بعض الأحيان تفوق حقوق القوميات . ولنتخذ من الالمان مثلا ، فاذا سمح للالمان الذين يعيشون فى السوديت والالمان الموجودين فى النمسا بالانضمام إلى ألمانيا لاصبحت المانيا بعد الحرب أقوى منها قبلها ، وهذا لم يدر بخلد المنتصرين بطبيعة الحال .

كذلك ارتكبت مخالفات ضد مبدأ حقوق الاقليات لاسباب اقتصادية أو استراتيجية تأمينا لحدود الدول المنتصرة .

وعلى أى حال فحقوق القوميات قد روعيت فى أوربا طبقا لتلك المعاهدات بشكل يدعو إلى التفاؤل ، فقد انخفض عدد الاقليات القومية التى تخضع لدول أجنبية فى أوربا من ستين مليون نسمة قبل الحرب العالمية الاولى الى ثلاثين مليونا بعد انتهائها .

ولكن إذا كانت هناك ضرورات دعت الى تجاهل حقوق بعض القوميات فى أوربا تدعيما للسلام والامن فى أوربا ، فما هى الضرورات التى حتمت على هذه الدول تجاهل القومية العربية تجاهلا يكاد يكون تاما ، فلم يكن تجاهلها بطبيعة الحال راجع إلى دوافع تتعلق بالسلام أو الامن أو أى شىء آخر سوى تحقيق المطامع الاستعمارية على حساب العرب الذين كانوا بالامس القريب حلفاء انجلترا .

لقد حصلت كل الدول المنتصرة الكبرى ومن يدور فى فلكها من الدول الصغرى على ما أسمته حقوقا ، فيما عدا العرب، فقد مزقوا شر ممزق . فحقيقة أن معاهدة فرساى كانت أكثر استجابة لحقوق القوميات من معاهدة فينا (١٨١٥) ولكن

اقتصر ذلك على القوميات الاوربية فحسب ، وليس بسائر القوميات التى اشتركت فى الحرب .

ومن العيوب التى وجهت إلى معاهدات الصلح أنها لم تعمل حقيقة على الحيلولة دون الأخذ بالثأر ، فالوضع الدولى فى أوربا قبل الحرب كان يفضل كثيراً وضعها بعده . فقبل الحرب كانت المانيا محاطة من الجنوب بالامبراطورية النمسوية المجرية ، لكن بعدها حل محل تلك الامبراطورية دول صغيرة لا تقو على مقاومة المانيا إذا ما استعادت قوتها .

كذلك لم تقض المعاهدات على قوة المانيا الصناعية ، ولا تغفل مدى الارتباط الوثيق بين القوة الصناعية وإعادة بناء الدولة عسكريا من جديد . ولكن حرص الدول المنتصرة على أخذ تعويضاتها من المانيا دفعها الى عدم المساس باقتصادياتها . وعن هذا الطريق استطاعت المانيا فى ظرف سنوات قلائل من أن تستعيد قوتها من جديد وأن تثأر لنفسها .

وهناك مأخذ آخر على تلك المعاهدات وهو تجاهلها التام للروسيا التى انصرفت فى ذلك الوقت عن الحرب والمؤتمر بتنظيم شئونها الداخلية . فرغم عدم تمثيلها فى المؤتمر إلا أنه كان يجب أن يوضع فى الحسبان عودة الروسيا الى نشاطها الاول بعد الفراغ من الحرب الأهلية ، لا سيما وأن وجودها مهم للتوازن الاوربى . فخلق الدول الصقلبية الجديدة فى أوربا على انقاض الامبراطورية النمسوية كان يحتاج إلى شيء من التدعيم من قبل الروسيا لتلك الدول الناشئة بحكم كونها الدولة الصقلبية الكبرى .

عصبة الامم

ومهما يكن من شيء فإن من أفضل ما تضمنته معاهدات الصلح ميثاق عصبة

الأمم التي جاهد الرئيس الأمريكي ولسن جهادا عنيفا لإخراجها إلى حيز الوجود ، والتي تعرض بسببها لهجوم خصومه وأعدائه . فولسن نظرا لحرصه الشديد على أخذ موافقة الدول الأعضاء في مؤتمر السلام على ضم ميثاق العصبة الى معاهدة فرساي ، بينما كانت تلك الدول تصر على فصل الاثنين عن بعضها ، أكثر من استرضاء المنتصرين الى درجة تنافت مع بعض المبادىء والنقط التي نادى بها من قبل . ولذا لم يرض أوربا ولا أمريكا ، بل أصبح مكروهـا في كثير من دول أوربا ، كما لم يرض فريقا من الرأى العام الامريكي ، فالإبقاء على بعض النقط (نقط ولسن الشهيرة) أغضب الكثيرين ، وحذف البعض أثار غضب الفريق الآخر .

ولكن بالرغم من ذلك نجح ولسن في إنشاء عصبة الامم ، وفي إقناع دول أوربا الكبرى بالاعتراف بمبدأ منرو ، وكان هذا المبدأ قبل ذلك الوقت مجرد تعبير عن سياسة أعلنها الولايات المتحدة من جانبها وحدها . كان ولسن يرى أن العصبة ما هي إلا نظرية منرو مكبرة ، فهو يرى أن العصبة ستؤدى الى العالم كله خدمات كبيرة مثلما تؤدى نظرية منرو للولايات المتحدة (١) .

ورغم الآمال العريضة التي علقت على قيام العصبة فإنها بحكم تكوينها لم تكن قادرة على حفظ السلام . فالولات المتحدة الأمريكية الداعية إلى إنشاء العصبة المتحمسة لها لم تشترك في عضويتها ، وذلك لعدة أسباب ، أولها أن العصبة كانت تمثل مجموعة الدول المنتصرة ومن يدور في فلكها ، كما أنها كانت أوربية الصبغة ، ولم تكن تمثل دول العالم تمثيلا حقيقيا .

---

١ - د. محمد محمود السروجي . سياسة الولايات المتحدة الخارجية ص ١٣١ .

ثانيا : كانت المادة العاشرة من ميثاق العصبة التي تتضمن سلامة أراضي أعضاء العصبة ، موضع اعتراض العناصر الالمانية والايرلندية ، فقد رفضوا الموافقة عليها لأنها تضمن تفوق انجلترا ، فالامبراطورية البريطانية لها خمسة أصوات ، وللولايات المتحدة صوت واحد ، وما كان هذا يرضي شيوخ الولايات المتحدة ، لأنه مهما قيل عن استقلال كندا وجنوب أفريقية واستراليا ونيوزيلندا فهي جميعا أعضاء في الامبراطورية البريطانية . وفوق ذلك يجب ألا ننسى مامنيت به آمال الأمريكيين من فشل وما أصابهم من ملل نتيجة مماطلة دول أوربا . هذا فضلا عن ميل الأمريكيين الى انتهاج سياسية العزلة من جديد ، والاهتمام بشئونهم الخاصة .

ثالثا : لم تمثل العصبة سوى أربع وأربعين دولة معظمها أوربية ، وظلت الروسيا بعيدة عنها رغم أنها ليست من الدول الأعداء . كذلك أبعدت المانيا وتركيا وحلفائها بحجة أنها لم تبلغ بعد مرتبة النضوج من الناحية الدولية .

رابعا : عرضت فرنسا اقتراح إنشاء قوة دولية ضاربة لضمان تنفيذ قرارات العصبة إذا لزم الأمر ، ولكن عندما طرح هذا الاقتراح على بساط البحث رفض بأغلبية كبيرة ، واكتفى أعضاء عصبة الأمم بالعقوبات الاقتصادية التي نصت عليها المادة ١٦ من ميثاق العصبة . أما العقوبات العسكرية فبقيت اختيارية . فافتقار العصبة إلى الأداة التنفيذية العسكرية كانت السبب في فشلها ، وفي تشجيع بعض الدول على تحدى إرادتها ، ووقفت عاجزة عن رد عدوان المعتدين، وأصبح ضمان سلامة أراضي الدول الأعضاء في العصبة مجرد حبر على ورق .

على أنه من الانصاف أن نقول بأن العصبة قد أدت اعمالا على المستوى الدولي

ماكان يمكن القيام بها خلال فترة الخمسة عشر عاما التى قضتها من حياتها بدونها .

نتائج الحرب

ما من شك فى أن الحرب العالمية الأولى قد غيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى أوربا بصفة خاصة وفى العالم بصفة عامة .

وسنتناول تلك التطورات بشىء من الايجاز اتماما لموضوع الحرب .

النتائج السياسية

تغيرت النظم السياسية فى الروسيا وألمانيا والمجر وتركيا نتيجة للحرب تغييرات جوهرية . ففى الروسيا قامت حرب أهلية عنيفة بين الحكومة البلشفية والثائرين ضدها من أنصار تروتسكى ، وواجهت تلك الحكومة عصيانا فى أربعة مراكز رئيسية فى منطقة الفولجا وفى سيبريا وفى روسيا الجنوبية وفى منطقة البلطى. واستمرت الحرب فترة غير قصيرة تغيرت فى خلالها الكثير من النظم .

وفى ألمانيا قامت ثورة الاشتراكيين فى برلين فى ٧ نوفمبر ١٩١٨ منادية بالنظام الجمهورى ، ونجحت فى تشكيل حكومة اشتراكية على رأسها ايبرت Ebert الذى ووجه بمعارضة شديدة من قبل العناصر البلشفية التى أطلق عليها اسم سبارتاكوس Spartakus . وبعد مقاومة عنيفة تمكنت الحكومة من إخمادها . ولكنها لم تكن الثورة الأولى أو الأخيرة فقامت ثورات متعددة فى أجزاء مختلفة من ألمانيا . كان أخطرها محاولة الحكومة البافارية الاشتراكية التى تشكلت بصفة مؤقتة فى اعلان الاستقلال عن ألمانيا . ولكن بفضل جيش الأحرار الذى جندته حكومة ايبرت تمكنت من السيطرة على الموقف والقضاء على كل تلك الحركات .

كذلك إذا نظرنا إلى المجر نجد اشتعال الثورة فيها فى أواخر عام ١٩١٨ ، تلك الثورة التى ارغمت الامبراطور على التنازل عن العرش والمناداة بالجمهورية . وتولت الحكم حكومة مؤقتة برئاسة ميشيل كارولى Michel Karolyi الذى حاول القيام بإصلاحات جذرية اجتماعية ، معتمدا فى ذلك على تأييد الاشتراكيين. ولكن نظراً لسوء الحالة الاقتصادية فى البلاد تمكن صحفى اسرائيلى يدعى بيلاكون Bela Kum بمساعدة الشيوعيين من اسقاط حكومة ميشيل كارولى فى مارس ١٩١٩ وإعلان قيام دكتاتورية الطبقة الكادحة . ولم تستطع حكومة بيلاكون الشيوعية الاستمرار نظراً لعدم اعتراف الحلفاء بها ، فسقطت . وقبض على زمام الأمور فى المجر الاميرال هورتى Horthy بعد عودة الوصى على العرش الارشيدوق جوزيف .

أما فى تركيا فكانت معاهدة سيفر شديدة الوطأة على الأتراك ، فاحتلال الإيطاليين لبعض أجزاء من الدولة ، وبقاء قوات انجليزية وفرنسية فى منطقة المضايق رغم قسوته كان أهون على نفوسهم من احتلال اليونانيين أزمير . فقام مصطفى كمال بثورته المشهورة لتحرير بلاده من الإحتلال الأجنبى ، فأقام حكومة فى انقرة فى ٢٤ ابريل ١٩٢٠ بعد الإنفصال عن حكومة القسطنطينية . ثم أخذ يعد العدة لمهاجمة اليونانيين ، ونجح فى إنزال الهزيمة بهم على ضفاف نهر سقارية (٢٣ أغسطس - ١٣ سبتمبر ١٩٢١) . ثم أجهز على قواتهم مرة ثانية فى ٢٦ أغسطس ١٩٢٢ ودخلت قواته ازمير .

وفى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ اضطر الحلفاء إلى قبول الانتصارات التركية ، وسحب القوات الأجنبية من تركيا ، وإلغاء الإمتيازات الأجنبية .

أما عن الدولتين الديمقراطيتين انجلترا وفرنسا فقد خرجتا من الحرب

وهما محتفظتين بنظمهما الدستورية دون أن تتعرضا للهزات العنيفـة التى واجهت الدول الأخرى التى أشرنا اليها .

ومن الناحية الفكرية المذهبية فقد أسفرت الحرب عن قيام النظام الشيوعى إلى جانب النظام الرأسمالى . وظهر التناقض واضحا بين النظامين بانعقاد المؤتمر الذى دعا إليه البلاشفة فى عام١٩١٨ للنظرفى إيجاد الدولية الشيوعية ، والمؤتمر الاشتراكى الدولى الذى انعقد فى برن فى فبراير ١٩١٩ من الاشتراكيين الانجليز والفرنسيين . فبينما كان ينـادى البلاشفة بضرورة التخلى عن الديمقراطية والحرية الفردية لتدعيم سلطـة الدولة ، ولا سيما فى فترة التحول ، كان الاشتراكيون الديمقراطيون يؤمنون بأن النظام الاشتراكى الحقيقى لا ينمو إلا فى ظـل النظم الديمقراطية .

وكانت أهم ظاهرة لعالم ما بعد الحرب ، الاضطراب السياسى الذى أعقب التطبيق العملى لمعاهدات الصلح ، فظهرت قضية دانتزيج التى انتزعت من ألمـانيا لتعطى إلى بولونيا لتجد منفذاً لهـا على بحر البلطيق ، وما يليها من الأراضى التى عرفت باسم الممر البولونى . ثم قضية روسياً البيضاء ، تلك الأراضى الواقعة بين بولونيا والروسيا ، وهى مناطق اختلاط من الجنسين وقد ضمت بولونيا جزءاً منها فى حربها مع الروسيا فى عام ١٩٢٠ .

ثم قضية بسارابيا ، وهى تلك المنطقة الواقعة على طول البحر الأسود بين نهرى الدنيستر والبروت والتى يسكنها خليط من الروس والرومانيين والألمـان . وكانت تابعة للروسيا قبل الحرب ، ولـكن معاهدات الصلح ألحقتها برومانيا .

وكذلك قضية سيليزيا العليا التى قرر الحلفاء إجراء استفتاء فيها ، نظرا لأن ثلثى السكان يتكلمون اللغـة البولونية والثلث الباقى يتكلم الألمـانية . وأسفرت

نتيجة الاستفتاء عن ضم ألمانيا لثلثى المنطقة والبولونيين الثلث الآخر .

كذلك ثارت قضية التيرول الجنوبى أو الاديج الأعلى فى شمال ايطاليا ، وهى منطقة اختلاط بين العناصر الألمانية والايطالية ، وقد أعطت معاهدة فرساى وادى الاديج بما فيه الألمان لايطاليا .

من المشكلات التى ثارت أيضاً قضية فيـــومى Fiume والادرياتيك التى تنازعتها كل من ايطاليا ويوجوسلافيا ، ولم تضمها ايطاليا إليها إلا بعد جهد جهيد ومفاوضات طويلة مع الحكومة اليوجوسلافية .

كذلك حركت الحرب العالمية الأولى الحركة القومية فى الهند ، وكذلك فى الصين ، وفى تركيا كما أشرنا من قبل .

النتائج الاقتصادية

كان للدمار الشامل الذى منيت به دول أوربا خلال فترة الحرب (١٩١٤ - ١٩١٨) أثره فى اضمحلال أوربا اقتصاديا إلى حد كبير ، فتدمير معظم المصانع الاوربية قد أفقد أوربا قدرتها على الانتاج . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فتجنيد الأيدى العاملة فى الحرب قد أفقدها خيرة شبابها من العمال المهرة الذين يقدرون بنحو ثمانية ملايين ونصف .

زد على ذلك أن قيام أوربا من كبوتها كان يتطلب وقتا غير قصير كى تستعيد كامل نشاطها وانتاجها . كما أن تحول المصانع من الانتاج الحربى إلى الانتاج المدنى كان يستلزم بعض الوقت .

كذلك كانت مشروعات التنمية الاقتصادية ، وإعادة بناء اقتصاديات تلك البلاد يتطلب أموالا وفيرة ، ولم تكن بحكم استدانتها فى الحرب بقادرة على

انفاق المزيد من الأموال . هذا بالإضافة إلى أن انخفاض قيمة العملة ونقص الاحتياطى من الذهب قد أعجز تلك الدول عن شراء حاجياتها من المواد اللازمة لصناعتها من الخارج .

اضطربت الحياة الاقتصادية فى معظم دول أوربا، ولكنها بنسب متفاوتة بقدر ما أسهمت تلك الدول فى الحرب ، وبقدر ما قدمت من تضحيات. ففرنسا فقدت ٢٠ ٪ من الأيدى العاملة فيها ، وكذلك قدرا كبيراً من ثروتها الحيوانية. والروسيا اجتاحتها الحروب الأهلية والثورات المختلفة التى شلت الحياة الاقتصادية فيها ، وأصابتها بخسائر فادحة فى الأيدى العاملة.

أما بريطانيا فقد واجهتها مشاكل متعددة أولها استدانتها قدراً كبيراً من الديون من الولايات المتحدة ، وفقدانها عددا غير قليل بواخرها التجارية . وأسواقها التجارية فى الخارج . ولكن مما خف من حدة الأزمة الاقتصادية أن مصانعها لم تدمر .

أما ألمانيا الدولة المهزومة ، فقد خرجت من الحرب بأقل الأضرار الممكنة ، فبالرغم من فقدانها لأسطولها التجارى ولمستعمراتها فيما وراء البحار ، ومناطق صناعية هامة ، إلا أنها ظلت محتفظة بمصانعها ووسائل انتاجها . وساعدها على ذلك عدم تجريدها من قوتها الصناعية لحرص الحلفاء على استيفاء ديونهم منها .

وأكثر الدول استفادة من تلك الحرب هما الولايات المتحدة واليابان . فالولايات المتحدة كسبت كثيرا من تجارتها مع الدول المحايدة ، وعندما دخلت الحرب زادت من إنتاجها فى جميع القطاعات ، سواء فى ذلك الإنتاج الزراعى أو الصناعى . كذلك جنت بنوك أمريكا أرباحا طائلة من القروض التى

أعطيت لشركائها فى أوربا حتى بلغ مجموعها فى نهاية الحرب ١٠ مليارات دولار. كما أصبح لدى الأفراد الأمريكيين استثمارات خارج بلادهم تقدر بنحو ٨ مليارات دولار. هذا بالاضافة إلى امتلاك الولايات المتحدة لنصف رصيد الذهب العالمى.

وإذا انتقلنا إلى اليابان نجد أن فترة الحرب قد أفادتها فائدة كبرى، فانقطاع الواردات الأوربية إلى أسواق الشرق الأقصى جعل للبضائع اليابانية السيطرة التامة على تلك الأسواق دون منازع. فارتقى انتاجها الصناعى وزاد حجمه زيادة كبيرة. وأخذت اليابان تغزو أسواقا جديدة فى أمريكا اللاتينية بحيث أصبح الميزان التجارى فى صالحها إلى حد كبير، وحقق فائضا هائلا. ولو أن هذا النشاط الاقتصادى كان محدودا لظروف الحرب العالمية إلا أن اليابان استطاعت استغلاله أحسن استغلال فى تثبيت أقدامها فى أسواق الشرق الأقصى.

النتائج الاجتماعية

كان لنجاح الثورة البلشفية فى الروسيا أثره الكبير على التطور الاجتماعى لطبقتى العمال والبورجوازية، لا فى داخل الروسيا فحسب، وإنما خارجها أيضا. وأظهر هذه التغيرات كان بين سكان الريف، فالاصلاحات الزراعية التى قامت بها الروسيا قد انعكست بطريق غير مباشر على طبقة الفلاحين فى الدول المجاورة لها، وذلك لخشيتهم من النظام الشيوعى. فالعمل على تحسين حال تلك الطبقة، وتمليك المعدمين هو خير وسيلة لمكافحة الشيوعية. وكان هذا هو أسلوب العمل فى بولونيا ورومانيا ودول البلطيق، فنمو الملكيات الزراعية الصغيرة على حساب الملكيات الكبيرة كان له أثره فى الاستقرار السياسى دون شك.

أما طبقة العمال، فقد عانت فى أوائل الحرب من اشتداد موجة الغلاء وارتفاع مستوى الأسعار مع بقاء الأجور كما هى، أو زيدت زيادة طفيفة

لا تتناسب مع الزيادة المطرودة مع أثمان الحاجيات. ولكن نظرا لشدة الطلب على الطبقة العاملة للانتاج الحربى ، أن أخذت أجور العمال تزداد شيئا فشيئا ، بحيث يمكننا القول بأن حالتهم قد تحسنت عما كانت عليه قبل الحرب. أما الطبقة البورجوازية ذات الدخل المحدود مثل الموظفين وصغار الملاك فقد أضر بهم ارتفاع مستوى الحياة ضرارا بليغا، فلم تعد الزيادة التى حصلوا عليها بقادرة على أن تواجه موجة الغلاء الفاحش التى اجتاحت أوربا خلال فترة الحرب .

من هذا العرض الموجز لنتائج تلك الحرب يمكننا القول بأن الحرب العالمية الأولى قد أحدثت تغييرات جوهرية فى ميادين كثيرة داخل أوربا وخارجها ما كان من الممكن حدوثها بتلك السرعة لولا قيامها .

مصادر البحث

المصادر العربية

١ - رفعت ، محمد : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية. القاهرة ١٩٥٩

٢ - رونوفين، بيير: تاريخ القرن العشرين. ترجمة د. نور الدين حاطوم. دمشق ١٩٦٠

٣ - السروجى ، محمد محمود (دكتور) : سياسة الولايات المتحدة الخارجية الاسكندرية ١٩٦٥

٤ - صفوت ، محمد مصطفى (دكتور) : الجمهورية الحديثة . الاسكندرية ١٩٥٨

٥ - فشر، هـ. ا. ل: تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) القاهرة ١٩٦٤

٦ - كلود ، ا. ل : النظام الدولى والسلام العالمى . ترجمة د . عبد الله العريان . القاهرة ١٩٦٤

٧ - بيوريج، ادوار هنرى: ودرو ويلسون وسياسة توازن القوى. القاهرة ١٩٦٤

المصادر الأجنبية

A.

Accounts & Papers 1890 - 1

Accounts & Papers 1892. 3, 4, 5, 6

Albin, P. : La Paix armée (1884 - 1894)

Allen, Bernard, M. : Gordon & Sudan. London, 1931

Arther, Sir G. : Life of Lord Kitchener, 3 vols. Londron 1920.

B.

Bérard, V. : La Politique de Sultan. Paris 1897.

Billot, Albert : La France et l'Italie 1881 - 1899. 2 vols. Paris 1905.

Biovès, Achille ; Français et Anglais en Egypt 1881 - 2 Paris 1910.

Blowitz : My Memoirs

Blue Books.

1883. Volumes XLVIII & XLIX (African Question)
LXXXII (Madagascar)
XXXIII Egypt

1884. LVI Africa
LXXXVII Central Asia
LXXXVIII & LXXXIX Egypt

1884-5 LIV Pacific Ilands
LV & LVI Africa
LXXXVIII & LXXXIX Egypt
LXXXVII Central Asia
1886 XLVII Africa

Bodlsen, C.A. : Studies in Mid - Victorian Imperialism. N.Y. 1925.

Brandenburg, Erich : From Bismark to the World War. New York. 1927.

British Documents of the Origins of the War 1898-1914.

Brunswik, Benoît : Le Traité de Berlin annoté et Commenté. Paris. 1878.

Bülow, Prince Von : Memoirs. 4 vols·

Bryce, James : Impression of South Africa. London 1899

C.

Charles-Roux, J.: Allemagne, Angleterre en Egypte en 1877 - 78. l'Afrique française. vol XXXVIII. Supplement March 1928.

Charles-Roux, J.: l'Allemagne et les questions de l'Egypte de 1879 - 884. L'afrique française. vol. XXXVIII Supplement June 1928.

Charles-Roux, Fr. : Les Conventions militaires Italo - Allemandes sous la Triple Alliance (Rev. de Paris IV. Aug. 1, 1926),

Chirol, V: The Middle Eastern Question. London 1903.

Churchill, W: Lord Landolph Churchill. 2 vols. 1886.

Cocheris, J. : La Situation Internationale de l'Egypte et du Sudan. Paris 1903.

Coolidge, Arch.: The Origins of the Triple Alliance. New-York 1926.

Crewe, Marquess of : Lord Rosebery. New-York 1931.

Crispi : Memoirs

Cummings, A.N. : The Secret History of the Treaty of Berlin (Nineteenth Cent. LVIII. July 1905)

Cyon, Elie de : La Guerre russo-turque d'après des documents inédits. (Nouvelle Revue) IV June 15,1880

D.

Daudet, Er. : Histoire diplomatique de l'alliance franco-russe 1873 - 1893. Paris 1877.

De Caix, Rol. : Fachoda . Paris 1899.

Die Grosse Politik der europaischen Kabinette 1871-1914.

Dilke, Sir Charles : The Present Position of European Politics. London 1887.

Ducray, Cam : P. Deroulède. Paris 1914.

Duke of Argyll ; The Eastern Question. 2 vols. London 1877.

E.

Earle, Ed. M. : Turkey, the Great Power & the Baghdad Railway. New-York 1924.

Edwards, Sutherland : Sir William White.

Elliot, Arthur D. : The Life of George Joachim Goschen. 2 vols. London. 1911.

Elliot. Sir H. : Some Relations & Other Diplomatic Experences. London 1922.

Engelhardt, Ed : La Turquie et le Tanzimate. 2 vols. Paris 1884.

F.

Fay, Sidney : The Origins of the World War. 2 vols. New-York 1928.

Fillien, G. : Enre Slaves. Paris 1894.

Freycinet Charles de : Souvenirs 1878-93. Paris 1913.

G.

Gauld, W. : The Dreikaiserbund and the Eastern Question 1871-6 (English Historical Rev. April 1926).

Gauld, W. : The Dreikaiserbund and the Eastern Question 1877-78 (English Historical Review XLII, PP. 561-8, Oct. 1928.

The Anglo-Austrien Agreement of 1878 XLI. (1926).

Gardiner : The Life of Sir W. Harcourt. 2 vols. London (1923).

Garvir, J. L. : The Life of Joseph Chamberlain. 3 vols. London. 1932-4.

Gavard, Charles : Un Diplômate à Londres 1871-77. Paris 1897.

Giffen, M. B : Fachoda. Chicago Accounts and Papers 1898, 99.

Gontaut - Biron : Ma Mission en Allemagne 1871 - 3 Paris. 1906.

Gooch, G. : Holstein (Studies in Modern History) London. 1910.

Gorianov, Serge : Le Bosphore et les Dardanelles. Paris 1910

Gorianov, Serge : The End of the Alliance of th Emperor (American Historical Rev. XXIII PP. 324-50 Jan. 1981)

H.

Hanotaux. G. : Fachoda Paris 1909.

Hansen, J. : I'Ambassade de Mohrenheizn 1884 - 1890. Paris 1907.

Hardy Gathorne : Lord Cranbrook. 2 vols. London 1918,

Harris, Norman : Intervention and Colonisation in Africa. Boston 1914.

Hauser, Henri : Histoire diplomatique de l'Europe 1871 - 1914 2 vols. Paris 1929.

Headlam Morely, J. : Studies in Diplomatic History. New-York 1930.

Hoffman, R.J.S. : Great Britain and the German Trade Rivalry 1875 - 1914

Hoskins, H. : British Routes to India. Philadelphia 1928.

Hull, W. : The Two Hegue Conferences and their Contr-

ibutions to International Law.

Hohenlohe : Memoirs.

J.

Johnson, H. : The Papacy and the Kingdom of Italy. London 1926.

L.

l'Alliance Franco-Russe 3ième Livre Jaune. Paris 1918.

Lee, Dwight. : The Proposed Mediteɪn. League of 1878. (Journal of Modern History III. March 1931).

Lee, Sir Sidney : King Edward VII. 2 vols. New - York 1925 - 7.

Le Rapport Secret sur le Congrès de Berlin adressé par Carathéodory Pacha edited by Bertrand Bareilles. Paris 1919

Loftus, Lord Augustus : Diplomatic Reminiscences 1862-79 2 vols. London 1874.

M.

Marvaud, Ungel : La Politique exterieure de l'Espagne. (Rev. de sciences politiques P.P. 41-74).

Medlicott W.N. : The Mediter Agreements of 1887. (Slavonic Rev. v. PP. 60 - 88 June 1928)

Medlicott W. N. : Austria-Hung. and the War Danger of 1887 (Slavonic Rev. VI Dec. 1927).

Medlicott, W. N. : Diplomatic Relations after the Congress of Berlin. (Slavonic Rev. VIII. June 1929).

Meyendorff, Baron A. : Correspondance diplomatique de M. de Staal. 1884 - 1900. 2 vols Paris 1929.

Midhat Bey, Ali Haydar : Midhat Pacha, sa vie, son oeuvre. Paris 1908.

Moon, Parker : Imperialism and World Politics. New-York 1926.

Morse, Hosea B. : The International Relations of the Chinese Empire. 3 vols. New York 19 8.

Mousset, Al. : L'Espagne et la politique mondiale. Paris 1923.

Moüy, Ch. : Souvenirs et causeries d'un diplomatic. Paris 1909.

N.

Newton, Fitzmaurice, Buckle, Letters of Queen Victoria. Salisbury.

Newton, L. : Lord Lansdowne. London 1929.

P.

Pribram. A. F. : England and the International Policy of the European Great Powers. Oxford 1931.

R.

Renouvin, P. : Les Engagements de l'Alliance Franco-Russe. (Rev. de l'hist. de la guerre mondiale Oct. 1934).

Ronaldshay, Earl of : Life of Curzon. 3 vols. London1925

Russko - Germanskie (Krasny Arkhiv).

S

Simpon J. V. : The Saburov Memoirs, or Bismarck and Russia Cambridge 1929.

Slieve, J. : Deutchland and Europa 1890-1915 Berlin 1926.

Sontag, R. J. : European Diplomatic History 1871 - 1932 New York 1933.

Spender, J. A. : Fifty Years of Europe. London 1933.

Steiger, G. : China and the Occident. New York 1927.

T.

Taffs, W. : The War Scare of 1875 (Slavonic Review IX PP. 335-49 Déc. 1930)

The Milner Papers. South Africa 1897—99 Edited by Cicil Headlam. London 1931.

The Secret Memoir of Count T. Hayashi. Edited by A.M. Pooley. New York 1915.

Tirpitz, Alfred ' 'y Memoirs. 2 vols. New York. 1919.

Toutain, Ed. : Alexandre Ill et la Republique Française Paris 1929.

Townsend, Mary : The Rise and Fall of German's Colonial Empire 1884-1941. New York 1930.

U.

" Unprinted Docs. Russo—British Relations during the Eastern Crisis." Edited by R. W. Seton—Watson (Slavonic Review vols. Ill , IV 1 24—6).

Unprinted Docs. Russo — Turkish Relations during the Eastern Crisis. Edited by R. W. Seton — Watson (Slavonic Rev. III, IV, 1924--6).

Walter Eric, A. : A History of South Africa. New York

Wemyss, Mrs. Rosslyn : Memoirs and Letters of the Righ Hon. Sir Robert Morier 2 vols. 1911.

Wertheimer, Eduard : Graf Julius Andrassy. 3 vols. Stuttguart 1913.

White, Arth, S. : The Expansion of Egypt. London 1899.

William, Basil : Cecil Rhodes. London 1921.

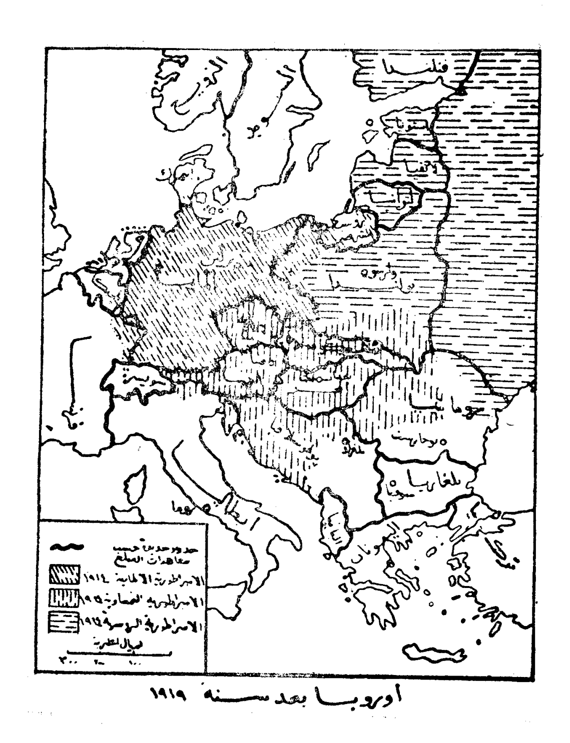
Wilson, A. T. : The Persian Gulf. Oxford 1928.

Wilson, H. W. : The War Guilt 1928.

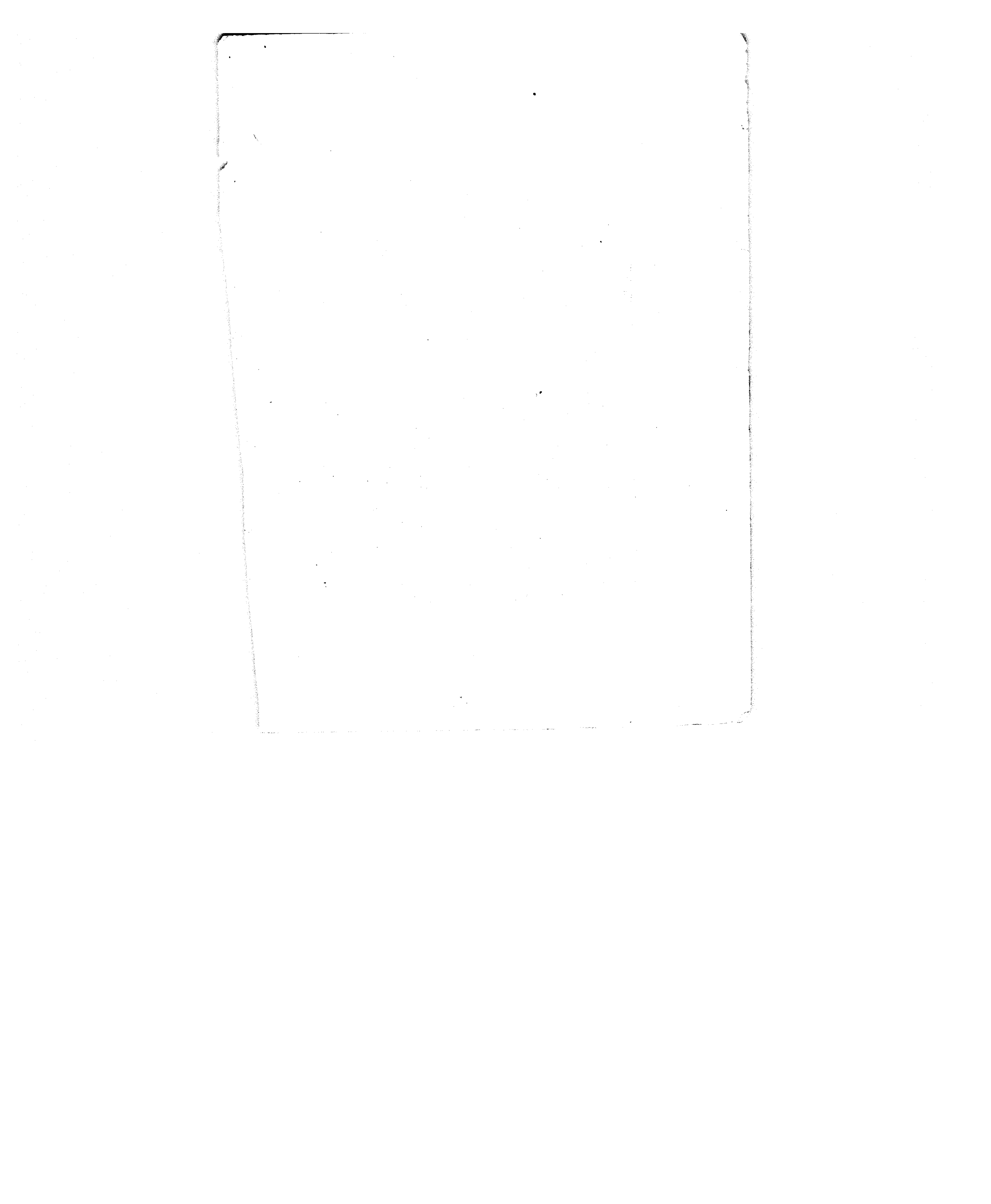
Wolff, Sir H. D. : Rambling Recollections. 2 vols. London 1908.

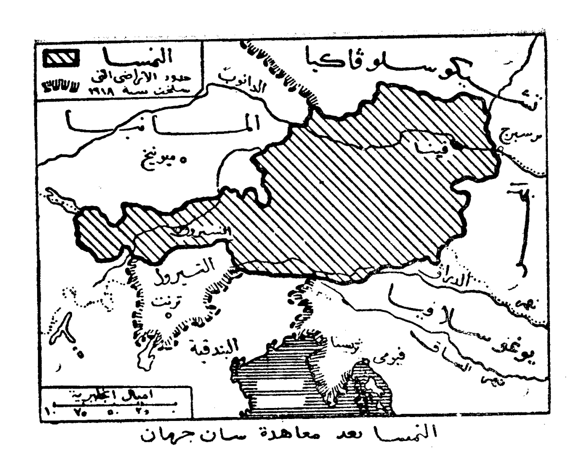
Z.

Zevaes, Alex. : Au Temps du Boulangisme. Paris 1930.

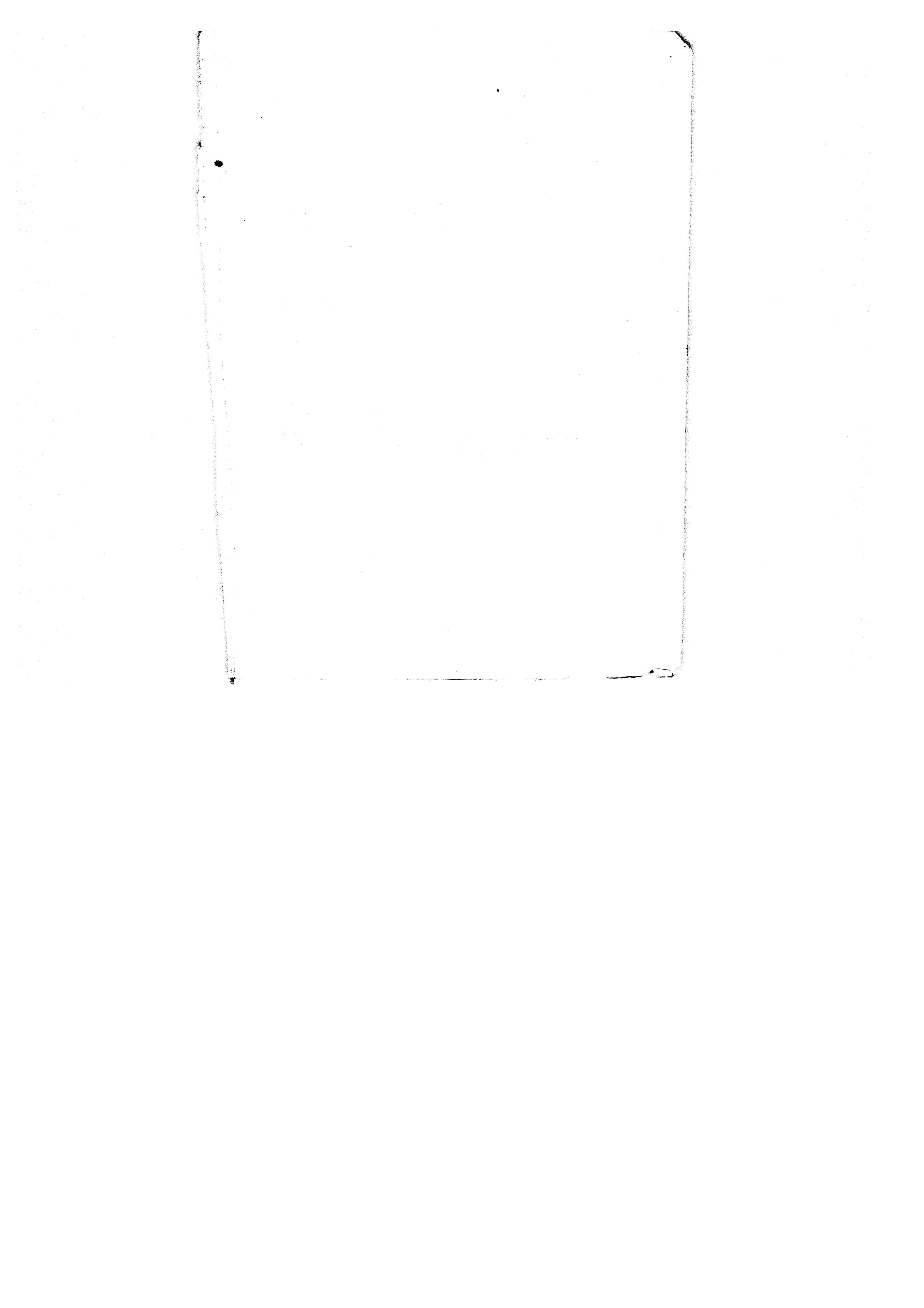


أوروبا بعد سنة ١٩١٩





النمسا بعد معاهدة سان جرمان





خريطة بولندا

